

هذه عقود نثرت جمانها فكرة شيخ الاسلام
استاذ العلماء الكرام العلامة الحسن بن
مسعود اليوسى شرحا على قصيدته
الداليه التى هى فى جبين القريض
غرة بهيه احدى تهانى شيخه
الغوث سيدى أبى عبد
الله بن ناصر الدرعى
عمت بركاته
آمين

طبع بمطبعة الكوكب الشرقى بالاسكندريه
سنة ١٢٩١ هلاليه

* (الكتب الجارى متبعها طبع هذه المطبعه) *

كتاب تأليف شيخ الاسلام * وامام العلماء الكرام * العلامة الحسن ابن مسعود اليوسى الشهير شرحا على قصيدته البديعة الدالية التى تفوق الخمسمائة بيت * وهو يباع فى المطبعة المذكورة وطرف الخواجه حبيب غرزوزى وعند أحمد أفندى العشى بمصر وثمنه خمسة فرنكات

وكذلك يطلب من المذكورين كتاب مطالع الشموس فى قصة الوزير استاكيوس ترجمة أنطون أفندى حموى وثمنه أربع فرنكات

* (الكتب الجارى طبعها الآن) *

كتاب) المفصل * فى علم العربيه * وحروف المعانى تصنيف العلامة جار الله محمود الزمخشرى صاحب الكشاف

ومن المعد للطبع هذه الكتب الآتيه وهى تأليف صاحب هذه المطبعة ومزمع طبعها فى مطبعته فمن أرادها فليطلبها منه

(رسالة) سميناها البراهين القطعيه * على عدم دوران الكرة الارضيه * سبق درج شئ منها بجريدتنا المسماة بالكوكب الشرقى

(رسالة أخرى) تسمى وجوب الائتلاف * والحكم بالانصاف) تتضمن ما عسى أن يزيل الاوهام * ويكشف به الظلام عمن يجعلون الاديان غرضة لمآربهم * وآلة لغاياتهم ومشاربهم

(كتاب سميناه منافع الاخيار * فى لذيذ الاخبار) * وكتاب آخر سميناه (زمام الذميم وكبح اللئيم)

وان شاء الله تعالى يتخلل مدة اثناء طبع ما ذكر ظهور بعض رسالات أخرى

(خلاصة فى ان العلم للانسان كالبصر للعميان)

سبحان من جعل الانسان رفيع القدر بالعلم وحيوانا ضاريا بالجهل الملم فصار حتما عليه النهوض فى جادة العرفان والتعاون على البر والتقوى دون الاثم والعدوان (أما بعد فيقول من بجريرة ذنبه معقول وفى قيود تقصيره مكبول المقر بالعجز والتقصير المرتجى العفو عما اجترأه من ولى الامر والتدبير الذى بيده الفضل يؤتيه من يشاء ويمنعه من يشاء وهو على كل شئ قدير سليم الياس حموى الدمشقى مولدا المصرى موطنا انا اذا نظرنا فى مرآة التواريخ وفى كل قول يكون فى هذا الصدد صريح نرى ان دولة العلم هى الناهجة أقوم المسالك المنتصرة على جميع الممالك بل أساس عمارها وقاعدة قرارها ودعائم تمدنها وباب انتصارها وانها أصل محاسن كل المقاصد و ينبوع الفوائد ولذا نرى انه لا يفوز بالنصر ولا يحوز الظفر أحد من أى دولة فى كل نوع أدبى أومادى الا أن يكون سلطان العلم له فيها صولة عظيمه وعمارات منيعة جسيمه وهذا أمر لا يقبل الريب ولا يقدح بعيب فمتى كان العلم زاهرا كانت البلاد منتصرة ومعظم المنافع بها منحصره لكن العلم لا يتوطن بأرض ولا يمتد له طول ولا عرض الا اذا أسس على دعامتين احداهما العدل الذى هو معدن ولى نعمتنا الخديوى الاكرم والداورى الاعظم الناتج منه عمران البلاد وأمن العباد والدعامة الثانية لعموم نفعه أن تتكاتف أرباب اليسار على انتشاره واضاءة شمس نهاره ببذل يسير من مخبآت الاموال فاذذاك تنجح له الآمال وتتسع دوائر وسائل العلوم ويحصل نفع العموم ولا يجب أن نتقاعد عن ذلك اكتفاء بعظم مساعى ولى نعمتنا الذى أحيا أمصارنا وتوج باكليل الفخر السامى على كل فخر ديارنا الرافل فى حلل

الانتصار للبلاد المشيد بما آثره منها العماد كيف لا ومن جملة أنعمه العديده ومحاسن أفعاله الشديده انه قد أرجع لنا التمدن والعلوم باليقين بعد ان كنا نشم رائحتها عن بعد ونتفاخر باسمها منذ سنين فرجعت الى الاوطان على أعقابها ودخلتها من أبوابها فلهذا يجب أن نتعاون على حمل الفضائل وتأسيس طرق الوسائل ونقتفى فى ذلك منهج أوربا التى أخذت العلوم عنا واقترضتها منا ورفعت مقامها ونشرت أعلامها واجتنت ثمراتها واستقلت بخيراتها ولولا ذلك لكانت لم تزل هاوية فى دركات الجهل الى يوم الحشر والنشر لانه معلوم ان العرب هم ينبوع مراكز عظيمة لدائرة المعارف ولن يسع المقام تبيان تفصيل ما كان للعرب فى هذا الارب من معرفة مفردات العلوم الرياضية والادبية وغرائب الفهوم العقليه بل لا يمكن حصر مزايا العرب التى امتازوا بها على غيرهم من الامم فيما يتعلق بالعلوم والتقدم فى التمدن مدة أربعة آلاف سنة على حال واحد فى اكتساب الفضائل والمزايا الحسنة يوما فيوما التى تميزوا بها على غيرهم وكان لهم قوة مدركة ووفور عزيمة وحدة ذهن على العلوم تفوق الطاقة العقلية لولا ما يؤكد ذلك من الدلائل التى منها أن حمادا الراوية ذكر يوما للخليفة الوليد أنه يسعه أن ينشده فى الحال مائة قصيدة القصيدة من عشرين الى مائة بيت فتعب المستمع قبل المنشد ودليل الاعتناء بالعلماء أن نوحا بن منصور أحد ملوك بنى ساسان استدعى الصاحب بن القاسم اسماعيل بن أبى الحسن العالم الفاضل الطالقانى ليفوض اليه وزارته فامتنع الاستاذ عن قبول ذلك بما يدل على قوة عنايتهم بالعلوم واعتنائهم بها لانه اعتذر بأنه يحتاج الى أربعمائة جمل لنقل كتبه خاصة فما بالك بغيرها حال كون تلك الايام

فائدة

فائدة الوسائط الحاصلة عليها أيامنا هذه مثل المطابع وخلافها التي ينجم عنها سهولة الحصول على نشر ما تولده الافكار البشريه وخفة ثمنه التي هي كذرة بالنسبة الى سابقة الاثمان ومع ذلك فمعلوم انه كان يندر وجود رجل ليس في حوزته شيء من الكتب بل أدوات العلوم والاتها فناهيك عن اعتنائهم بها والتدرب عليها فالخلاصة انه في أثناء ذلك كانت أهل أوربا تائهين في دجى الجهالة والتوحش والجور والاعتداء من قديم الازمان وقيل انما كان دخول العلوم والتمدن الى بلادهم في أثناء القرن العاشر حيث توجه الراهب جوبير الفرنساوى الى اسبانيا التي كانت في بلاد الاسلام المستعربة حينئذ وقرأ هناك علم الجبر والفلك وأبدى لاهل أوربا لذة جديدة من معارف العرب وجمع خزانة جليلة من الكتب ولا يجهل أن الامبراطور شارلمان الشهير في حب العلوم والعلماء كان أسس بباريس مدرسة جامعة لسائر المعارف وبمثل هذه المآثر الشهيرة استمال الخليفة هرون الرشيد الى محبته ومهاداته بنفائس التحف وغير ذلك الا أن النجاح بالعلوم ونتائجها لم يكن اذ ذاك نافعا الا بعد أن انتشرت العلوم بديارهم انتشارا عموميا في القرن الثالث عشر بعد حروب الصليبيين مع المسلمين اذ المؤرخون قد ذكروا ان تلك الحروب وان أهلكت نفوسا كثيرة لا تحصى وأفنت أموالا لا تستقصى بدون الحصول على المقصود بالذات وهو استنقاذ بيت المقدس لكنها أعقبت نتائج أكثر مما كانوا راغبين وأثمن مما خسروه من الارواح والاموال باضعاف وذلك انهم اكتشفوا على عوائد غريبه وتعلموا أمورا عجيبه من علوم وصنائع أخذوها عن الامة العربية ولاسيما بعد افتتاح القسطنطينية في أثناء تلك المدة ومن ثم اقتدى بعضهم بالمأمون العباسى

الذى قدكان تولى الخلافة فى سنة ٨١٣ مسيحية واعتنوا فى المعارف
وأسبابها ومالوا بكليتهم اليها وأحلوها محلة القبول من الملوك فن دونهم
واجتهدوا فيها بالجد وقعدوا منها كل طريق استد فبهذا نمت وأزهرت
وازدهت وأثمرت فتراهم يدا واحدة بالتكاتف على الاعمال الخيرية
بعمل جمعيات بفنون متنوعات ونحن أصحاب بذرتها الاصلية وهى
بنا حرية بما انها ترجع بالنفع الى الطائفة البشرية بدون أن يلاحظوا
ملاحظات ثانوية لا يسعنا المقام ابيان ايضاحها ولا نرغب فى افصاحها
فهم بتصرفهم متحدون وعلى العلم غيورون وعلى تحمل مشاقه صابرون
وبذا جنوا ثمرات فوائد اصلاحه وغنموا منافع أرباحه ومنها جمعيات لنشر
العلوم ومساعدة المؤلفين بالمكافآت لنشاط الامم واستحياء ماهو
كالرمم ولشحذ الافكار لاستنباط غرائب ما يخفى عن الانظار
ومناداتها الى الاظهار فكان مثل ذلك مختصا بالمجلس العلمى الذى
يكافىء كل انسان على قدر منافع تآليفه واتعابه لما كابده من
الصعوبات التى أوجبت كثرة أوصابه حتى ان من يترجم شيئا
مفيدا ينال هذا المنال ويحظى بالتكرم والاجلال والذى يحملهم
على ذلك هو محبة الجنس الانسانى فلذا تراهم سنويا يجددون من المؤلفات
ما لا يحصى بل تراهم لا زالوا منكبين على البحث عن الكتب العربية القديمة
التى تكاد من الوجود أن تكون عديمة ومهتمين اما بترجمتها
أو بطبعها طبق أصلها مع الاعتناء بثمرة نفعها بعد فهمها فبعد استثناء
الكرام واهل الرفعة والمقام نقول لماذا نحن ننظر اليهم شزرا ونلغط تارة
بكلام قد يركبنا وزرا حيث لا مانع لنا عن مجاراتهم ولا عذر
فبالاحرى أن نتأثر ونغار ونقتفى تلك الآثار بل ينبغى لنا أن نسبق
الامة التى نحن أحق بسبقها ولم تكن تدرك لنا غبارا لانها انما أخذت

عنا

عنا وصارت لها بضاعتنا المنونية علينا الى أن ارجع الله لهذه الديار
الكرة بعد خسارتها المرة بعد المرة بواسطة صاحب الجلالة والاكرام
والشوكة والانعام ولى نعمتنا الخديوى الافخم والداورى الاعظم
ولضيق المقام نكتفى الآن بما أوضحناه برسالتنا المسماة ترجمان
العصر عن تقدم مصر الى أن يفتح لنا باب نتمناه لانه قلد أعناق هذه
البلاد من المنونية بما جلب اليها من كل ماهو ضرورى لديها فتحلت
من الاعمال الخيرية وتجملت بالمحسنات العصرية والمآثر الخديوية
الشاهدة لها أيدى الدهر ومقربها لسان العصر انما نحن بصدد
مانرى من فتور بعض الكرام عن الاقتفاء لآثار أولئك الاقوام
الفحول الذين سبق فى شأنهم الكلام مع كون الشريعتين الشريفتين
المحمدية والمسيحية يأمراننا بأن نقتفى آثار غيرنا من أى أمة كانت
فيما نرى فيه النفع لبلادنا والعمران لاوطاننا وكفانا بذلك شاهداً عدلا
لا يقبل تأويلا ولا عنه عدول ولضيق المقام نكتفى بالاختصار تاركين
التطويل الى وقت يسعنا فيه الايضاح بالتأويل هذا ولما انه من علينا
الدهر واعثرنا على أصل هذا الكتاب الذى يزدرى بالطل انسجاما
والدر انتظاما لما جمع فيه من شتى العلوم اللسانية والطرق الشعرية
والآداب الادبية والانواع الصناعية وكاد الزمان أن يدثره فى حيز
مافقدناه ويحصره فى دائرة ماخسرناه وحسبك فى شرفه ان مؤلفه قد
صاغه بأياديه ورب البيت أدرى بما فيه ومالنا واطالة الكلام
مع أن لسان الحال يغنى عن كثرة المقال ومن شرح ترجمة مؤلفه الآتية
يعلم ما كان عليه هذا الامام بين الائمة فى اللغة والعلوم وماله من شهرة
الفضل المعلوم والتآليف التى تستحق الطبع وتكون بين المطبوعات
كالنجوم واللؤلؤ المنظوم ولقد شاركت فيه لتسهل مصاريفه وتخف على

تكاليفه فنلت بذلك المرام و بدأت فى الشغل للقيام بصدق الكلام فألفيت كثيرا من الذين أمضوا بيدهم على مطلوبى ووافقونى على رغوبى قد نكثوا عن عهدهم وأنكر وا امضاءهم الموقع بيدهم ورفضوا قبولهم وتوقفوا فى دفع مايحق عليهم بحيث لولم يكن فى سعتى اكماله لوقعت فى ورطة مهولة و بلية معلولة ولعمرى ان مثل ذلك تنكره واجبات الانسانية وتأباه الهمم العليه ولولاحق اكرامهم والركون الى احترامهم لوجب أن نصرح باسمائهم كما عولنا على التصريح بأسماء من ساعدنا على هذا العمل المبرور فى حالة ممزوجة بالحبور فتشكرا لما أنالونا فى مساعدتهم من السرور ويتخلد اسمهم و ينشر يوما فيوما ذكرهم وعلى هذا المنوال سنجعل منهجنا فى كل الاحوال فوالحالة هذه بحمد الله تعالى قدتم طبع هذا الكتاب المستطاب وظهر كآية الاعجاب يستحق أن يتلى آناء الليل وأطراف النهار لانه نافع للكبار والصغار والمدارس والبيوت كما هو جلى الثبوت كيف لا وهو للعالم تذكرة وللجاهل مأدبة وعبرة وللمتعلم منفعة ومناهج للصواب رافعه و بذا صار لنا أمل فى أن المدارس المصريه لاتحرم تلامذتها من مطالعته النافعة الادبية واقتطاف ثمراته الشهيه بواسطة أوليائها الكرام وأعاظم رجالها أولى السمو والاحترام الذين كل منهم بكل خير مقدام وهذا لحسن وضعه ووفور نفعه ونسأله أن يلهمنا الصواب ويجعلنا من الناجين ويغفر لنا السيئات انه ولى الهبات

وهذا بيان أسماء النبلاء الكرام ذوى الرفعة والاحترام الذين ثبتوا فى اشتراك اليوسى على عهدهم وصدقوا فى فعلهم ووعدهم وقد أوضحنا أسمائهم مع مقدار ما أسلفونا من ثمن بعض نسخه طبقا لما بقائمة

الاشتراك حسب وضع امضائهم فجزاهم الله تعالى عنا كل خير وجعلهم قدوة للغير

قرش	
٣٠٠	جناب سليمان حافظ بيك
١٠٠	جناب محمود افندى العبانى
١٠٠	جناب الشيخ محمد محيى
١٠٠	حضرة الشيخ رمضان حلاوه
١٠٠	جناب الشيخ على احمد صالح
١٠٠	جناب الشيخ ابراهيم مصطفى
١٠٠	جناب خليل افندى حموى
١٠٠	جناب الخواجه مترى حموى
١٠٠	جناب السيد سليمان الغربى
١٠٠	جناب السيد احمد عابدين
١٠٠	جناب الشيخ عبد الرزاق عثمان
٥٠٠	جناب السيد ابراهيم السنوسى
١٠٠	جناب الحاج على القيزانى
١٠٠	جناب الشيخ بكرى محمود
١٠٠	جناب السيد رمضان العزونى
١٠٠	جناب الشيخ صالح المغربى
٢٣٠٠	الجمله

(ترجمة المؤلف رحمه الله تعالى)

موشاة بها أواخر كتاب المنح البادية في الأسانيد العالية لسيدنا الفهامة محمد بن عبد الرحمن بن عبد القادر الفاسي نفع الله به وها نصها بالحرف ومنهم شيخنا الشيخ الفقيه العالم العلامة العامل المشارك المتفنن المحقق الصدر الاوحد سيدي الحسن بن مسعود اليوسي دفين تمزيزت بمزدغة قريبا من روضة سيدي بذا على توفي رضي الله عنه في العشر الاواخر من ذي الحجة عام اثنتين ومائة وألف بعد قدومه من الحج بشهرين ونظم تاريخ وفاته الفقيه الارضى الخير أبو عبد الله محمد ابن حدوا بن كيران الفاسي في بيت وهو

(علت رتب) اليوسي ليلة (حاطه) * بجمعة ثاني عام حجه الافضل

وقوله حاطه ثلاثة وعشرون وقوله بجمعة ثاني عام حجه الافضل معناه في ذي الحجة الذي بعد العام الذي حج فيه وكان أخذ الطريقة عن الشيخ أبي عبد الله سيدي محمد بن ناصر الدرعي المتوفى عام اثنين وثمانين وألف ولقي جماعة من المشايخ والعلماء بمصر وغيرها وله تآليف وأدعية ورسائل ووصايا ومن تآليفه زهر الاكم في الامثال والحكم وتأليف صغير نحو كراستين تضمن جملة ما يجب على المكلف وهو البالغ العاقل من الرجال والنساء أن يعرفه من أصول الدين وفروعه وقصيدته الدالية في مدح شيخه سيدي محمد بن ناصر وشرحها (وهو هذا) وحاشية على مختصر السنوسي وحاشية على شرح الكبرى للشيخ السنوسي ومن تآليفه القانون في العلوم ومنها المحاضرات ومن تآليفه الكوكب الساطع في شرح جمع الجوامع لم يكمل بلغ فيه اذا الفجائية ومنها تأليف سماه باسمين أحدهما مناهج الخلاص من كلمة الاخلاص والثاني مشرف العام والخاص

من كلمة الاخلاص ومنها شرح على الصغرى سمعت به ولم أره ومنها سؤال وجوابه فى نعيم أهل الجنة ومنها سؤال وجواب فى وصل الشعر ومنها القول الفصل فى تمييز الخاصة عن الفصل ومنها ديوان شعر جمعه غيرى ومنها حاشية على تلخيص المفتاح لم تكمل وله كلام فى كراريس مع الشيخ أبى محمد عبد الملك التجموعتى الغيلانى فى قوله صلى الله عليه وسلم أوتيت علم كل شئ وتجلى لى علم كل شئ وله تقييد ردّ فيه على القرافى فى تقسيمه كلام الله تعالى الى قديم وحادث ومن تآليفه شرح لم يكمل على الطالع المنتشر ومزامر المنطق نظم الشيخ سيدى العزيز بن الشيخ سيدى يوسف الفاسى ومنها كلام على قول الشيخ خليل فى مختصره وخصصت نية الحالف وقد وقفت على نسخة منه فى نحو أربع ورقات وهذا الشيخ لقيته مرارا وتبركت به ولما قدم من حجه عام اثنين ومائة وألف سرت صحبة شيخنا الفقيه العلامة أبى عبد الله سيدى محمد بن المنارى الى قنطرة سبدا من فاس المحروسة وهى محل نزول الحاج يوم قدومه الى فاس فادخلنا على الشيخ رضى الله تعالى عنه محله الذى نزل فيه وتبركنا به وجلسنا معه ساعة ثم انفصلنا عنه وهذا آخر عهدى به الى أن بلغنى خبر موته رحمة الله تعالى عليه ومما أحفظه من شعره رضى الله تعالى عنه

أنا أناس لست تبصرنا * نتحين الطعم التى تزرى
يعرى الفتى ويجوع وهو يرى * متجملا بالبشر والصبر
والحرة الشماء ربتما * جاعت ولم ترضع على أجر
واذا ترى طيرا بمزبلة * فالطير غير الباز والصقر
واذا رأيت المرء مختشيا * كاس الهوان فليس بالحر

بسم الله الرحمن الرحيم يقول محمده الفقير الى مولاه حمزة فتح الله
سبحانك يامبدع الكائنات على أكمل الصفات ومودع الفضل من
تشاء ومسبغ عليهم ذيل النعماء حتى غدوا نبراس الرشاد وذكاء الهدى
للعباد انا نستدر صلاتك وأزكى صلاتك على مصون سرك الذى
ضاق عن كتمانه صدر عنصر الوجود فأبرزت مستكن ضميره
فى عالم الشهود محمدك الذى توج به هام الرساله وكشفت غياهب
الضلاله وعلى اخوانه المرسلين وسائر المقربين وبعد فقد لاح بدر
التمام وفاح مسك الختام من شرح سيدنا الهمام الحسن بن مسعود
اليوسى بل الله تعالى ثراه وجعل الفردوس مثواه فازدرى بالطل
انسجاما والدر انتظاما وعبقت نفحاته وأديرت على الالباب راحاته
وصدحت بايكته ترجمته البهيه موشى طرازها بتلك المقالة السنيه
ببنان الهمام الكامل الذكى الفاضل حضرة سليم أفندى حوى
وجرى ذلك بنفقته وطباعته بمطبعته المسماة مطبعة الكوكب
الشرقى بالاسكندريه فى عصر من ازدانت به التيجان الخديويه الملك
الافخم والدستور الاعظم أفندينا اسمعيل باشا أناله تعالى من الخير
ماشا وذلك لخمس بقين من شهر رمضان المعظم من سنة احدى
وتسعين بعد المائتين والالف من الهجرة النبويه على صاحبها
أكمل الصلوات وازكى التحيه ولقد كلفت الفكرة الخامده
والقريحة الجامده بتقريظين على هذا الكتاب والله الموفق لطرق
الصواب أولهما وهو مجرد عن التاريخ

ألا أبلغا سهدى نسيم الصبا النجدى * عسى عرف رياه يبل صدى وجدى

وعل

وعلل به من ساكني الحي نفحة * ينجز من تلك الاماني بها وعدى
فيا هتن الوسمي في ربع أغيد * لديهم بذات الشيح طال به عهدى
فيسل من الاجفان وهو غزيل * ظبي تكلم الاجفان من مهج الاسد
وربتما وافى على رغم عاذل * وأنهلنى من وصله أعذب الورد
قضينا لبانات الغرام وعوجت * قروح حشى أودى بها الحظه الهندى
وراع محياه الدجى وهو غاسق * ففاجأنا اصباحه أشيب الفود
وقلد سمى الدر منثور عتبه * كما قلد اليوسى القصيدة بالعقد
تحوم المعانى الغر حول فنائها * فتزرى بطل الروض والجوهر الفرد
ويعبق فيها عرف أخلاق شيخه * كما عطرت زهر الربى نفحة الورد
موائد عرفان فما شئت من هدى * وماشئت من وعظ وماشئت من رشد
سقى صيب الرضوان تربة قبره * واسكنه الفردوس من جنة الخلد

وثانيهما مؤرخ وهو

أنسيم نجد بالزيارة مبتدى * أمسى يروحني بطيب المعهد
أم تلك سلمى بعد صد سلمت * أحيت وأروت قلب مشتاق صدى
أم أكؤس تجلى بحانات الصفا * من كف مكحول رشيق أغيد
أم ذى مدائح للفتى اليوسى السرى * في شيخه الدرعى الولى الاوحد
رقت وراقت من مواعظ قد رقت * صدر العلا في مصدر أو مورد
مدح البلاغة والفصاحة والبرا * عة والسنا تفرى قلوب الحسد
يتلى على اذن الليالى صفوها * بمحاسن تزرى بعقد مفرد

لما تبدى قلت تاريخا جلا * طبع سليم بمدح شيخ سيد

٣٤ ٨١ ١٤٠ ٥٢ ٩١٠ ٧٤

سنة ١٢٩١

(تنبيه)

لا يسوغ لاحد طبع هذا الكتاب الا لهذه المطبعة

هذه عقود نثرت جمانها فكرة شيخ الاسلام
أستاذ العلماء الكرام العلامة الحسن بن
مسعود اليوسى شرحا على قصيدته
الداليه التى هى فى جبين القريض
غرة بهيه احدى تهانى شيخه
الغوث سيدى أبى عبد
الله بن ناصر الدرعى
عمت بركاته
آمين

طبع بمطبعة الكوكب الشرقى بالاسكندريه
سنة ١٢٩١ هلاليه

(بسم الله الرحمن الرحيم)

وصلى الله على سيدنا ومولانا محمد وآله وسلم قال الشيخ الامام والصدر الهمام حجة الاسلام امام الطريقه ومعدن الحقيقه الاجل خاتمة المحققين علم المهتدين أبو على شيخنا الحسن بن مسعود اليوسى رضى الله تعالى عنه

الحمد لله أهل الحمد والثناء ذى العظمة والكبرياء والسناء وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد المحمود فى الارض والسماء وعلى آله وأصحابه ذوى القدر الاسما والمنزلة الشما (أما بعد) فقد كنت سنة سبع وسبعين قلت قصيدة أمتدح بها شيخنا الربانى واستاذنا العرفانى اوحد زمانه فى العلم والدين وشيخ أوانه فى تربية المريدين سيدنا

أباعبدالله محمد بن ناصر الدرعى أمتع الله بوجوده وأسبغ عليه وعلينا به سوابغ جوده وأهنيه بعقبله من جنته الثمانية (فرأيت) كثيرا من رواتها تنبو أفهامهم عنها و يستغربون كثيرا منها فيعدون الدهس منها ضرسا والسلس شكسا وماذاك الا لعموم الغباوة والجهل على أبناء الدنيا وتقاصر هممهم عن العلوم ولاسيما علم اللسان فأردت أن أصنع تقييدا مختصرا يبين لحفاظها ماعسى أن يشكل من ألفاظها غيرمتصد لتقرير معانيها وتحرير مالم يكن عنه بد من مبانيها اذ ذاك يتسع و يفتقر الى زمان وفصول فان القصيدة بحمدالله تعالى من بركته اشتملت من العلم على أنواع فى كل منها مجال رحب للترك والايضاع (فمن فنون العرب ثمانية) النسيب والامثال والحكم والوصايا والوقائع والمديح والاستعطاف والتسنية وفيها غيرذلك كالاوصاف والافتخار وسير المطايا ونحو ذلك (ومن فنون التصوف أربعة) الوعظ وشرح المملكة الانسانية وآداب السلوك ومنازل السالكين الى مايتبع ذلك كنسب الطريقة وصفة القدرة ونحوذلك وفيها مع ذلك جملة وافرة من اللغة ينتفع بها حفاظها

هذا الى مااحتوت عليه من براعة المطلع وحسن التخلص والانتهاء الى ماتركبت عليه من ضروب البلاغة ومادبجت عليه من أفنان البديع وكل ذلك بحمدالله تعالى على أبلغ وصف وأبدع رصف وحسبك منها انها قدطالت الى نحو خمسمائة بيت وأربعين بيتا ولا يوجد فيها روى مكرر ولا ضرورة تستنكر واذا تأمل ذلك كله وغيرذلك من محاسنها اللبيب المنصف عدها كرامة من كرامات الشيخ

الممدوح بها فاني والله ليس لي فيه قوة ولا حول وانما هي نفحة من
نفحاته وبركة من بركاته وانما هو كما قال أبو الطيب

وأخلاق كافور اذا شئت مدحه * وان لم أشأ تملي علي فأكتب

بل كما قال الآخر

لا تنكرن اذا أهديت نحوك من * علومك الغر أو آدابك النتفا
فقيم الباغ قد يهدي لمالكه * برسم خدمته من باعه التحفا

وأصل هذا المعنى لابي الحسن بن طباطبا حيث قال

لا تنكرن اهداءنا لك منطقا * منك استفدنا حفظه ونظامه
فالله عز وجل يشكر فعل من * يتلو عليه وحيه وكلامه

ومن محاسنها أن نسيبها جار على اسلوب معظم القدماء من بكاء منازل
الاحباب وعلى التحقيق لا على مجرد الفرض كما هو حال معظم المحدثين
والله الموفق وهذا أولها

عرج بمنعرج الهضاب الورد * بين اللصاب وبين ذات الارمد

التعريج حبس المطية مثلا على المنزل والمنعرج المنعطف والهضاب
الجبال المنبسطة على الارض جمع هضبة والورد جمع وارد وهو المشرف
على الماء والداخل فيه واللصاب الشعاب الضيقة جمع لصب بكسر
اللام والارمد على لون الرماد
والمعنى ان الشاعر جرد من نفسه مخاطبا فأمره بحبس الركاب والوقوف
عند هذه الجبال بين تلك الشعاب وبين تلك الارض الرمداء التراب
لانها كانت منازل الاحباب وهي منازل معلومة في أرضه ومنازل

لقومه

لقومه وكذا ماذكر بعد هذا البيت ووصف الجبال بالورد
وفي البيت براعة المطلع لاعتبار الهضاب هضاب العلم والدين الواردين
من عين الحقيقة وبحر الشريعة كالشيخ الممدوح بها رضي الله تعالى
عنه والتعريج حبس مطايا الارواح والقلوب والابدان على مخالتهم
ومودتهم وخدمتهم والاستفادة منهم والاقتداء بهم وشكرهم على
ذلك بالافعال والاقوال ومن الشكر الثناء عليهم كهذه القصيدة
في هذا الشيخ ومن لم يشكر الناس لم يشكر الله

أفادتكم النعماء مني ثلاثة * يدي ولساني والضمير المحجبا

ثم قال

وأجزمن الجزع الذي بحضيضه * أجداث أصداء العشير الهمد

الاجازة والجواز بمعنى تقول جزت المكان وأجزته وكثيرا ما يفرق بينهما
فيقال جاز المكان اذا سار فيه وسلكه وأجازه الى خلفه والجزع
بالكسر منعطف الوادي ومنقطعه الذي ينجزع فيه أي ينقطع
والحضيض القرار من الارض حيث ينقطع الجبل والاجداث القبور
جمع جدث بفتحتين والاصداء اجساد الموتى جمع صدى بالقصر والفتح
والعشير المعاشر والصديق والقريب والالف واللام فيه للجنس
ولذا وصف بالهمد أي الاموات جمع هامد نحو قوله تعالى أو الطفل
الذي لم يظهروا على عورات النساء ومن كلام العرب أهلك الناس
الدينار الصفر والدراهم البيض
ومعنى البيت انه أمره أيضا أن يجيز البلد أي يسلكه أو يقطعه من

ناحية هذا الوادى الذى كانت بأسفله قبور العشائر والاحبة الها لكين وهذا أيضا موضع معلوم كانت فيه مقابر قومه ومنهم والده رحمة الله تعالى عليه وعلى جميع المؤمنين ثم قال

وار بع على الربع المحيل هنيئة * ان الربوع ربيع قلب الاكمد

الربع الوقوف ومنه قول العرب اربع على نفسك وعلى ضلعك وهو مصدر قولك ربع يربع والربع المنزل والمحيل الذى حال عليه حول يقال أحال فهو محيل ومحول وهنيئة ساعة وفى نسخة تعلة وهى ما تتعلل به والربيع المطر والزمان الذى يكون فيه النور والكمأة وأطلق على ماترتاح اليه النفس كما فى الحديث اللهم اجعل القرآن العظيم ربيع قلبى وذلك لان النفوس ترتاح عند الربيع وتنبسط والاكمد المحزون حزنا شديدا ومعنى البيت الامر بالوقوف والمكث عند منازل الاحبة تعللا بها فانها أنس القلوب وريحان النفوس ثم قال

وقف المطى على ديار أحبة * كانوا الغياث من الزمان الانكد

وقف المطايا حبسها تقول منه وقفت والامر منه قف وديار الاحبة منازلهم وفى نسخة منازل جيرة جمع جار والغياث اسم بمعنى الاغاثة وهو بكسر الغين وتخفيف الياء ويطلق على الشخص مبالغة فيقال فلان غياث قومه أى هو الذى يستغيثون به فيغيثهم والزمان الانكد الضيق أو العسر أو المشؤم ومعنى البيت ظاهر ثم قال

واذا

وإذا مررت فى حى ان هم * أذنوا اليك أو المنازل تردد

المرور بالموضع المجاوزة عليه والحى البطن من الناس وأذن اليه بكسر الذال أى استمع له ومعنى البيت انه يقول ان مررت بمنازل حى فيهم أى سلم عليهم ان وجدتهم بها فاستمعوا اليك وان لم تجدهم فى المنازل أى سلم عليها ترد عليك السلام لانها لا تتركك من كثرة عرفانها لك ثم قال

قوم عزيز جارهم لكنهم * يسلو بهم عن والدين ومولد

السلوان النسيان تقول أسلى عن حبيبه وسلاه وسليه سلوا وسلوانا اذا نسيه ومعنى البيت انه وصف القوم الذين ذكروا قبل بوصفين أحدهما المنعة وعزة الجناب وكنى عن ذلك بعزة الجار والثانى الاحسان وكرم الاخلاق وكنى عن ذلك بكون الغريب يسلو بهم عن والديه ولا أحب منهما وعن وطنه الذى هو أول أرض مس جلده ترابها وناهيك بما ينسيه ذلك وهذا تأكيد المدح بما يشبه الذم ثم قال

من كل ذى شمط جذيل رائش * رأيا كسهم فى العويص مسدد

الشمط بياض فى شعر الراس يخالطه سواده شمط الرجل بالكسر فهو أشمط والجذيل تصغير جذل بكسر الجيم وهو فى نحو هذا عود ينصب للابل الجرباء تحتك به ويقال للرجل يرجع اليه ويستشفى برأيه جذل حكاك والجذيل المحكك والتصغير للتعظيم ومنه قول الانصارى أنا جذيلها المحكك وقد بسطنا الكلام عليه فى زهر الاكم وراش

السهم بريشه ألزق عليه الريش والرأى نظير العقل والعويص الشديد الصعب من الامور والمسدد المقوّم ومعنى البيت ان القوم المذكورين منهم الاشمط يستشفى برأيه فكأن آراءه فى كل مشكل سهام مريشة مقومة ثم قال ٭

وأشم مكتهل كعضب باتر ٭ أعددته للنائبات مجرّد

الاشم السيد ذو الأنفة والمكتهل الذى صار كهلا وهو دون الشيخ والعضب الباتر السيف القاطع واعداد الشئ ادّخاره لوقت الحاجة اليه والنائبات ماينزل بالانسان من أمور الدهر والمجرّد المسلول من غمده ومعنى البيت أن منهم أيضا من هو كهل ذو سودد وذو نفاذ فى الامور كأنه السيف المسلول ثم قال

جود لدى جود وطود شامخ ٭ حلما وعود فى الخطوب سمهدد

الجود بفتح الجيم المطر الغزير والجود بضم الجيم السخاء والطود الجبل والعود المسن من الابل وهو أصبرها والسمهدد الجسيم منها ومعنى البيت وصف الكهل المذكور بأنه فى غاية الجود وفى غاية الحلم وفى غاية الصبر والاحتمال عند الخطوب النازلة وشبهه فى ذلك بثلاثة أشياء المطر الغزير والجبل العظيم والعود الجسيم على الترتيب ولم نتكلم على ما فى هذا وغيره من أنواع البلاغة للاختصار ثم قال

وفتى له اغناه كهل مشهدا ٭ وحجا المشيخة فى حداثة أمرد

الفتى الشاب والحجا العقل والمشيخة جمع شيخ والحداثة الصغر فى السن

والامرد

والامرد غير الملتحى ومعنى البيت أن من القوم أيضا من هو شاب والكنه يغنى فى المشاهد أى مواطن الحرب اغناء الكهول أى يقوم مقامها وهذا على مذهب من يرى تفضيل الكهول والمشايخ فى اللقاء لما لهم من التجربة والثبات وله أيضا عقل المشايخ مع حداثة السن ونسب الاغناء للكهول لانها أقوى والحجا للمشايخ لانها أعقل ثم قال

وقف عليه نواظر ومسامع * لسنا وليث فى اللقاء مجرد

الوقف الموقوف تقول هذا وقف على هذا أى موقوف عليه والنواظر نواظر العيون واللسن بفتحتين الفصاحة تقول لسن بالكسر فهو لسن والليث الاسد والمجرد المغضب تقول جرد بالكسر غضب ومعنى البيت وصف الفتى بأن عيون الناظرين محبوسة عليه لصباحته ومسامعهم مصغاة اليه لفصاحته وهو مع ذلك فى المواطن كالاسد اذا غضب شدة بأس وكراهة ملقى وهذا آخر التقسيم الذى ذكره فانه قسم القوم الى شيخ وكهل وشاب فاستوفى وأحسن الترتيب ثم قال

وأفض غروب الدمع فى عرصاتها * واستنجدن غر الغمائم تنجد

يقال فاض الماء فيضا اذا كثر حتى سال والغروب جمع غرب ويطلق على الدلو العظيمة وعلى عرق فى العين وعلى الدمع وعلى سيلانه وانصبابه والعرصة الرحبة لابناء فيها والاستنجاد الاستعانة وغر جمع غراء وأغر وهو الابيض والاشهر من كل شئ ومعنى البيت الامر بافاضة

غروب الدمع أى دلائه على الاستعارة أو عروقه التى تسقى أو الدموع المنهلة على اضافة الصفة للموصوف فى عرصات تلك الديار أى ديار الاحبة المذكورة أولا وأن يستعين بالغمائم لتعينه على البكاء وفيه ان دموعه وقطر الغمام سواء ثم قال

فلعل عبرة ساعة يشفى بها * ارباب وجد فى الجنان مخلد

العبرة بفتح العين الدمعة والارباب الاقامة يقال أرب بالمكان أربابا أقام به والوجد بالفتح الحزن والجنان بالفتح القلب والمخلد المدام وفى نسخة محول مستوقد أى حزن طويل مشتعل يقول أكثر من البكاء لعل البكاء يشفى ما بالفؤاد من الحزن الدائم ثم قال

ثم اسقها فلطالما أسقيتها * بدل الحيا بمعين عينك تثأد

السقى معروف تقول سقيت فلانا اذا أعطيته الماء وكذا سقيت الارض وتقول أسقيته اذا دعوت له بالسقى فقلت سقاه الله هذا الافصح وربما كان بمعنى الاول والحيا المطر والمعين الجارى والثاد الندى ومكان تئد وثاد ومعنى البيت انه يقول اسق هذه المنازل بمعين عينك أى بالدمع بدل المطر تثأد بذلك فلطالما كنت تدعو لها بالسقى قبل أن تقف عليها فالمجرور أعنى بمعين متعلق باسقها ومن الفرق بين سقى واسقى قولى

سقى الله جيرانا بأكثبة الحمى * من العارض الهتان صوب عهاد
بلاد بها حلت سليمى وأهلها * فحل فؤادى عندها وودادى
وانى متى أسقيتها أو بكيتها * هياما فما أسقيت غير فؤادى

ثم قال

وطن عهدت به الشبيبة والصبى * الفين ليس أخوهما بمنكد

الوطن محل الاقامة والشبيبة الشباب والصبا بالكسر والقصر ما يكون فيه من الجهل والفتوة والصباء أيضا بالفتح والمد اللعب ويصحان معا هنا والمنكد المضيق من نكد عيشه بالكسر ضاق ومعنى البيت انه يصف الوطن الذى ولد فيه وقضى فيه أيام الشباب والصبى وهما ألذ شئ الى النفس أى تلك المواطن السابقة هى وطنى ثم قال

ورفلت فى أثواب عيش باسق * عذباته أنق المحيا أرغد

يقال رفلت أرفل اذا جر ثوبه وتبختر والباسق الطويل بسقت النخلة بسوقا طالت وعذب كل شئ بفتحتين وعذبته طرفه والانق السرور والفرح ومحبة الشئ والاعجاب به وانق بالكسر فهو آنق والمحيا الوجه كله أوجزؤه والارغد الواسع ومعنى البيت انه يقول فى ذلك الوطن كنت أتبختر فى عيش واسع غير أنه تارة يتخيل العيش كاللباس فينسب اليه الرفلان وتارة كالحدائق المثمرة فيجعل أشجاره مرتفعة طويلة الاعالى وتارة كالشخص المأنوس به فيجعل وجهه معجبا أوفرحا مستبشرا وهذا كله تلون فى الاستعارة التخييلية واعلم انه افتتح القصيدة أولا عربية غير مولدة على نفس أهل البدو لبسة العباء وحواشة اليرابيع ومضغة القيصوم ورعاة اليعضيد وحلبة الشول ونفسهم والله أولى بالانتحال وأحق بالقبول والاقبال لانهم فرسان

البراعه وقادة الناس فى هذه الصناعة غير أن ألفاظهم اليوم عادت مستودعة ومذاهبهم أصبحت منكرة وذلك لغلبة العجمة على أهل الزمان فاقتصروا على ألفاظ محلولة وتراكيب مصنوعة يتداولونها بينهم ويعدون ماسواها غريبا وحشيا ولم يعلموا أن الغريب انما يستعمل بعد معرفة المستعمل من لغة العرب بالتبحر فيها والاطلاع على معظمها والا فالمجهول المجترى بسقط الريح جميعها عنده غريب فلذلك أراد أن يكثر من ذلك النفس فى هذه الابيات شيئا ما تنفيسا عن الطالبين واحماضا للمتعالمين وينعو منحى نفس أهل الحضر لبسة السندس وقطفة النرجس مع التزام الفصيح المستحسن والتحرز عن المستبذل المستهجن ثم قال

وقطفت من زهر السرور نواضرا * وهصرت منه بالغصون الميد

قطفت النور جنيته والناضر الحسن الناعم والهصر الكسر والميد جمع مائد وهو المتمايل من النعمة والرى ومعنى البيت انه يصف مانال من السرور واللذات فى ذلك الوطن وجعل لذلك أزهارا وغصونا على سبيل التخييل ثم قال

أيام كنت رخى بال فى ذرى * حدب على موسن وموسد

الرخى البال الناعم القلب الفارغه من الهم وأصله من الرخاء وهو سعة العيش يقال رخو بالضم ورخا يرخو ورخى يرخى فهو رخى والذرى بالفتح الساحة والجنا والحدب بفتح فكسر المدافع حدب عنه دافع عنه حدبا والموسن المنوم من السنة وهى أول نوم والموسد جاعل

الوساد

الوساد ومعنى البيت انه يقول ان ذلك العيش وذلك السرور كان أيام
رخى البنال فارغا من الهموم والاشغال لكونه كان فى كنف والد
يدافع عنه كل غم ويوسده وينومه وذلك أيام الصبا أيام الصحة والفراغ
والعيش الهنى والقلب الخلى ثم قال

ألهو بأحداث الزمان مراغما * لانوفها عبث الوليد المستدى

اللهو معروف واحداث الزمان ماينزل بالانسان وهى فى الاصل
شاملة لما ينزل من خير وشر ولكن اذا أطلقت فى هذا المعنى أريد
بها خصوص حوادث الشر والهم والمراغمة المغالبة والمقاهرة من
قولك رغم أنفه بالكسر اذا التصق بالرغام أى التراب واستعمل فيما
اذا هان وذل وأرغم الله أنفه فعل به ذلك وأرغمت فلانا كذلك ولم
ترد به المفاعلة فى نحو هذا وان كانت أصله والعبث بفتحتين هو اللعب
بلا مبالاة والوليد الصبى والمستدى اللاعب بالجوز يقال سدى
الصبى بالجوز واستدى بها وزدى وازتدى اذا كان بها لاعبا ومعنى
البيت انه كان فى أيام الصبى لايبالى بنوائب الدهر واحداثه أقبلت
أو أدبرت فهو يضحك منها ويلعب بها كما يلعب الصبى بالجوزة وفى ذلك
رغم أنوفها حيث لم تجد سبيلا الى التأثير لافى بدنه لرفاهيته وقيام غيره
عنه بما يحتاج اليه ولافى قلبه لغرة الصبا وجهالة الفتوة وعدم التهمم
والتفكر لافى الحال ولافى المآل ثم قال

مرخى العنان بروض كل لبانة * مرحا بها مرح الفلو المخضد

ارخاء العنان كناية عن الاطلاق وعدم الوازع والزاجر والآمر وذلك

فى الصبا موجود من جهة الشرع اذ القلم مرفوع عنه اذ ذاك ومن جهة العادة اذا كان مرفها والابانة الحاجة تقضى ولكن من غير فاقة بل بحكم الشهوة واقتراح النهمة فقط فهى أعلى من مطلق الحاجة وأخص والمرح بفتحتين الاشر والبطر والتبختر والاختيال والغلو على مثال عدو المهر هنا ويقال أخضر المهر اذا جاذب المرود نشاطا ومرحا ومعنى البيت انه وصف وصفا آخر من الانطلاق على اللذات مع غاية السرور والمرح ثم قال

لا أختشى ظفرا ولا نابا ولا * أشجى لبين مغور أو منجد

أصل الظفر والناب للمفترس كالاسد وهما آلته المخوفة منه ثم يقال فلان أصابه ظفر الدهر ونابه أو هو بين الظفر والناب وذلك على الاستعارة التخييلية بأن يجعل غير الاسد أسدا كما يقال أنشبت المنية أظفارها بفلان والشجى الحزن والمغور سالك الغور وهو ما انخفض من البلاد والمنجد سالك النجد وهو ما ارتفع وكان ذلك فى بلاد العرب معلوما ويصح أن يطلق فى غيره ومعنى البيت انه وصف أيضا نفسه بوصفين أحدهما انه آمن فلا يختشى ناب الدهر ولا ظفره وذلك لكونه مكفيا والثانى انه خلى الفؤاد من الحزن فلا يسأل عمن طلع ولا من هبط وذلك لعدم الهوى والسلامة من نار الصبابة ولا اجتماع الشمل وعدم عدوان البين ثم قال

والدهر سلم والخطوب غوافل * والعيش غض والامانى حفد

السلم مصدر سالم يقال فلان سلم لك أى مسالم وحرب أى محارب والخطوب

الامور

الامور والشؤن والغض الناعم والامانى جمع امنية وهو ما يتمنى و يطلب والحفد جمع حافد أى خادم و يقال أيضا حفدة ومعنى البيت انه يقول ان ما تقدم من العيش الرخى فى تلك الايام السالفة كان والحالة ان الدهر مسالم لا يرمى بمصائبه والخطوب غافلة لا تنتهش بأنيابها والعيش ناعم طرى لم يتكدر بذبول نفاد ولا قلة والمنى داعية كلما دعيت أجابت وهذه مبالغة وهى أن تكون المنى طالبة غير مطلوبة وخادمة غير مخدومة وهذا الامر موجود للصبى لانه مكفى ما يرهب وممنوح ما طلب ولذا يقال احكم حكم الصبى على أهله ثم قال

بدوحة فينانة أو روضة * بخميلة أو فى يفاع أنجد

الدوح العظيم من الشجر والفينانة الكثيرة الورق الطويلة وأصله فى الشعر يقال امرأة فينانة كثيرة الشعر ورجل فينان حسن الشعر طويله والروضة الموضع يستنقع فيه الماء وتكون من البقل والعشب والخميلة المنخفض من الارض يكون مكرمة للنبات أو والرملة تنبت الشجر واليفاع التل من الارض وهو الرابية والانجد المرتفع ومعنى البيت انه ذكر شيئين يستحسنان فى مرأى العين وهما الاشجار الناضرة المهتدلة والروضة وفى نسخة بل روضة للانتقال من الاول الى الثانى على رأى من يجعلها لذلك بعد النفى ثم قيد الروضة بأن تكون اما فى الخمائل أو فى النجود وهما أبهج زهرا ثم قال

سحبت عليه ذيولها مزن الحيا * وسخت عليه بكف واكفها الندى

السحب الجر والذيول جمع ذيل والمزن جمع مزنة وهى السحابة والبيضاء

منها وذات الماء وسحت جادت تقول سحا عليه يسحو سحوا أي جاد عليه والواكف المنهل من المطر ومعنى البيت انه يصف المكان الذي يكون روضة ويصف الازهار المونقه والاشجار المورقه بأن السحائب قد جرت عليه ذيولها وجادت عليه بمائها فأثبت للسحاب الذيول تخييلا لانبساطها على الارض وأثبت لها الكف الذي يكون به الجود وفي الندى تورية ثم قال

يسقى من الوسمي مترع كاسه * ويصان من نسج الولي ببرجد

الوسمي مطر الربيع الاول والمترع المملوء والصون الستر والولي المطر بعد المطر والبرجد ثوب غليظ مخطط ومعنى البيت انه يصف المكان أيضا بأنه يسقى كؤس المطر الاول مترعة وفي ذلك نهاية الري ويلبس من وشي الكلا والزهر بعد الثياب التي تعفيه وتستره وفي ذلك نهاية الحسن وهذا كله استعارات ثم قال

من كل سابغة الذيول كانها * عكر تسام على الربى بالمرعد

سابغة الذيول كاملتها وهو وصف للغمامة والعكر بفتحتين وقد تسكن الكاف الكثير من الابل فوق الخمسمائة وسومها واسامتها رعايتها والربى جمع ربوة وهو ما ارتفع من الارض ومعنى البيت انه يبين ما مر من الحيا أو الوسمي أو الولي وانه كل سحابة سابغة الذيول أي منتشرة على الارض كانها الابل الكثيرة التي تجتمع وترعى فوق الربى وشبه صوت الرعد بصوت الراعي لانه يحثها ويحركها وجعله مرعدا باعتبار أنه ملك يرعد ثم قال

نثر الجنوب جمانها فتقلدت * لبب الرياض بحليها المتبدد

النثر التفريق والجنوب الريح التى تقابل الشمال قالوا ومهبها من مطلع الشمس الى مطلع الثريا والجمان اللؤلؤ والتقلد التحلى بالقلادة واللبب بفتحتين اللبة وهى المنحر وموضع القلادة من الصدر وأنث فعله لاعتباره لبة أولا كتساب التأنيث من المضاف اليه والحلى ما يتحلى به من جواهر وعين مثلا والمتبدد المتفرق ومعنى البيت انه يصف تلك السحاب بأن الرياح نثرت ماءها على الارض فوقعت القطرات على الارض كانها اللؤلؤ فى الاجياد وهذا كله استعارة ثم قال

فتدفقت أنهارها وتفتقت * أزهارها فى روضها المستأسد

استأسد الروض اذا التف نباته وكثر ومعنى البيت انه يصف البقعة بعد وقوع الغيث عليها بأنها تدفقت أى تفجرت أنهارها وتفتقت أى تفتحت أزهارها فى روض كثير النبات أثيث العشب فناهيك بها مرتعا ومنهلا ثم قال

وتساجلت أطيارها وتمايلت * أشجارها كالمثمل المتميد

التساجل التباهى فى السقى بالسجال وهى الدلاء ثم استعمل فى المباراة فى الغناء والشعر ونحو ذلك والمثمل الذى أثمله الشراب أى أصاب عقله والمتميد المتميل سكرا ومعنى البيت انه يصف الروضة أيضا بغناء الاطيار وذلك دليل لغصنها اذ لا تنزل الاطيار الا على ذلك ولا تغني الامعه وبتمايل الاشجار لريها ونضارتها ثم قال

وجرى لطيف نسيمها برياضها * جرى الزلال بغصنها المتأيد

النسيم الريح اذا كان ضعيفا فوصفه باللطيف كالكشف له والزلال الماء الصافى والغصن المتأيد المتمايل ومعنى البيت انه يصفها أيضا بأن النسيم يجرى فيها وهواءها ترتاح اليه النفوس وهو فى لطافته كالماء الجارى فى الغصون وهذا وصف آخر استتبعه وبالاستتباع يسمى فى البديع ثم قال

ماشئت من ثمر يلذ ومنظر * أنق وصوت فى الغصون مجسد

الثمر بفتحتين والثاء مثلثة حمل الشجر كائنا ما كان واللذة ضد الالم تقول لذذت الشئ ألذه اذا وجدته لذيذا والصوت المجسد المحسن على ألوان ومعنى البيت انه يقول فى الروضة ماشئت من الثمار وماشئت من منظر معجب وماشئت من صوت حسن للاطيار ففيها متعة الاذواق والابصار والاسماع ثم قال

وحباب جريال تخلخل ساق أملودها فخم الذوائب مائد

حباب الماء بفتح الحاء معظمه أو نفاخاته التى تعلوه والجريال بكسر الجيم الخمر والخلخلة أريد بها التخلخل أى تخلخل الماء لاصول الشجر وهذه اللفظة تقع فى كلام الادباء المتأخرين يقصدون بها التورية بلبس الخلخال بقرينة الساق معه فوقعت فى البيت على حسب ذلك ولم يوجد فيما وقع الينا من كتب اللغة خلخل بمعنى تخلخل نعم يقال تخلخل الامر والجيش اذا تفرق وهو كالمطاوع له ولم يوجد أيضا فى لبس الخلخال وانما يقال

تخلخلت المرأة اذا لبسته ولكن اطلاق المخلخل على موضع الساق يؤذن بجواز أن يقال تخلخله وتخلخلها فان لم يجز الاول وجاز هذا كان استعارة لاتورية بأن شبه الماء فى احاطته بساق الشجرة بالخلخال المحيط بساق الجارية وان جازا معا فهو تورية أو توجيه وقد وجدت اللفظة فى تخلخلت العظم أخذت ماعليه من اللحم وتصح الاستعارة منه أيضا لانه فى معنى البحث والتفتيش والماء يفعل ذلك فى الارض وتمام البيت جار على الامرين معا فان الاملود هو الناعم امامن الشجرة أو من أشخاص الناس والفحم الشديد السواد والذوائب اماذوائب الشعر وهو أصله واما الورق مجازا والمائد الناعم الذى يميده الرى أى يميله و يعطفه لنعمته ونضارته وان أريد به الشخص فهو يتمايل شبابا واختيالا أو تميله اليد الجاذبة وأطلق الجريال على الماء على التشبيه فى الحلاوة والصفا ومعنى البيت ظاهر مما ذكر والمراد حسن ذلك المنظر ثم قال

أو أمن ذى فرق خليع لبه * أو غفوة الاصباح بعد تهجد

الامن ضد الخوف والفرق بفتحتين الفزع يقال فرق بالكسر فرقا والغفوة النعسة والخليع اللب هو المخلوع القلب أى المنزوعه من الخوف والغفوة النعسة يقال غفا غفوة وغفوا واغفاء اذا نام والتهجد السهر وهو ترك الهجود أى النوم ومعنى البيت انه ذكر أمرين يستلذان أحدهما الامن عقب الخوف والفزع والآخر النوم فى الصبح عقب السهر وهما أحلى شئ ثم قال

أو عذب شارعة الفرات على ظما * أو وصل حب بعد هجر مبعد

العــذب من المـاء الحلو والمشرعة موضع الورود وفى نسخة الشارعة وهو وصف الوارد أطلق على المكان أو على المصدر وهو الشروع مجـازا والفرات بالضم نهر معروف بالـكوفة و يطلق الفرات على كل عـذب من المـاء جـدا والظمأ العطش الشديد والوصـل ضد الهجر والحب بالـكسر المحب والمبعد الذى طال زمانه وهو اما اسم فاعل كما تقول أبعد فلان من سـيره واما اسم مفعول كما تقول أبعدته فهو مبعد ومعنى البيت انه ذكر أيضا هنا أمرين آخرين يستلذان أحدهما المـاء العذب بعد العطش الثـانى وصل الحبيب لك بعد هجرانه الطويل ثم قال

يا الذمن تلك الليالى لو محـا * ما خطه الدبران سعد الاسعد

اللذة نقيض الالم والالذ أقوى لذة والمحو محو الـكتاب والخط الـكتب والدبران بالتحريك من منـازل القمر وسعد الاسعد منزل آخر و يقال له سعد السعود والجر ورأول البيت خبر ما النـافية فى قوله مادوحة فينانة أو روضة ومعنى البيت انه يقول ما الدوحة والرياض الموصوفة بما مر وما عطف عليهـا من الاشيـاء المستحسنة بألذ من تلك الليالى أى ليـالى الصـبا ألذ من ذلك كله لو كانت ترجـع وذلك بأن يبطل نحس الدبران الذى ذهب بها سـعد السعود فتأتى وهذا على ما اشتهر توهمه من كون الدبران نحيسا وكون سعد السعود سعيدا كما قال الشاعر

اذا دبران منك يوما لقيته * أؤمل أن ألقـاك غدوا بأسعد

فتوهم هنا ان الدبران أتى على ليـالى الصـبا وأيام الشباب بالذهاب والادبار فلو قام سـعد السعود فمحـا ذلك المكتوب لرجعت وكون ليـالى

الصبا وريعان الشباب ألذ شيء الى النفوس أمر لا يجهل وناهيك بزمان العيش فيه هنيء والقلب خلي والقوى في ازدياد والمنى طوع المراد وما أحسن قول ابن حديس في هذا

واذا فارقت أيام الصبا * فالليالي بأمانيك شحاح

ومن استلذاذ أيام الصبا كان حب النفوس للوطن وحنينها للمولد كما قال ابن الرومي

وحبب أوطان الرجال اليهم * مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذلكا

وان أردت الشفاء فيما ورد في هذا المعنى من كلام الشعراء فعليك بكتابنا زهر الاكم ثم قال

فثنى أعنتها الزمان وأسفرت * طلعاتها من بعد وجه أربد

ثنيت العنان ونحوه رددته والعنان عنان اللجام والاسفار الاضاءة والاطلاق يقال أسفر الصبح والطلعة الوجه والاربد من الربدة وهو لون مائل الى الغبرة والعرب تقول ظليم أربد ونعامة ربداء والجمع ربد ومعنى البيت أن سعد السعود لو محا النحس عنا لرجعت الينا ليالي الشباب فثنى الزمان الينا أعنتها أي أعنة الليالي واستبشرت وجوهها مقبلة الينا بعدما كانت عابسة معرضة ثم قال

واستبدل الايام ذابل عيشها * غضا وبالي وصلها بمجدد

الذابل ضد الغض ومعنى البيت انه لو كان ذلك لاستبدلت الايام عيشها الذابل بالعيش الغض الطري الناعم واستبدلت وصلها البالي بوصل

جديد وهذا كله مجاز على طريق الاستعارة ولما استعار لها نحو العنان والوجه صح للزمان للتصرف فيها ثم قال

سقيا لايام واخوان حدا * حدث الزمان بهم لانحى ملحد

تقول سقيا لزيد اذا دعوت له بالسقيا وحدا الرحل بالابل اذا غنى لها لتسير عند سوقها وحدث الزمان ما يحدث فيه كالموت وأنحى الرجل على آخر ضربا أقبل عليه بذلك واللحد الشق فى القبر وألحده جعل له لحدا ودفنه ومعنى البيت انه يقول سقى الله أياما مضت وهى أيام الشباب واخوانا ساقهم القضا الى تأثير المنايا فأنشب فيهم الظفر والناب ودفنهم تحت أطباق التراب وفى نسخة مضوا حدث حدا بهم لنخ ملحد وهى بمعنى هذه وتنكير الحدث فيها لتعظيمه كما يقال شر أهر ذا ناب ثم قال

ومنازل وظلال عيش مورق الا غصان ليس غرابه بمطرّد

يقال أورق الشجر اذا كان له ورق والمطرّد والمطرود بمعنى وهذا مثل يقال اذا كان فى الخصب والخير الواسع هم فى عيش لا يطار غرابه ولا يطير غرابه قال النابغة

ولرهط حراب وقد سورة * والمجد ليس غرابه بمطار

واستعمل فى البيت مطرد فى مكان مطار لانه فى معناه ووصف العيش بكونه مورق الاغصان مجاز وذلك ظاهر ثم قال

ومعاهد ومحاضر طارت بها * عنقاء مغربة الى متصعد

المعاهد

المعاهد المواضع التى عهدت فيها الاحبة والمحاضر موضع حضورهم وعنقاء مغربة ويقال لها عنقاء مغرب قيل اسم لايعرف له مسمى وقيل طائر عظيم كان يبعد فى طيرانه وكان فى زمن بعض الانبياء يختطف الصبيان فشكاه أهل البلد الى ذلك النبى فدعا عليه فقطع الله تعالى نسله يقول وطارت العنقاء بتلك المعاهد والمحاضر الى مكان لامطمع فى بلوغه كما قيل وطارت بذاك العيش عنقاء مغرب ثم قال

هل من عشايا فى غدايا مشر * مولية موشية من عوّد

العشايا جمع عشية والغدايا جمع غدية يقال غدا البلد يغدو اذا طاب هواءه وأرض غداة وغدية طيبة بعيدة عن الماء والوخم والمشر جمع ماشرة وهى الارض التى اهتز نباتها وقد يقال أرض ناشرة بمعناها ويقال مشرت الشئ مشرا أظهرته والمولية الارض سقيت بالولى وقد مرّ والموشية التى وشيت بأنواع النبات وأصناف الازهار والعوّد جمع عائدة أى راجعة ومعنى البيت انه يتمنى و يقول هل تلك العشيات التى كنا نتقاضى فيها طرائف اللذات فى الارضين الطيبات المهتزة بأنواع النبات تعود الينا وأدخل من على الخبر كما دخلت على المبتدا توكيدا للكلام ويجوز أن يكون الثانى مبتدا أيضا على نية استفهام آخر كما لو أردت أن تقول هل من رجل قائم فقلت هل من رجل هل قائم وتحذف الخبر فيهما وفى ذلك من المبالغة والدلالة على قوّة التلهف مالايخفى على كل من رزق حظا من الذوق فى أساليب الكلام العربى ثم قال

وتجاذب الخلصاء كاسات بها * ملانس أعذب من سلافة صرخد

التجاذب التفاعل من الجذب يقال تجاذبنا الكلام والحديث ونحو ذلك والخلصاء جمع لخلاص بالكسر وهو الخدن وجمع الخالص أيضا أي الصافي المحبة وهو القياس الكاسات جمع الكاس والانس ضد الوحشة وحذف نون من وهو جائز كثير والسلافة الخمر وصرخد بلد بالشام تنسب اليها الخمر وتجاذب بالجر عطفا على العشايا ومعنى البيت انه يقول هل تعود تلك العشيات واجتذاب الانس فيها بين الاحباب أحسن لذة وأطيب نشوة من تعاطي كؤس الخمر الصرخدية واستملاح العشية مشهور كما قيل

وعشية كم كنت أرقب وقتها * سمحت بها الايام بعد تعذر

وقال الحماسي

فليست عشيات الحمى برواجع * اليك ولكن خل عينيك تدمعا

ثم قال

ومطارفا ملود يلتحفو نها * يرخي الحفي على الحفي بمجفد

ويشونها جرا ببذل فائض * متكايلين ندى بأوفى محفد

وفرين فروتها بعز تالد * سمق أعاليه عريق المحفد

المطارف جمع مطرف على مثال مكرم وهو ثوب من خزمربع ذو أعلام والود الحب والالتحاف الاشتمال والارخاء الارسال والحفي الصديق المتعني النصوح والمحفد على مثال منفر طرف الثوب والوشي نقش الثوب من أي لون والجر ثياب موشية عندهم والبذل العطاء جودا والتكايل

من الــكيل تقول كلت له وكال لى وتكايلنا والندى المغناء والمغدق على وزان الاول قدح يكال به والوفر التحصين والحفظ والفروة ثوب معروف والفروة أيضا الغنى والثروة والعز التالد القديم الاصيل والسمق العالى يقال سمق الشئ سموقا اذا علا وطال والعريق المتمكن يقال أعرق الشجر اذا اشتدت عروقه فى الارض والمغد على مثال مجالس الاصل ومعنى الابيات الثلاثة انه يقول ان هؤلاء الخلصاء كانوا يتجاذبون ملابس من المودة يرخى الصديق على صديقه منها بطرف ثوبه حنانا وشفقة واحسانا وفتوة وذكر الثوب والالتحاف والارخاء مجازا عن اهداء الخير والتعميم بالبر والتعامل بالصفح والستر والتعاون فى القل والكثر وذلك ثمرة الود كما ذكره بعده وكانوا يشون هذه الثياب أى يزينونها بالبذل الغائض الكثير يكيل كل واحد لصديقه منه بأوفى مكيال فان الندى والاحسان هو زينة المحبة وآية المودة وكانوا محصنين فروتها أى حوزتها تعبيرا بالثوب عن ذلك مجازا وثروتها بعزة تالدة مرتفعة مبانيه ثابتة قواعده فان العز هو حافظ النعمة وكفيل العصمة وهذه أيضا مجازات ثم قال

هيهات يرتقب الزجاج اذا انفأى * ويعود شيخ فى شباب الغوهد

درجوا كما درج القرون وغالهم * ما غالهم والمرء غير مخلد

هيهات اسم فعل بمعنى بعد تقول هيهات زيد وهيهات السفر وهيهات يخرج عمرو أى هيهات أن يخرج والارتقاب الانتظار تقول رأبت الشئ اذا أصلحته وفى نسخة يتجبر بمعناه والانفئاء الانقطاع تقول فأيت الشئ

فانفأى والفوهد الغلام السمين التام الخلق المراهق والدروج المشي والانقراض تقول درج القوم اذا انقرضوا والقرون جمع قرن وهو من الزمان مائة عام ونحوه ومن الناس كل أمة انقرضت فهي قرن والغول الاهلاك غاله الشئ أهلكه ومعنى البيتين انه يقول هيهات أن تعود ليالي الصبا ويرجع عنفوان الشباب بعد ذهابه وهذا كل ما ذكر معه كما ان الزجاج اذا انكسر لا ينجبر والشيخ لا يعود غلاما فالاحبة الذين مضوا لا يرجعون الى يوم الحشر فانهم درجوا أي انقرضوا كما انقرضت القرون قبلهم وغالهم من المتون ما غال غيرهم والمرء لا مطمع له في الخلود في الدنيا فان كل نفس ذائقة الموت وهذا الكلام تخلص الى فن آخر وهو الوعظ والتذكير وخروج عن النسيب والتشبيب واعلم ان التشبيب عندهم في الاصل هو ذكر أيام الشباب واللهو والغزل ويكون ذلك في ابتداء قصائد الشعر ثم سمي ابتداء الامر تشبيبا وان لم يكن في ذكر الشباب وقال في لسان العرب تشبيب الشعر ترقيق أوله بذكر النساء وهو من تشبيب النار وتأثيرها وشبب بالمرأة قال فيها الغزل والنسيب والتشبيب النسيب اه وقال أبو الطيب اذا كان مدح فالنسيب المقدم ثم قال

فسقى مرابعهم شآبيب الرضا * ديما من الملك الكريم الأجود
وسرى المخاء الجرم عن سرواتهم * عفو العفو المفضل المتغمد

المرابع جمع مربع وهو المنزل في الربيع أطلق هنا على القبر تفاؤلا لان يكون محل تنعم والشآبيب جمع شؤبوب وهو الدفعة من المطر والديم

جمع ديمة وهي المطرة الدائمة وسرى الشئ عن الشئ القاه عنه والحيا الغيم والجرم الذنب والسروات الظهور جمع سراة ومعنى البيتين أنه يدعو للاحبة الذين درجوا أن يسقى الله تعالى مرابعهم شآبيب الرضوان وهو على اسلوب العرب في ذكر القبر يقولون سقى الله قبره وسقى الله ثراه والمراد الميت وأن يزيل الله الخطايا عن ظهورهم وعلق الاول باسمه تعالى الكريم اذ المراد فيه الاحسان والانعام وهو متعلق الكرم والفضل والجود وعلق الثاني باسمه تعالى العفو لان القصد فيه الغفران وهو متعلق العفو والتغمد ثم قال

ان المنون هو السبيل فمن يكن * لم ينتهجه برجله فكأن قد

والدهر مضمار الفتى فاذا ردى * منه الى أمد بعمره ردى

بينا جواد المرء يحضر نحوه * ليحوزه اذ حل هوة ملحد

المنون الموت والسبيل الطريق والمضمار المجرى للخيل وردى الاول بفتح الدال أى جرى والرديان جرى الخيل معروف وردى الثاني بكسر الدال بمعنى هلك الامد القدر من الزمان وعمر الله فلانا كذا تعميرا أى أبقاه الله تلك المدة من العمر والجواد الفرس السابق كانه يجود بكل قوته والاحضار العدو والهوة الحفرة والملحد القبر ومعنى الابيات الثلاثة انه يقول الموت هو طريق كل الناس فمن لم يسلكه فكأن قد سلكه والزمان لاعمار الناس كالمضمار للخيل فاذا جرى الانسان المقدار الذي يعيشه في سابق علم الله تعالى هلك ومات والانسان يؤمل أجلا بعيدا ثم تعترية المنايا دونه كالفرس يجرى للغاية ثم يسقط في هوة

قبل أن يصل ماير يد ثم قال

سهم لأغراض النفوس مسدد * من يرم من مهج البرايا يقصد
أو رمح خط سمهري مشرع * فى كف أسمر بالمطاعن أيد
من تعتلقه شباته لا يجده * قيل الخلائل خلفه لا تبعد
أو حوض ابل ما يشذ بظمها * منها أفيل عن عصا المستورد
أو سدة يدعى اليها الاجفلى * كل الورى من مذعنين ومرد
وحبالة كل الانام رهينها * من عائل متكفف أو مفرد
ومجد حشد الوالى واعتلى * فى ملكه ومعبد لم يحشد

السهم معروف والغرض ما ينصب ليرمى وأقصد السهم أصاب الشئ فقتله مكانه وأقصد زيد عمرا طعنه فلم يخطه والخط موضع بالبحرين تنسب اليه الرماح لانها تباع فيه فيقال رمح خطى والسمهرى الرمح الصلب والسمهرى أيضا المنسوب الى سمهر وهو زوج ردينة وكانا معا يثقفان الرماح ولذلك تنسب اليهما فيقال سمهرية ردينية وأشرعت الرمح الى الرجل سددته اليه فالرمح شارع والرماح شوارع وشرع والمطاعن موضع الطعن والايد بالياء المكسورة المشددة القوى من الايد وهو القوة والاعتلاق التعلق شباة الرمح طرفه والاجداء النفع ولا يجديك هذا لا يفيدك ولا ينفعك والخلائل جمع خليلة وهى الصاحبة زوجة أو غيرها لا يبعد دعاء يدعى به يقال لا تبعد يا فلان ولا أبعدك الله تعالى فمن جعله من بعد بضم العين يبعد فهو خلاف القرب ومن جعله من بعد بكسر العين فمناه

الهلاك وكلاهما يدعى به والحوض مجتمع الماء والابل يقال بكسرتين وبكسرة فسكون كما هنا وكلاهما فصيح شذ الرجل على الناس ذهب عنهم والظمأ بكسر الظاء مابين الشربتين ومابين الوردين وأطلق هنا على آخره وهو أوان الورود والافيل ابن المخاض ونحوه والمتورد المورد يقال أورد الابل الماء واستوردها والسدة بضم السين باب الدار دعوة الجفلا والاجفلى الدعوة العامة وضدها النقرى وهى التى يخص فيها فلان وفلان وقال طرفة

نحن فى المشتاة ندعو الجفلا * لاترى الآدب منا ينتقر

الآدب صانع المأدبة فهو عندهم لا ينتقر بل يعم الناس كرما وسعة والمدعن المستسلم والمارد ضده جمعه مرد والحبالة بكسر الحاء والاحبولة التى يصطاد بها ورهينها المحبوس فيها العائل المفتقر عال يعيل عيلة فهو عائل وهم عالة والمتكفف السائل يمد كفه للناس والقترد بالمثلثة وقيل بالمثناة الكثير الغنم والسخال والممجد المعظم والحشد الجمع والموالى العبيد والانصار والمعبد المذلل المستسخر ومعنى الابيات السبعة انه لما ذكر المنون وانها سبيل الناس أجمعين لاينجو منها والد ولا ولد شبهها بأشياء فضرب لها خمسة أمثال فكأنها سهم مسدد الى نفوس الاحياء وهى له كالاغراض فأى مهجة رماها أقصدها أى أصابها فقتلها مكانها أو كأنها رمح من الرماح السمهرية الخطية فى كف رجل قوى معتاد للطعان بصير بالمقاتل اذا طعن أصاب المقتل فاذا تعلق رأس رمحه بأحدمات وذهب ولم ينجه قول

الناس لاتبعد وقد بعد أو كأنها حوض مورود والناس كالابل فاذا حان ورودها حشرها راعيها اليه بعصاه فلا يشرد منها صغير فضلا عن كبير بل ترد كلها أو كأنها سدة أى باب يدعى الناس كلهم للدخول منه دعوة الجفلا فلا يبقى شريف ولا مشروف ولا نبيه ولا خامل ولا منقاد ولا متمرد أو كأنها حبالة كل الناس مقنوص فيها لا ينجو منها فقير ولا ذو مال ولا ملك ذو أعوان وجنود ولا ذليل مقهور ثم قال

عرضت بنى ساسان فى غلوائها * قدما على غرب الحسام المجذد

تقول عرضت فلانا على السيف اذا قتلته وبنو ساسان الفرس المتأخرون ينسبون الى ساسان الاصغر ابن بابك بن ساسان بن بابك بن ساسان الاكبر وكانوا نحو ثلاثين ملكا منهم امرأتان وباقيهم رجال أولهم ازدشير بن بابك بن ساسان الاصغر وهو الذى قام بجمع ملك فارس بعد تفرقه أيام ملوك الطوائف وآخرهم يزدجرد بن شهريار بن كسرى المقتول فى خلافة سيدنا عثمان رضى الله تعالى عنه ولولا خوف الطول لذكرناهم ملكا ملكا وأما الفرس الاولون فسنشير اليهم بعد ان شاء الله تعالى والغلواء بضم الغين وفتح اللام وقد تسكن الغلو وهو مجاوزة الحد وغرب السيف حده القاطع والحسام القاطع من السيوف والمجذد مفعل من الجد وهو القطع وصف بعد وصف ومعنى البيت ان المنون قد أهلكت الملوك الساسانية قديما وأفنتهم كأنما عرضتهم على السيف القاطع وهو تمثيل وهذا شروع منه فى ذكر وقائع لمن مضى من القرون تحمل

ايضا قل على الحذر والانكماش على الدنيا لعدم بقائها وسرعة تقلبها والرغبة فيما عند الله تعالى والوقائع عند العرب أيام حروبها والمراد هنا وقائع الدهر لانه المحارب الاعظم وحربه أفظع ثم قال

وكستهم ثوب الصغار وغادرت * تلك الحدائق كالبراح المصلد

الصغار بفتح الصاد الذل والمغادرة الترك والحدائق جمع حديقة وهي الروضة ذات شجر أو بستان أحدق به الحائط والبراح بفتح الباء المتسع من الارض لا زرع فيه ولا شجر والصلد الصلب صلدت الارض وأصلدت صلبت ومعنى البيت ان المنية قد كست بني ساسان الذل بعد العز وأجلت مساكنهم وفي نسخة ثوب العفاء وهو الخراب والخلاء ثم قال

ورمت مقاصير القياصرة الالي * عظموا بسهم من رزايا مصرد

المقاصير جمع مقصورة وهي الدار المحصنة الواسعة والقياصرة جمع قيصر وهو لقب لملك الروم كما ان كسرى سمة لملك فارس وخاقان لملك الترك وتبع لحمير والنجاشي للحبشة والقياصرة ملوك كثير من الروم والروم أولاد روم بن العيص بن اسحق بن ابراهيم عليهما السلام ويقال انه ولد ثلاثين ولدا منهم الروم وكان أصفر اللون فقيل لولده بنو الاصفر وأول من سمي منهم قيصر بن انطرطس وكانت أمه حاملا به فتعسرت ولادته فشق بطنها وخرج فسمي قيشر ثم قيل قيصر وكان يفتخر على الناس بأن النساء لم تلده فصار هذا اللفظ سمة لملوك الروم بعده والالى بمعنى الذين والسهم معروف وأصرد الرامي سهمه أنفذه

ويقال أيضا سهم مصرد أى مخطى على الضد والرزايا جمع رزية وهى المصيبة وأصله الهمز كما يقال فى خطايا يقال رزأه أى نقصه رزأ ومعنى البيت ان المنون رمت أيضا ملوك الروم الذين عظموا وعتوا بسهم من رزايا منفذ فذهبوا أى من انقرض منهم ثم قال

ونحت الى دارا العظيم لحاظها * فاحتل دار العز غير المويد

نحت صرفت دارا المذكور هو دارا بن دارا الملك المشهور أحد ملوك فارس وهو آخر الفرس الاقدمين الجامعين المملكة واختلف فى نسب فارس فقيل هم ولد فارس بن ناسور بن سام بن نوح وقيل هم من ولد هدرام بن أرفخشد بن سام بن نوح وقيل من ولد يوسف بن يعقوب ابن ابراهيم عليهما الصلاة والسلام وقيل من ولد لوط عليه السلام لبنته وقيل غير ذلك قيل ولا خلاف انهم من ولد كيومرت واليه يرجعون واختلف النسابون فى أيامهم ودولتهم فمن الناس من جعلهم أربعة أصناف لكل صنف دولة ومنهم من جعلهم صنفين الصنف الاول من كيومرت الى دارا الذى قتله الاسكندر كما يأتى قريبا ان شاء الله تعالى والصنف الثانى من اردشير بن بابك الى يزدجرد بن شهريار وهم الساسانية وتقدم ذكرهم واختلف فى كيومرت فقيل انه ولد لاود ابن أرفى بن سام بن نوح وقيل انه من ولد آدم لصلبه وانه أول من تولى الملك من بنى آدم وذلك انه لما كثر البغى فى الناس والظلم اجتمعوا فرأوا انه لا ينتظم أمر الناس الا بامام يسوسهم فتقدموا الى كيومرت وقالوا أنت أكبر أهل زمانك وبقية أبينا آدم وقد فسد أمر الناس

فقم بأمرهم فملكوه ووضعوا التاج على رأسه وهو أوّل من وضع التاج على رأسه فقام بالناس وكان حسن السيرة أربعين سنة وكان ينزل اصطخر واختلف فى عمره فقيل ألف سنة وقيل غير ذلك ثم مات فملك ابنه وهلم جرا الى دارا وكانوا فيما ذكر النسابون عشرين ملكا فيهم امرأة وكانت مدتهم ثلاثة آلاف سنة وستا وعشرين سنة وقيل وثلثمائة سنة والله تعالى أعلم بذلك ولولا قصد الاختصار لذكرناهم ملكا ملكا وسنذكر ملوك الطوائف منهم بعد دارا فى البيت بعده واللحائظ جمع لحظ والاحتلال النزول والعنقفير على وزن زنجبيل والقاف قبل الفاء الداهية والمويد الامر العظيم والداهية أيضا فهو تأكيد وهو بضم الميم ثم واو مقلوبة عن همزة ثم ياء مكسورة مثناة من تحت من الايد وهو القوّة ومعنى البيت قد قلبت لحظها الى دارا العظيم الملك فأنزلته منازل البلاء والفناء وسنذكر قصة هلاك دارا عند ذكر قاتله بعد ثم قال

وثنت بغائله الحكيم فلم يذد * عنه الردى ما صانه من عسجد

ثنت أى ثنت دارا بغائله وهذا على مذهب من يقول ثنيت زيدا أى ضربته ثانيا وهذا واحد فاتنه والاشهر أن يقال فعلت كذا وثنيت بكذا وفى نسخة و وفت من الوفاء كانها مطلوبة به فأدته وهو أوضح وأبعد عن التكلف والغائل المهلك غاله غولا أهلكه والضمير لدارا والحكيم وصف للغائل والذود الطرد والردى الهلاك والصون الحفظ والخزن والعسجد الذهب ومعنى البيت ان المنية قد وفت بعد دارا بغائله وهو

الحكيم فأهلكته ولم يدفعها عنه ماخزنه من الذهب ولا غير ذلك والحكيم المذكور هنا انه قاتل دارا هو الاسكندر بن الفيلسوفي اليوناني و يقال له ذو القرنين قيل لانه بلغ قرني الارض وقيل لانه له قرنين ضفيرتين في رأسه وقيل غير ذلك والكلام فيه مشهور وقصة اهلاكه لدارا أن دارا كانت تؤدى اليه ملوك زمانه الاتاوة وكان ذلك للفرس من زمان يستاسف الملك لان بخت نصر كان مرزبانا له فدوخ البلاد واستولى على الممالك فكانت ملوك الاقطار تؤدى الاتاوة لملوك فارس حتى كان زمان دارا فكان أبو الاسكندر يؤدى اليه ذلك فقيل كان يؤدى اليه كل حول ألف بيضة من الذهب في كل بيضة ألف مثقال فلما نشأ الاسكندر دفعه أبوه الى ارسطاطاليس الحكيم المشهور يعلمه الادب والحكمة فمكث عنده نحو خمس سنين ونال منه مالم ينل أحد من تلامذته ثم مرض أبوه فبعث اليه فعهد اليه فلما ملك الاسكندر بعد أبيه لم يدفع الاتاوة لدارا فكتب اليه يتهدده وأجابه بمثل ذلك في كلام كثير جرى بينهما فخرج كل بجموعه فالتقيا في بلاد الجزيرة فكانت بينهما الحرب وجرت أمور وحاصلها قتل دارا وفساد ملكه فقيل قتله حاجباه وقيل صاحب شرطته وقيل حمل الى الاسكندر فأمر بقتله فاستولى الاسكندر على ملك دارا وخزائنه و بلاده فلما استولى عرض جيشه وجيش الفرس فقيل كان ألف ألف أو أكثر وهم باستئصال عظماء الفرس ثم بدا له أن يشاور فكتب الى معلمه ارسطاطاليس يستشيره في ذلك فكتب اليه لا تفعل فان لكل بلد و زمان رجالا وان أنت أهلكت الاشراف شرفت السفلة وهم أضر شئ للملك ولكن فرقهم في المملكة

وولى كل واحد منهم ناحية ووضع التاج على رأسه فانهم بذلك يتنافسون الملك وتعود أحقادهم بينهم ولا يجتمعون على حربك أبدا ومن تعاصى منهم وحده كنت قادرا عليه ففعل الاسكندر ذلك ومزقهم وهم ملوك الطوائف وبقوا على ذلك الى أن قام أردشير بابك كبير الساسانية فجمع المملكة كلها كما مر ورجع الملك فيهم الى حاله حتى أذهبه الله تعالى بالاسلام واورثها الله من شاء من عباده ثم تقدم الاسكندر بعد فراغه من فارس الى أرض الصين والهند فدوخ تلك البلاد كلها واستولى على الممالك في حروب وغرائب أعرضنا عن ذكرها خوف الاطالة فلما رجع من تلك النواحي وبلغ شهرزور أقام بها أياما فاحتضر بها ومات قيل وكانت مدة ملكه ست عشرة سنة وعمره ست وثلاثون سنة قيل وكان بين وفاته وبين الهجرة سبعمائة سنة وقيل أكثر ولما مات جعل في تابوت من ذهب وطلى بالاطلية الممسكة وحمل الى أمه بالاسكندرية قيل فجمع ارسطاطاليس عليه الحكماء وأمرهم أن يتكلم كل منهم بكلام وكانوا عشرة فقال الاول أصبح آسر الاسراء أسيرا وقيل أشار الى التابوت فقال كان يخبأ الذهب فصار الذهب يخبأه وقال الثانى هذا الاسكندر طوى الارض العريضة وهو اليوم يطوى منها فى ذراعين وقال الثالث العجب القوى قد غلب والضعفاء لاهون وقال الرابع ما سافر الاسكندر سفرا بلا آلة سوى سفره هذا وقال الخامس سيلحق بك من سره موتك كما لحقت بمن سرك موته وقال السادس كان يحكم على الرعيه فصارت الرعية تحكم عليه وقال السابع كنت تأمر بالحركة فما بالك ساكنا وقال الثامن رب حريص على سكوتك وهو اليوم حريص

على كلامك وقال التاسع كم أمات هذا الصندوق لئلا يموت فمات وقال العاشر كان الاسكندر يعظنا بنطقه وهو اليوم يعظنا بسكونه وقالت أمه مما يسلى عنه المعرفة باللحاق به وقالت ابنته دارا ما كنت أظن ان غالب دارا يغلب وأخبار الاسكندر كثيرة وهى طرائف ونوادر واقتصرنا على ماذكرنا خشية السآمة وفى البيت التوجيه لان ماصانه من العسجد يحتمل ماصانه فى بيوت الاموال ويحتمل ماصان الاسكندر وهو التابوت المذكور وتكون الاشارة الى القصة والكلام متوجه لهما معا ثم قال

وسفت على الاقيال هوج رياحها * وزوت مدى عبد المدان الاقد

سفت الرياح التراب ذرته أو حملته والاقيال جمع قيل يقال اقتال عليهم أى ملك وهو قيل بتشديد الياء المكسورة أصله قيول من القول كأنه اذا ملك كان له القول عما يشاء أو انه يكثر قوله فقلبت الواو وقع الادغام كنظائره وقد يخفف كميت ثم اذا جمع قد يراعى أصله فيقال أقوال وقد يراعى الحال فيقال اقيال واشتهر ذلك الاسم على ملوك حمير كما قال امرؤ القيس

لعمرك ما ان ضرنى وسط حمير * وأقوالها الا المخيلة والسكر

وقيل القيل دون الملك والهوج جمع هوجاء الريح الشديدة التى تقلع البيوت وزوت قصرت أو أجمعت أو قبضت أوطوت المدى الغاية وعبد المدان رجل من العرب وبنو عبد المدان كان لهم ذكر وشرف ولذلك قال القائل

ولواني بليت بهاشمي * خؤلته بنو عبد المدان
لهان على ما ألقى ولكن * تعالوا فانظروا بمن ابتلاني

وكانت لهم أجسام كمل وألسن فصاح ولذا وصف بالإقه وهوا لضخم العنق الطويله وكان هجاهم الشاعر ويقال انه حسان فقال

لا بأس بالقوم من طول ومن غلظ * جسم البغال وأحلام العصافير

فقالوا قد تركتنا نستحي بذكر أجسامنا بعد ما كنا نفتخر بها مالنا على هذا بقاء فقال سأغسل عنكم ما أرى بكم وأنشد

وكانا ئلين اذا رأينا * لذي جسم يعد وذي بيان
كأنك أيها المعطي بيانا * وجسما من بني عبد المدان

وهذا من اقتدار الشعراء على المدح والذم ومعنى البيت أن رياح المنون قد جرت عواصفها على أقيال حمير فأبادتهم وطوت بني عبد المدان تحت أطباق الثرى ثم قال

وترت على سبا وعاد تروة * فغدوا أحاديث السمير السهد

ترت وثبت ترا عليه تروا وتروانا سبا اسم البلد بلقيس ولقب لعبد شمس بن يشجب بن يعرب بن قحطان واليه ترجع قبائل اليمن وفي الخبر سئل صلى الله تعالى عليه وسلم عن سبا فقال كان رجلا ولد عشرة من الولد تيامن منهم ستة وتشاءم أربعة وقصة سبا وهلاكها كما ذكر الله عز وجل في كتابه العزيز كان لهم واد عظيم جنبتاه الفواكه والزرع وبنوا سدا غلق ما بين الصفتين قيل بنته بلقيس وقيل حمير فوقف الماء وصار بحيرة عظيمة فكان يرتفع

الماء برفق ويسقى الجنان فى جنبتى الوادى ثم عتوا وطغوا وبعث الله تعالى اليهم فيما يقال ثلاثة عشر نبيا فكذبوهم فبعث الله عز وجل على ذلك السد جرذا أعمى توالد فيه فجعل يخرقه ويقلعه شيئا فشيئا حتى أفسده فسال عليهم الماء وأغرق الجنات والاموال وأهلك الناس ومن بقى تفرّق شذر مذر وذهبوا فى كل وجه وعاد قبيلة وهم قوم هود عليه السلام المذكورون فى القرآن العزيز وأخبار عاد وسبا لاتفى بهذا التعليق والقدر المحتاج اليه من ذلك مشروح فى القرآن الكريم والاحاديث جمع أحدوثة بمعنى الحديث والسمير السامر من السمر وهو التحدث بالليل والسهد الساهدون ومعنى البيت ان المنون أيضا وثبت على سبا وعاد فغدوا أى صاروا حديثا أى يتحدث بهم فى الاسمار وتطرز بهم الاخبار قال تعالى فجعلناهم أحاديث ثم قال

وحدت بنى مروان بعد الى الردى * فحدت مبارية الظليم الموفد

حدت ساقت وبنو مروان هم عبد الملك وعبد العزيز وبشر بنو مروان ومن بعدهم من الملوك كالوليد وهشام وسليمان وعمر وغيرهم وهم مشهورون أوّلهم مروان بن الحكم وكان واليا وآخرهم مروان الحمار وخدت أسرعت يقال خدى يخدى أسرع المباراة المعارضة والمقابلة والظليم الذكر من النعام والموفد المسرع ومعنى البيت ان المنون ساقت بنى مروان الى الهلاك فخدوا أسرع من الظليم فى أسراعه ثم قال

وغدت دساكرجلق صفرا كأن * لم تغش قط بحفد أو وفد

غدت صارت والدساكرهنا بيوت يتخذها الاعاجم للشرب واللهو جمع دسكرة وجلق بكسرالجيم مع تشديد اللام مكسورة ومفتوحة هي دمشق وقيل غوطتها والصفر الخالى والحفد جمع حافد وهو الخادم والوفد جمع وافد وهو القادم والمعنى أن المنون لما أهلكت الملوك المروانية صارت دساكرهم في دمشق خالية كان لم تكن تغشاها قبل ذلك وفود الناس ولم تحفها الحفدة أيام حياتهم وملكهم ثم قال

وحصت بنى العباس أملاك الورى * بجمارها فغدوا حصيد العبرد

حصت رمت وحصاه بالحصى رماه بها وبنو العباس الملوك الاسلاميون والعباس هو ابن عبد المطلب بن هاشم عم رسول الله صلى الله تعالى عليه وسلم رضى الله تعالى عنه والملوك من ولده أولهم أبو العباس السفاح والاملاك جمع ملك والورى الخلق ووصفهم بذلك تفخيما لانهم بيت الخلافة الاسلامية وفيه اشارة الى ما ورد فى الآثار ان ابن العباس لما ولد له ولده عبيد الله وهو جد الملوك أتى به عليا كرم الله وجهه فقال له على ما سميته فقال له أو يحل لى أن أسميه حتى تكون أنت تسميه فأخذه على وسماه فقال لابيه خذ اليك أبا الاملاك والجمار جمع جمرة وهى الحصاة والحصيد المحصود العبرد على مثال قنفذ من العشب الرقيق الردى ومعنى البيت ان المنون رمت بجمارها ملوك بنى العباس فصاروا كانهم الحشيش المحصود ثم قال

فلقد سقت فى الدهر كل مملك * شريا وهدت ركن كل ممرّد
واستأصلت فى الجوّ أعقبه وفى البيداء كل مغوّر ومطوّد
هل أقصرت عن ذى دهاء حوّل * لحويله أو عن همام صندد
أو فى البسيطة غير صيد معرض * لسهامها وخلاتها مستحصد

الشرى الحنظل والممرّد من البناء المطوّل والتمريد التمليس والتسوية الاعقب جمع عقاب الطائر المعروف والبيداء الفلاة والمغوّر سالك الغور والمطوّد سالك الاطواد أى الجبال الدهاء المكر وجودة الرأى والحويل الاحتيال الحذق وجودة التصرف فى الامور ورجل حوّل بضم الحاء وتشديد الواو المفتوحة شديد الاحتيال والهمام الملك العظيم والهمام أيضا الشجاع والصندد على مثال زبرج السيد الشجاع ويقال هو الحليم أو هو الجواد ويقال أيضا صنديد والبسيطة الارض المعرض من الصيد الذى سنح للرامى فأمكنه من نفسه والخلا العشب الرطب والمستحصد الذى بلغ أن يحصد ومعنى الابيات الاربعة ان المنية قد سقت على مرور الدهر كل مملك من الناس الحنظل كما سقت ذلك كل مملوك فلم ينج من مرارتها شريف ولا مشروف وهدت أى هدمت أركان كل قصر ممرّد وقد استأصلت أيضا فى الهواء أعقبه أى أخذتها جميعها والمراد الطير كله وانما ذكر العقاب لانه كان يضرب به المثل فيقال أعز وأمنع من عقاب الجوّ فغيره أحرى اما حقيقة فى هذا لان الموت عام فى النفوس واما كناية عن كونها لا ينجو منها أحد من الناس ولو كان فى عز العقاب وكذا استأصلت وحش البيداء سواء منه ساكن

الجبال

الجبال كالاوعال وساكن السهول كالنعام وساكنهما معا كالذئاب وهذا أيضا أما حقيقة واما كناية والمنية هل أقصرت أى ما أقصرت أى ما عجزت عن صاحب العقل والدهاء فينجو بحيلته ولا عن الهمام الصنديد فينجو منها بشجاعته وقوته وليس النجاة فى عادات الناس من الاعداء وكل من يتقى شره الا بأحد هذين من الاحتيال والصيال وقد بطلا معا ههنا فلم ينج واحد منهما من الموت وليس الارض فى الاصيد مستهدف لسهام المنية وخلاء قد آن أن يحصد بها يريد أن النفوس كلها بمنزلة الصيد أو الكلا للموت ثم قال

ما المرء الا ابن التوى ولو ارتقى * أفق السماء بسلم لم يخلد
شخص تكنفه الثريا والثرى * فالجسم كون من خسيس الحرمد
والروح كان نشوءه ونزوعه * من ذلك الملا العلى الامجد
فيحن ذاك لارضه بتسفل * ويحن ذا لسمائه بتصعد
والمرء بينهما مخافة فرقة * ونوى قذوف فى المقيم المقعد

التوى بالمثناة من فوق الهلاك وفى نسخة الثرى وهو التراب وأصله التراب الندى والتكنف الاشتمال والاحاطة والثريا النجم المعروف والخسيس الدنى والحرمد الطين الاسود المتغير اللون والرائحة والنوى القذوف البعيدة من القذف وهو الرمى كأنها ترمى بصاحبها الى بعد والمقيم المقعد مثل للامر الهائل يقال وقع فلان فى المقيم المقعد أى هول عظيم كأنه يقيمه تارة و يقعده أخرى ومعنى الابيات الخمسة ان الانسان ما هو الا ابن الهلاك لكونه لا ينفك عنه فكأنه ابنه كما قيل ابن السبيل

وابن غبراء وابن الهالكين فان له نسب الهالكين عريقا كما قال أبو نواس وأيضا ابن الثرى و يقال له عرق الثرى واعراق الثرى كما قال امرؤ القيس

الى عرق الثرى وشجت عروقى * وهذا الموت يسلبنى ثيابا

واذا كان أصله منه فيوشك أن يرجع الى أصله قال تعالى منها خلقنا كم وفيها نعيدكم والمرء شخص أحاط به شيئان أحدهما فى غاية الرفعة كالثريا وهو الروح والآخر فى غاية الانحطاط وهو الجسد فأما الجسد فمخلوق من الطين من حمأ مسنون كما قال الله تعالى وأما الروح فمخلوق من العالم العلوى الرفيع حسا ومعنى لكونه محلا للملا الاعلى من الارواح المقدسة العارفة من الملائكة والانبياء ثم أهبط وأودع فى هذا الهيكل يستحصل فيه سعادته بالفعل أوشقاوته على ماسبق له فى علم خالقه جل اسمه وتعالت كلمته وقد جعل الله تعالى فى طباع الاشياء الميل الى الاصل والحنين الى المنشا فلذا كان الجسد يميل الى الارض و يتجاذبه طباعها والروح يميل الى التجرد والعلو وذلك أصله وشتان مابين الخبث والصفا والارض والسماء كما قيل

راحت مشرقة ورحت مغربا * شتان بين مشرق ومغرب

فكان الانسان من هذا الامر فى حيرة عظيمة وهول كبير وانما مثاله فى ذلك مثال الولد الصغير يفترق والداه و يتقاطعان و يتباعدان فهما يتجاذبان قلبه و يطيلان حيرته وغمه أومثال الطير المقفوص فبطبعه يميل الى الطيران وفيه روحه وأنسه والقفص يمنعه و يجذبه وفى هذه الابيات

الاشارة الى شرح المملكة الانسانية وسيفصح بذلك بعد وهنالك يقع شرحها ان شاء الله تعالى وفى المقيم المقعد التورية لانه مثل كما مر وأشير به الى ان الجسم يقعد والروح تقيم ثم قال

والروح كاف أن يزود للنوى * برا فها هو بان غير مزود
ويحط عنه عباءه ويفك عنه قيده فمشى رسيف مقيد
ويماط عنه بتوبة أدرانه * حتى يعود الى الصفاء كما بدى
ويشال من وهد الحظوظ الى العلى * بتعلق وتخلق وتجرد
ويفص محماه الذى قد شابه * بتأنس وتوحش وتفرد
ويمد ضبعاه ويكحل جفنه * بتذكر وتفكر وتفقد

بان الرجل عن منزله خرج عنه مرتحلا أو مسافرا والعباء بكسر العين الحمل الثقيل والرسيف مشية المقيد يقال رسف فى قيوده يرسف رسفا ورسيفا مشى كذلك وماط الشئ وأماطه عنك أبعده وأزاله والادران الاوساخ وحظوظ النفس كل ما لها فيه متعة ولذة حسا ومعنى كالاكل والنكاح والرياسة وبعد الصيت والفص الفصل تقول فصصت الشئ من الشئ اذا فصلته عنه وانتزعته منه والحما والحماة الطين الاسود المنتن الرائحة وحمى الماء خالطه ذلك والشوب الخلط والمد البسط والضبع العضد ومددت ضبع فلان قويته وأعنته ونصرته ومعنى الابيات الستة أن الانسان لما أودع هذا الروح كلفه الله تعالى أن يزوده زادا يسعد به فان الروح غريب فى البدن خليفة فيه كما سنشرح ذلك وهو بصدد السفر والانقلاب الى مولاه تعالى وذلك بالموت وليس يصحبه

البدن لان البدن راجع الى التراب حتى يلتقيا فى الموعد ولا تصحبه الدنيا لانها فانية وانما يصحبه ما علم وعمل فان كان معرفة وطاعة ارتفع بها وسعد وبلغ بها عليين وهذا هو الزاد المطلوب وان كان جهلا ومعصية انتكس بها وشقى وحجب نعوذ بالله تعالى من الخذلان والبر هو الطاعة والخير وهو الذى طلب من الانسان أن يشتغل به ليتزود به روحه اذا ارتحل وها هو الانسان غافل مشتغل بالدنيا والشهوات حتى يرتحل روحه عنه بلا زاد فتقع الحسرة ولا تنفع الندامة نسأل الله تعالى التوفيق وطلب منه أيضا أن يسعى فى حط أعباء الشهوات والمعاصى والذنوب والغفلات عن روحه وهذه كلها أحمال ينزل بها فى حضيض النقصان وقيود تعوقه عن الارتحال الى حضرة مولاه عز وجل فلو فك عنه هذا القيد لوصل ولكنه اشتغل عنه فجعل يرسف فى قيوده وانى يصل بالرسيف وطلب منه أيضا أن يزيل عنه أدرانه أى أوساخه التى أوجبتها المعاصى والغفلات حتى يعود صافيا كما بدى أى كما خلق فانه قد انتشأ صافيا عالما بالطبع وانما يحدث له التدنس والعمى فى هذا البدن لارتكاب الذنب وكثافة الحجب وطلب أيضا أن يرفع من مقام الحظوظ التى هى الحضيض السافل الى المقام العالى وهو مقام النزاهة والطهارة والمعرفة وذلك مقام الملائكة وخواص بنى آدم وانما يكون بالتعلق بالله سبحانه وتعالى والتخلق بأسمائه الحسنى وصفاته العلياء والتجرد عن أوصاف البهائم وأوصاف السباع وأوصاف الشياطين بعد التجرد عن العلائق والشواغل الحسية كلها وطلب أيضا أن يفصل الروح من طينة الجسم الارضية والمراد الانفصال

عن

عن طبائعها والتطهر من لوثها وذلك عند التأنس بالله تعالى والتوحش من غيره والتفرد قلبا وقالبا حسا ومعنى أو معنى فقط وهو أقوى وأكمل ولكن مبدأه التفرد الحسى والله تعالى ولى التوفيق وطلب أيضا أن يمد ضبعيه أى يقوى وينصر ويكحل جفنه أى تفتح بصريته وذلك بالتذكر للعهد المأخوذ يوم ألست بربكم أولا والمأخوذ على لسان الرسول صلى الله تعالى عليه وسلم ثانيا والتفكر فيما له وما عليه وفى حكمة الله تعالى وصنعته وأحكامه وأيامه والتفقد لاحواله وأقواله وحضراته وغير ذلك واعلم انه ما من لفظ فى هذه الابيات الا وهو قابل لغير ما فسرنا به ومحتمل لازيد من ذلك وأكثر مما يتسع به مجال الناظر البصير للعبر وانما قصدنا تمشية الكلام بأقل ما يمكن والا فهى محتوية لمن تأمل على جميع ما يشرحه أرباب القلوب فى السلوك والرياضة والتخلى وفيها مع ذلك اطناب ما حمل عليه الشغف بالبيان والمبالغة فى هذا الباب ولو تعرضنا لشرحها احتجنا الى مجلدين أو أكثر ثم قال

والمرء مشغوف باتراف الذى * من ذاته هو عن قريب مرتد
ومضيع ما ليس يبرح دائما * معه على مر الوجود السرمدى
كالعير ليس له بشئ همة * الا اقتضام القضب حول المذود

الاتراف التنعيم والمرتدى الهالك من الردى وهو الهلاك والعير بالفتح الحمار والاقتضام الاكل بمقدم الفم والقضب الكلا الرطب والمذود على وزن منبر والذال الاولى معجمة معلف الدابة ومعنى الابيات الثلاثة ان الروح مطلوب تخليته كما مر والمرء متغافل عن

ذلك المطلوب مشغوف مولع بتكميل ماهو من ذاته هالك قريبا في التراب وهو الجسد ومهتبل بتنعيمه وترفيهه ومضيع ماهو باق معه ولا يفارقه في الدنيا والآخرة وهو روحه الذي هو محل الخطاب ومهبط الانوار وانما مثاله في القيام بجسمه وتضييع روحه مثل الحمار فان الحمار لاهمة له الا في أكل الحشيش واقفا حول المذود اذ لا أرب له ولا مطلب وراء شهوات بدنه ولو كان الانسان حمارا لم يكن عليه بأس فان الحمار لم يلزم التكليفات ولا استودع الامانات فلو كان للمرء بصيرة وتوفيق لاعتنى بروحه التي يشهد بها المواطن ثم قال

ويح المشرف للخسيس مجله * ومذيل ذى الشرف الاثيل الاقعد
وحفيظ من هو للصداقة خائن * وخؤن ذى الود الصفى الاتلد

ويح كلمة تقال رحمة تقول ويح زيد وويحا لزيد والاذالة الاهانة أذاله فهو مذيل له والاثيل الاصيل والاقعد الاثبت والاتلد الاقدم الاصيل والمعنى ان المرء مطلوب بالسعى فيما يبقى من طهارة نفسه وتحليه بالمعارف والاعتناء بأشرف الجزءين وهو الروح الذى هو محل العلم والمعرفة فويحا لمن اشتغل بتشريف الخسيس وهو الجسد الظلمانى واجلاله بترفيهه والسعى فى مصالحه واهانة ذى الشرف الاصيل وهو الروح الذى هو أقعد فى الشرف وأعرق فى المجد وحفظ من هو خائن لا يدوم على الصداقة بل يفارق بالموت وهو الجسم وخيانة الود ود الصفى الود التليد الحب وهو الروح وحفظ الاول

بما

بما ذكر من الاعتناء بمصالحه وحراسته عما لا يلائمه ومراعاة غذائه من غير تفريط ولا غفلة وخيانة الثاني باهماله عما يصلح به من الغذاء وحراسته عما يضره من الداء وغذاء الجسم الطعام والشراب وغذاء الروح العلم والمعرفة والانوار المستجلبة بالطاعات والموافقات ويصح ان يراد بالاول الشيطان الموسوس وبالثاني الملك الملهم ثم قال

ولبائع حورا حسانا خردا * عربا بعظم في التراب مدود

البيع الابدال فمن باع شيئا بشئ فقد أبدله به والحور جمع حوراء وهي الشديدة سواد سواد العين الشديدة بياض بياضها والحسان جمع حسنة وحسناء والخرد جمع خريدة وهي الحيية والعرب جمع عروب وهي المتحببة الى زوجها والمدود الذى داخله الدود يقال دود اللحم فهو مدود أى ويحا لمن يبيع حور الجنة الحسان الخرد العرب بعظم يدود في التراب والمعنى انه يشتغل باللذات وما آلها الى جسمه وجسمه يدود ويفنى ويترك الطاعات التي يستوجب بها الحور فقد باعها ثم قال

ولراضع ثدى الهوى وسنان في * ليل الضلالة خابط متردد

الوسنان من أصابته السنة والخابط من أتى ليلا على طريق لا يعرفه والتردد التحير أى ويح لمن يرضع ثدى الهوى بأن يلتزم ما تحب نفسه ويسعى فيه من غير موجب من الشرع ورضاع الثدى اما كناية

عن التزامه والعكوف عليه كما ان الرضيع لايغفل عن ثديه ولايستطيع الصبر عنه واما كناية عن حبه والشغف به كما ان الصبي يحب مرضعته ويولع بها وسنان أي غافل في الضلال الذي هو كالليل المظلم ساع فيه بلا تبصر ولا نظر فيما يحسن ولا يقبح شرعا ثم قال

متخمط في تيهه متصلف * ومذبذب في نوكه متلدد

المتخمط الشديد الغضب والتيه بكسر التاء الصلف والكبر والتيه أيضا الضلالة تاه يتيه فهو تائه وتيهان والمتصلف من يتكلف الصلف وهو الخروج عن الظرف ومجاوزة الحد تكبرا والمذبذب الحائر والنوك بالضم والفتح الحمق نوك بالكسر نوكا ونوكه فهو أنوك أي أحمق والمتلدد بدالين مهملتين المتحير فهو توكيد أي ويح المتصف بهذه الاوصاف ثم قال

فطن بدنياه بصير ناقد * متغافل في دينه متبلد
حرد اذا ماسيم خسفا جاهه * واذا يسام الهه لم يحرد

الفطن الحاذق والناقد المميز للاشياء معرفة وخبرة والمتبلد المتحير والمتبلد أيضا الخاضع غير المتجلد والحرد الغضبان والخسف الذل سامه خسفا أراده به وعرضه والمعنى انه ذو فطنة في أمور الدنيا وبصيرة وانتقاد فلا يفوته شيء منها دقيقا ولا جليلا وذو تغافل في أمور الدين وتبلد فلا يكاد يدرك منها شيئا وهو مع ذلك اذا سامه أحد خسفا ينقص جاهه واذا يته غضب وانتصر واذا انتقص جناب الرب عز وجل

أو ضيع حقه لم يبال ثم قال

يسدى ويلحم في الغرور مزاولا * ماعنه بدّ من لعاع القشرد
ويضيع مااستكفاه رب العرش من * سعي لامر معاده وتزود

السدى واللحمة للثياب وأسدى الثوب يسديه جعل له السدى وألحمه نسجه ثم صار ذلك مثلا في الاشتغال بالشئ يقال هو في هذا الامر يسدى ويلحم والغرور كل مالا بقاء له ولا حاصل من أمور الدنيا البد العوض والمثل واللعاع الجرعة من الماء واللعاع أيضا نبت يخرج ناضرا أول مايظهر ومنه قيل للدنيا اللعاع واللعاعة لانها زهرة لابقاء لها والقشرد قماش البيت واستكفيت الامر فلانا استحفظته والمعنى انه أيضا يسعى ويجتهد في الغرور الدنيوي مزاولا أي معالجا ومتكلفا لما عنه خلف من لعاعة الدنيا وقماشها والاضافة فيه للبيان كشجر أراك ويضيع ما كلفه الله تعالى بحفظه ومراعاته من السعي لآخرته والتزود من العمل الصالح لعقباه والمغبون من اشتغل بما ضمن له عما طلب منه ومن باع الباقي بالفاني ثم قال

ذي خلتين عروبة حسانة * دروض الخليل وحيزبون علكد
ومق لهذي وهي خب فارك * فرك لتلك على هوى لم يخضد

الخلة الحبيبة والحبيب أيضا يكون للذكر والانثى والعروبة المتحببة والحسانة بضم الحاء وتشديد السين الحسناء والحيزبون العجوز والعلكد العجوز الداهية و ومقه يمقه الحب بكسر الخاء الخبث

والخديعة وصف به المرأة مبالغة كما يقال رجل عدل امرأة عدل
و الفارك المبغضة لزوجها تقول فركت زوجها بالكسر وقد يفتح
فهي فارك وفروكها هو أيضا أبغضها والهوى المحبة والميل الخضد كسر
الغصن وغيره من غير ابانة والمعنى ان الغافل المؤثر لدنياه على آخرته
شبيه برجل له خلتان حبيبتان احداهما حسناء تحبه وهي روض
الخليل أي فيها لخليلها الانس وكل ما يشتهي كالرياض والاخرى
عجوز زانية شريرة متكرهة وتبغضه وهو مع ذلك يحب هذه العجوز
الخداعة الخبيثة الفارك و يبغض تلك الحسناء على هوى منها فيه وميل
منها اليه لم يبتذل كالغصن لم يقع منه شئ فضلا عن الابانة ثم قال

متكاسل عن كل حق عاجز * متشمر في كل ما بطل أدى

التكاسل تعاطي الكسل والحق الثابت والمتشمر ضد الكسلان
والبطل مصدر بطل الشئ يبطل بطلا و بطولا اذا ذهب ضياعا وخسورا
والادي بتشديد الياء على وزن غني الخفيف من الناس المشمر
وهو وصف لمتشمر لابطل كما ان عاجز وصف لمتكاسل لالحق والمعنى
انه يتكاسل عما يدوم و يبقى ويعجز عنه ويشمر الى ما يذهب و يفنى
ويخب اليه ثم قال

لو كان ذا لب لايقن انه * ما كان أنشئ باطلا أو عن ددكلا ولا للخلد في الدنيا ولا * ليكون أقصى عيشه العيش الردي
بل منشأ في الارض لا مستوطنا * لكن ليعبر نحو ذاك الموعد

الابد

اللب العقل والدد اللعب والعبو والمجاوزة والمعنى ان الانسان لوكان له عقل يتأمل به لعلم انه لم يخلقه الله تعالى باطلا لغير غاية تراد ولا عبثا فى خلقه قال الله تعالى وما خلقنا السماء والارض وما بينهما باطلا وقال أفحسبتم انما خلقناكم عبثا الآية كلا ليس الامر كذلك فليس بمخلوق عبثا ولا بمخلد فى الدنيا ولا يكون العيش الدنيوى الردى منتهى عيشه بحيث لا يبعث ولا تكون له جنة ولا نار كما يتوهم منكر والبعث وهذا حصر للاحوال المتوهمة وهو أن الانسان ما خلق باطلا لغير حكمة ولا غاية وان جاز ذلك عقلا ولا خلق ليبقى فى الدنيا مخلدا ولا ليفنى بالموت فناء لا حياة بعده فاذا بطلت هذه كلها لم يبق الا انه منشأ فى الارض راحلا مسافرا لا متوطنا فيها ولكن ليعبر نحو ذلك الموعد وهو موعد الاولين والآخرين فيه يتبين مآل أمره ويجنى ثمرة غرسه ثم قال

وخليفة ليسيرفيها سيرة الـ * مستخلف المستحفظ المستعمد

ملك يوازره الحجا ويمدمن * جند بأنوار الغيوب مجند

والكائنات رعية تجبى الى * تصريف فكر عنده متسدد

وهوى بربة بيته خدع الهوى * وسطا بجمع الحظوظ محشد

فتكنف الملك البغاة متى يرم * نجبا يعاد على السداد ويحسد

وتلظت الحرب العوان فان يكن * حضر المليك وزير صدق يعضد

مستنصر بالرشد والتوفيق فى * غمراتها وتراعها الجمع العدى

فثنى جموعهم وفل غرارهم * بغرار سيف فى بحجاه مهند

المستخلف هو المجعول خليفة والمستحفظ المستوكل بحفظ الشيء
والاستعهاد استفعال من العهد وهو الوصية ويقال أيضاً استعهد من
صاحبه اذا اشترط عليه وكتب عليه العهدة واستعهد فلانا من نفسه
اذا ضمنه حوادث نفسه والجند بالضم العسكر والجند المجموع وسطا
عليه سطوة صال عليه والحشد المجموع والبغاة جمع باغ وهو الظالم
الخارج عن الطاعة والنحب الحاجة والنذر والسداد بفتح السين
الصواب الحرب العوان التى قوتل فيها مرة بعد أخرى استعارة من
عوان النساء وهى التى تقدم لها زوج والغمرات مواطن التحام
الحرب استعارة من غمرات الماء والقراع والمقارعة المقاتلة والمدافعة
والعدى على وزن غنى جماعة القوم يعدون للقتال والتفليل الكسر
والغرب الحد من السيف والحد القوة والشوكة فيقال فل غربهم
أى كسر شوكتهم والغرار بكسر الغين حد السيف ونحوه ومعنى الابيات
الثمانية أن الانسان من حيث روحه خليفة فى هذه الجثة استخلفه
الله تعالى فيها واستحفظه اياها وأوصاه عليها وذلك ليسير فيها سيرة
المستخلف بتصريف كل جارحة ظاهرة أو باطنة فيما خلقت له مما
يعود عليه نفع وصلاح فى العاجل والآجل وحراسته من كل ما يؤذيه
والوقوع فيما يرديه وهذا الروح كالملك فى البدن والعقل كالوزير
والانوار التى يمده الله تعالى بها من الغيب كالجنود له ثم ان الهوى
كالقائم عليه يريد أن يفسد عليه ملكه وقد استمال بخدعه ربة
البيت وهى النفس فتبعته وصال على الروح والعقل بجند من الحظوظ
أى الشهوات والشيطان معينه فتكنف لهذا الملك وهو الروح البغاة

أى أحاطوا به من كل جانب حتى يحاول أمرا يقضيه من الخير والصلاح عادوه وحسدوه ونازعوه وعند ذلك تلاطت أى اشتعلت الحرب بين الروح والهوى هذا يدعو الى الخير وهذا يدعو الى الشر فان كان مع الروح وزير صالح وهو العقل الكامل السالم فانه يعضد أى ينصر ويعان على عدوه حال كونه مستبصرا على العدو بالرشد من الله تعالى والتوفيق منه فان العقل غير نافع بلا توفيق وذلك فى غمرات هذا الحرب وفى قراءه هذا الجمع العدى فان فعل ذلك ثنى جموع الهوى والشهوات وخسم شوكتهم بسيوف العقل المهمدة القاطعة وأشار فى هذه الابيات الى ماذكر أرباب القلوب فى المملكة الانسانية وفيها كلام كثير وتدقيق لا يسعه هذا التقييد وحاصل ما وقعت الاشارة اليه باختصار أن الله تبارك وتعالى أودع الروح فى هذا الهيكل كالخليفة فيه ليصرفه واعتبر أرباب الحقائق هذا المعنى بطريق التمثيل والمقايسة فقالوا ان الانسان هو العالم الاصغر وقد بينا وجه ذلك فى غير هذا المحل وكما أن الله تعالى استخلف آدم فى الارض من العالم الاكبر فكذا استخلف الروح فى الجسم من العالم الاصغر ولما استخلفه جعل له مدينة هى مملكته وموضع سياسته ونظره وهى الجسم وجعل له منها محلا هو قصر الملك يحل فيه أو يقوم به أو براعيه على الاقوال الثلاثة فى أن الروح جوهر متحيز أو جوهر أو عرض مجرد وهذا القصر هو القلب وقيل الدماغ على الخلاف المشهور وكل ما احتوت عليه هذه المدينة هى حضرة الملك وما خرج عنها هو باديته وجعل له الحواس كالسمع والبصر والشم واللمس جباة يجبون له صور المكنونات ومعانيها

وجعل له متنزها فى أعلى هذه المدينة يشرف منه على رعيته وهو الدماغ وجعل فى مقدمة خزانة تجتمع فيها جبايات الجباة وهو المسموعات والمبصرات والمشمومات والمذوقات والملموسات ويقال لهذه الخزانة الحس المشترك ومنها تنقل الى خزانة الخيال بعد تمام العمل ومنها تنقل الى خزانة الفكر فى وسط الدماغ فيأخذ ماصح منها ويرد مالم يصح فهو الضابط الحافظ القيم على الخيال كما ان الخيال هو القيم على الحواس وجعل آخر هذا المتنزه خزانة أخرى للحفظ وأوجد تبارك وتعالى فى هذه المملكة النفس وهو محل التطهير والتغيير وهى حرة هذا الملك وربة بيته وأوجد الله تعالى العقل فجعله وزيرا لهذا الملك عنه يتم الايراد والاصدار فاذا وردت الجبايات على الفكر رفعها الى الروح أى الملك الى العقل ثم رفعها العقل الى الملك وهو الروح ثم رفعها الروح الى الملك الحق لا اله الا هو رب العالمين وتسمى فى الرتبة الاولى محسوسات وفى الثانية متخيلات وفى الثالثة والرابعة معقولات لكن الفكر خادم العقل وفى الخامسة أسرار ثم ان الله تبارك وتعالى خلق فى هذه المدينة رئيسا آخر ثائرا قويا ينازع الروح فى المملكة الانسانية ويقال له الهوى وكما انه قد أمد الله تبارك وتعالى الملك الاول وهو الروح بالملائكة وللروح والمعارف وهى جنوده كذلك قد أمد الله تعالى هذا الثائر بالشياطين وأصناف اللذات والشهوات وهى جنوده قالوا على طريقة التمثيل ثم ان هذا الثائر وهو الهوى قد اتخذ يوما مع وزيره وهو الشهوة وجنوده فرأته النفس ورآها فلما تراءيا عشقته وعشقها فرام أن يتمكن منها

وجعل يخادعها ويهاديها ويمنيها فلما رأت نعمته عاجلة ولذته حاضرة مالت اليه والروح لم يشعر بشيء من هذا هو العقل الذى هو الوزير فقد علم به غير انه كان يلاطف الامر عسى أن ترجع ثم ان الروح استدعاها فتعاصت عليه ولم يدر سبب تعاصيها فسأل الوزير عن سبب نشوزها وتمردها فقال له الوزير انها قد مالت الى غيرك فان هنا رئيسا نعمته عاجلة مشهودة ونعمتك غائبة آجلة ومساعيه لذيذة سهلة ومساعيك شاقة كريهة وقد أعجبها فاستهواها فحينئذ عظم الامر على هذا الملك وهو الروح فلم ير مغيثا ولا ناصرا الا الرجوع الى ربه ومالكه الحق الذى استخلفه وهو الله تعالى اسمه لينصره وهذه حكمة خلق هذا الثائر فان الروح مخلوق فى غاية الطهارة والمعرفة والكمال فلو ترك ونفسه لكان ربما دخله طغيان وغفلة عن مالكه الحق وجهل بأقدار النعم فابتلاه الله عز وجل بهذا الثائر الغشوم ليعرف عجز نفسه وعظيم افتقاره الى مولاه تعالى وليرجع اليه ويتعرف كفايته وحمايته وعنايته به فاذا رجع الى مولاه فى شأن هذه الناشزة الخائنة كفاه تعالى بفضله أمرها وناب عنه فيها فخاطبها تعالى فقال يا أيتها النفس المطمئنة ارجعي الى ربك راضية مرضية فادخلى فى عبادي وادخلى جنتي وفى هذا الخطاب متسع لفهوم أهل الاشارات ولا غرض لنا فى التعرض لذلك فاذا سمعت نداء الحق أجابت وأذعنت لانها وغيرها فى قبضته تعالى فدخلت تحت سلطان الروح وجرت حركاتها على اشارته وبرئت من الهوى ثم كلما هم هذا الثائر بالاستيلا على المملكة نهض الوزير يريد دفعه ولا تزال الحرب بينهما لان

كلا منهما يريد أن يكون تصرف المملكة على يديه لما يرى من أن ما ينحو اليه هو صلاحها وفوزها غير أن الروح مجتهد مصيب والهوى مخطئ ضال فان كان الوزير متيقظا كامل التمييز متحفظا موفقا قام بحراسة المملكة وسد كل ثلمة يخاف منها العدو ونصب فيها قاضى العدل ومفتى العلم وسور الورع الى غير ذلك فقوى الملك واستقامت السياسة وان كان الوزير ناقصا غافلا أخلد الى الدعة والنوم وجعل يغتر ويحسب كل بيضاء شحمة فلا يشعر الا والهوى الثائر وجنوده قد أحدقوا بالمدينة ثم لا يشعر الا وهم دخلوها من كل باب فاذا هو به أسيرا واذا بالملك وهو الروح مقبوضا عليه مسجونا واذا بالعمال وأرباب الجبايات من السمع والبصر والفكر ونحوها مذعنة للهوى داخلة تحت سلطانه تتصرف على اشارته نسأل الله تعالى العصمة من كل وصمة وعند ذلك ترى المرء يتمنى الخير ولا يفعله لكون الروح مسجونة تتمنى أن تتصرف فى المملكة ولا تستطيع فان سبقت له من الله تعالى عناية رجع اليه بالتضرع وغاية الاضطرار فتأتيه النصرة من ربه القوى المتين فلا يشعر الثوار الا وقد أصبحت عليهم الجنود الربانية نصر من الله وفتح قريب فاجتاحوهم وأخرجوا الروح من سجنه وأجلسوه على كرسيه يأمر وينهى وعند ذلك ترى المرء يبيت عاصيا متهتكا ويصبح تائبا مخلصا ان ينصركم الله فلا غالب لكم وان يخذلكم فمن ذا الذى ينصركم من بعده

فائدتان

الاولى

الاولى اعلم انه جرى فى هذا الكلام ذكر الروح والنفس والعقل
وليست بمعان متباينة وانما هى شئ واحد اختلف بالاعتبار وتعدد
بتعدد الصفات والمعنى بالجميع فى الجملة هى اللطيفة المدركة المودعة
فى الانسان وهى التى يميز بها الانسان عن الحيوانات العجماوات ويقال
لها فى لسان الحكيم النفس الناطقة وليست هى الحياة المصححة للحس
والحركة لان الحيوة لجميع الحيوانات فهى قوة زائدة فى الانسان
وليست هى أيضا مجرد الالهام الوهمى والخيالى المتعلق بالجزئيات
فان هذا أيضا موجود لغير الانسان وبه نفرت الشاة من الذئب فميز
الحمار معلفه وانما هى قوة عنها يكون التمييز بين الحقائق الكليات
غير انها من حيث التعلق بالمدارك كائنة ما كانت تسمى عقلا ومن حيث
الجنوح الى القذرات تسمى نفسا ومن حيث الجنوح الى الصفا والقدس
تسمى روحا وقال الامام الساحلى رضى الله تعالى عنه فى بغيته
قد يجرى لنا أثناء كلامنا فى هذا المجموع ذكر النفس والقلب
والروح والسر فقد يظن الظان ان اختلاف هذه الاسامى
لاختلاف مسمياتها ولست أريد بها الامسمى واحدا واختلفت
أساميه لاختلاف صفاته وهو الروح الجوهر اللطيف الصافى الشريف
الذاكر العارف مهبط الانوار الالهية الصادر من أمر الله تعالى
فتى دام مائلا الى جنبة النقص فى أغلب الاحوال أعبر عنه بالنفس
ولا يزال مع قيامه بوظائف مقام الاسلام تضعف فيه جنبة النقص
وتقوى فيه جنبة الكمال حتى اذا تخلص من مقام الاسلام تساوت
عنده الجنبتان فيتقلب عندهما فعند ذلك أعبر عنه بالقلب ولا يزال

مع قيامه بوظائف مقام الايمان اتحدت فيه جنبة الكمال لكن يبقى معها أثر من ذلك النقص كما يبقى أثر الجراحات بعد البرء فعند ذلك أعبر عنه بالزوج ولا يزال مع قيامه بوظائف الاحسان حتى تذهب تلك الاثار وتخلص تصفيته فعند ذلك أعبر عنه بالمرآة وقد عبر هو القلب ونحن اعتبرنا العقل وكل صحيح فى محله باعتباره والله تعالى أعلم * (الفائدة الثانية) * انه قد جرى أيضا فى الكلام ذكر المدد الملكى والشيطانى فاعلم انه قد أيد الله تعالى العقل بالملك وأيد النفس بالشيطان ومن غلب كان الحكم له كما سبق فى مشيئة الله تعالى ويسمى القاء الملك فى القلب الهاما والقاء الشيطان وسوسة وهما خاطران يتواردان الاول بالخير والثانى بالشر وجميع الخواطر أربعة ربانى وهو ما يرد من الله تعالى على القلب كفاحا وملكى وهو ما يرد من الله تعالى على يد الملك وشيطانى وهو ما يرد من تلقاء الشيطان ونفسانى وهو ما يخطر من جهة النفس والاولان نافعان والاخيران مضران فى الجملة والكلام فيهما على التحقيق يخرجنا عن الغرض ثم قال

وأعد أعداد اليوم هائل * وصحيفة سطرت وعرض مرصد

أعد الشئ هيأه لوقت الحاجة والاعداد بفتح الهمزة جمع عد بكسر العين وهو القرن والند أيضا والنيوم الهائل يوم القيامة لانه يهول الناس والصحيفة ما يكتب فيها والمسطورة المكتوبة والمراد بها هنا صحيفة الحفظة على الانسان من حسنات أو سيآت والعرض مصدر وهو العرض بين يدى الله تعالى يوم القيامة وارصد الاعد ومعنى البيت

أن الانسان اذا دفع جنود الهوى وغلبهم فحينئذ تستقيم حالته فيعد الزاد ليوم القيامة و يسعى فى الطاعة وا كتساب الحسنات ليأخذ صحيفته بيمينه ولينجو عند العرض الذى أعد الله فيعمل ما يلقى به ربه وميزانه من الاعمال الصالحة كأنها أقران تعد للقاء وتدخر ليوم الكفاح و يجوز أن يكون جمع عدد أى اعداد من الحسنات يثقل بها الميزان ثم قال

يوم يشيب به الوليد و يستوى * فيه المسود من الورى بمسوّد

المسود هو المغلوب والمسوّد هو المشرف تقول ساد فلان قومه اذا فاقهم فهو سيد وهم مسودون وسوّده قومه عليهم فهو مسوّد أى يوم يشيب فيه الصبى امالطوله واما لهوله و يستوى فيه الشريف والوضيع الامن اكرمه الله تعالى ثم قال

و يداس هادى كل مار مارد * من تحت أخمص كل ألكن ألكد

الدوس الوطئ بالرجل والهادى العنق والمارى الجاحد يقال مراه حقه اذا جحده والمارد العاتى البالغ الغاية فى العتو والاخمص باطن القدم الالكن من لا يبين منطقه الالكد اللئيم الملصق بالقوم أى يوم توطأ رقاب الجبابرة الظلمة بأقدام الضعفاء وهو اشارة الى ماورد من أن الجبابرة يكونون كالذر فيوطؤن ثم قال

ويودّ أن لو كان فى العجماء من * ماليس موعودا وليس بموعد

اليوم يمرح بالمراح و يرتعى * وغدا يصير الى التراب الرمدد

العجماء غير الانسان من الحيوانات والوعد فى الخير والايعاد فى الشر وهما مخصوصان بالمكلفين والمرح الاشر والبطر والمراح موضع بيت الشاء مثلا والارتعاء افتعال من الرعى والرمد على وزن زبرج الدقيق من التراب جدا والمعنى ان الانسان فى ذلك اليوم اذا عاين العذاب ورأى البهائم قد صيرت ترابا فبحت يتمنى أن لو كان بهيمة فى الدنيا لا يتعلق به خطاب ولا وعد بالجنة ولا وعيد بالنار يرعى اليوم فى الدنيا الاعشاب و يلعب بالمراح وغدا يرجع الى التراب و يسلم من العذاب ثم قال

يوم يهاب له بعمار الثرى * وتساق عنفا كالوسين المطرد
وتجيب مهطعة نداء مسيطر * بالحق من كثب سميع فدفد

يقال هاب الراعى بغنمه اذا صاح بها لتجتمع أو ترجع وعمار الثرى عمار المقابر أو عمار الارض والعنف ضد الرفق والوسين من الابل ما جمع فى الغارة مثلا والمطرد المأمور بطرده يقال طردت الابل اذا ساقها أو جمعها من نواحيها وأطردت الشئ أمرت بطرده والمهطع المسرع والمسيطر المتسلط والكثب القرب والسميع المسمع كما قال عمرو بن ريحانة الداعى السميع والفدفد كهدهد الصيت الجافى الكلام أى يوم يصاح له أى لاجله أو اليه بمن كان فى المقابر أو بمن كان فى الدنيا و يساقون اليه عنفا كالابل الموسقة و يجيبون نداء الملك يوم ينادى من مكان قريب مسرعين اليه وقوله بالحق احتراس أى ان الملك وان تسلط فهو بحق لا جور والحق أيضا من أسمائه تعالى ففيه تورية

ثم قال

ويذاد من بين الوفود معاشر * نفى الزيوف من النضار الجيد
ويرى المسئ به مجازاة الالى * عملوا فيقرع سنة من معبد

الذود الطرد الزيوف هنا الزائفة من الدراهم وهى المردودة لغشها النضار الذهب أو الفضة قرع السن نقرها ويكون عند الندم المعبد مفعل من قولك عبد الرجل بالكسر عبدا اذا ندم اى يوم يطرد فيه عن الحوض أقوام من بين الوفود الواردين على الحوض كما ترمى الزيوف من بين الجيد وهم الذين بدلوا وغيروا فيقول النبى صلى الله تعالى عليه وسلم سحقا سحقا وهذا فى حديث الحوض ويرى فى هذا اليوم أيضا المسئ فى الدنيا ما يعطاه العاملون من الثواب فيقرع سنه ندما ثم قال

والناس بين مفضل ومجال * عفوا وشلو فى الجحيم مهرّد

الشلو بالكسر العضو والجسد كله والمهرّد المنضج تقول هردت اللحم هردا وهرّدته تهريدا اذا أنعمت نضجه أى الناس فى ذلك اليوم ثلاثة أصناف صنف فضلهم الله تعالى وهم النبيون والصديقون والشهداء والصالحون وصنف جللهم الله أى غطاهم بعفوه فغفر لهم من المؤمنين وصنف تنضجهم النار وهم الفجار نسأل الله تعالى العافية ثم قال

والبر يغمر كل بر مخبت * والحزن يغشى كل حزن مجدد

البر بكسر الباء الخير والغمر التغطية غمره الماء وغمره العطاء والبر

بفتح الباء المطيع والمخبت الخاشع الخاضع والحزن بالضم ضد الفرح والحزن بالفتح الصعب والسجدد كقنفذ الشديد المارد أى الخير فى ذلك اليوم يعم كل مطيع لله تعالى خاشع له والحزن والغم يغشي كل عاص ممتنع عن الشريعة متمرد على الامر والنهى ثم قال

ولحفرة يدلى اليها عاريا * من كل شئ غير سعى معتد
ومقاولا من لا يقاوم غلظة * ومهابة واذى وليس بمعتد

الحفرة القبر وأدلاء الميت اليها انزاله فيها كالدلو فى البئر المعتد المعد يقال اعتد الشئ اعتدادا المعتد فى القافية الثانية من الاعتداء المجرور أول البيتين عطف على قوله ليوم هائل أى وأعد الزاد لحفرة سينزل اليها حال كونه عاريا من ماله وجاهه وعشيرته وأنصاره ومن كل شئ الا من السعى أى العمل الذى أعده صالحا أو سيئا وحال كونه عند نزوله فى القبر مقاولا أى مخاطبا للملك الفتان الذى لا يستطيع بشر أن يقاومه من غلظته ومهابته واذايته مع أنه غير معتد ولا ظالم لاحد بل باذن ربه عز وجل ثم قال

وليوم بين وانتباذ بالعرا * بفجئ مستقض عليه مهكد
وتململ وتضاءل وتقصف * رغما له ورهطه والعود
عن وائل رائر وال رائث * وحزينة ثكلى وجذلان عدى
وفراق أوطان واخوان الهوى * ونفائس وحلول بطن الجلجد

يوم البين هو يوم الموت لان الروح تبين من الجسد والانتباذ افتعال

من النبذ وهو الرمى تقول نبذته فانتبذ والعراء فى الاصل الارض الغارية التى لاشجر فيها ولانبات والمراد هنا المقابر لانها تكون فى ذلك غالبا وافجئ الفاجئ وهو الآتى بغتة والمستقضى الطالب لقضاء الدين المهكد المشدد فى التقاضى التململ التقلب وتململ الرجل فى فراشه تقلب لمرض أوهم التضاءل التصاغر والشئ الضئيل الصغير الدقيق وتضاءل تصاغر أواخفى شخصه والتقصف التكسر والقصف الكسر والوائل الراجع وأل اليه رجع والمراد هنا من يرجع اليك بصداقة أو خدمة ورثى له رحمه ورق له فهو راث والوالى القريب والرائث المبطئ راث الشئ يريث أبطأبه ولثكلى الفاقدة ولدا والجذلان الفرح والعدى المبغض يقال عدى له بالكسر أبغضه والنفائس جمع نفيسة ونفيس المتاع أجوده والجلد الارض الصلبة والمعنى انه يعد أيضا الزاد ليوم البين أى يوم الموت يوم يرمى خارج البلد مدفونا فى المقابر وهو اليوم الذى يأتيه صاحب الدين المشدد فى التقاضى وهو ملك الموت فان الروح كانه دين عند الانسان يؤديه اذا حل الاجل ولا يأتى الافجأة وذلك اليوم أيضا يوم تململ أى تقلب فى الفراش وتضاءل أى تصاغر من عظيم ما حل وتكسر فانه عند نزع الروح تكون الاعضاء كانها كلها تقصف ولاسيما الصدر عند الحشرجة وذلك كله يكون رغما لانف الميت ورغما لرهطه ولمن يعوده فانه لا يستطيع الدفاع عن نفسه ولا يستطيعون ويكون بينه عن أصناف من الناس منهم الصديق الذى يؤل اليه بخالة أو احسان وهو يرثى له ويرق أو يرثيه أى يبكيه بالشعر وذكر محاسنه ومنهم الوالى أى القريب الوارث وهو

يكون قد أبطأ عن أخذ الميراث بموته فهو يتربص به الموت وهى الحزينة الثكلى كامه ومنهم منافسه ومناويه فهو فرح بموته لانه مبغض له وقد قيل

يبكى الغريب عليه ليس يعرفه * وذوقرابته فى الحى مسرور

وهو أيضا يوم فراق وطنه وخليله ونفائسه المدخرة ونزول بطن الارض ثم قال

يا غمة لنفوسنا من فرقة * أبدية للمألف المتعوّد
ان الفراق يشوقنا ويروعنا * فى هذه الدنيا فكيف بأبعد

الغمة والغم الكرب الشوق نزوع النفس وحركة الهوى شاقه الشئ هاجه أى ماأشد الغم على نفوسنا من الفرقة الابدية التى لارجوع عنها وذلك بالموت اذلا رجوع الى الدنيا أبدا والدنيا هى المألف المتعوّد أى الشئ الذى ألفناه وتعوّدناه والآخرة لم تألفها النفوس ولم تعتدها فلذا كانت مشقتها أعظم المشقات وكربتها أشد الكربات فان الفراق يشوقنا ويفزعنا فى هذه الدنيا مع قرب المسافة وانتظار الاوبة وكون المفارق منفصلا فكيف بفراق الروح وبينونته عن الجسم بينونة عن الدنيا والمألوفات لاآخرلها واضافة ذلك كله الى النفس لكونها هى الآلفة للدنيا وزهراتها وهى المتألمة بفراقها معان الروح أيضا تتألم بفراق الجار وما يتوقع من هول ذلك المطلع فى تلك الدار فلذا عظم أمر الموت ثم قال

والنفس آلفة تذوب على النوى * ذوب اللجين على لهيب الموقد

اللجين بضم اللام الفضة والموقد بفتح الميم موضع اشتعال النار وبضم الميم مشعلها أى النفس ألوف بالطبع فالفراق تذيبها كما يذيب الفضة لهيب النار فى الموقد أو اللهيب الذى يوجبه الموقد للنار وهذا تخلص لذكر الترحل والسفر ثم قال

ولقد رأت هند وكانت غرة * من قبل أن نوى الاحبة فى غد
فتوسدت شوك القتاد وأبطنت * جمر الغضا وتململت فى المرقد

الغرة بكسر الغين التى لاتجربة لها والقتاد شجر له شوك كالابر يضرب بخرطه المثل فى الامر الصعب والغضا شجر عظام جمره أشد الجمر وأبقاه أى ولقد رأت هند أى ظهر لها ان نوى الاحبة فى غد وكانت قبل ذلك غرة لم تر صروف الدهر ولاذاقت مرارات الفراق فلما رأت ذلك جعلت تململ فى مرقدها أى تتقلب حزنا وغما كانها توسدت الشوك وأبطنت الجمر فما يدعها أن تنام ثم قال

وتوسن الوجد العميد شغافها * فاستعلنت بتلهف وتوجد

توسنه أتاه عند الوسن الوجد الحزن والعميد العامد أى المضنى يقال عمده اذا أضناه والشغاف داخل القلب وشغف الرجل فهو مشغوف واستعلنت اعلنت والتلهف هو التحسر والتوجد هو التشكى يقال توجد السهر اذا شكاه وفى نسخة التنهد وأطلقه على التنفس

يكون قد أبطأ عن أخذ الميراث بموته فهو يتربص به الموت وهى الحزينة الشكلى كامه ومنهم منافسه ومناويه فهو فرح بموته لانه مبغض له وقد قيل

يبكى الغريب عليه ليس يعرفه * وذو قرابته فى الحى مسرور

وهو أيضا يوم فراق وطنه وخليله ونفائسه المدخرة ونزول بطن الارض ثم قال

يا غمة لنفوسنا من فرقة * أبدية للمألف المتعوّد
ان الفراق يشوقنا ويروعنا * فى هذه الدنيا فكيف بأبعد

الغمة والغم الكرب الشوق نزوع النفس وحركة الهوى شاقه الشئ هاجه أى ما أشد الغم على نفوسنا من الفرقة الابدية التى لارجوع عنها وذلك بالموت اذلا رجوع الى الدنيا أبدا والدنيا هى المألف المتعوّد أى الشئ الذى ألفناه وتعوّدناه والآخرة لم تألفها النفوس ولم تعتدها فلذا كانت مشقتها أعظم المشقات وكربتها أشد الكربات فان الفراق يشوقنا ويفزعنا فى هذه الدنيا مع قرب المسافة وانتظار الاوبة وكون المفارق منفصلا فكيف بفراق الروح وبينونته عن الجسم بينونة عن الدنيا والمألوفات لا آخرلها واضافة ذلك كله الى النفس لكونها هى الآلفة للدنيا وزهراتها وهى المتألمة بفراقها معان الروح أيضا تتألم بفراق الجار وما يتوقع من هول ذلك المطلع فى تلك الدار فلذا عظم أمر الموت ثم قال

والنفس آلفة تذوب على النوى * ذوب اللجين على لهيب الموقد

اللجين بضم اللام الفضة والموقد بفتح الميم موضع اشتعال النار وبضم الميم مشعلها أى النفس ألوف بالطبع فالفراق تذيبها كما يذيب الفضة لهيب النار فى الموقد أو اللهيب الذى يؤججه الموقد للنار وهذا تخلص لذكر الترحل والسفر ثم قال

ولقد رأت هند وكانت غرة * من قبل أن نوى الاحبة فى غد
فتوسدت شوك القتاد وأبطنت * جمر الغضا وتململت فى المرقد

الغرة بكسر الغين التى لاتجربة لها والقتاد شجر له شوك كالابر يضرب بخرطه المثل فى الامر الصعب والغضا شجر عظام جمره أشد الجمر وأبقاه أى ولقد رأت هند أى ظهر لها ان نوى الاحبة فى غد وكانت قبل ذلك غرة لم تر صروف الدهر ولاذاقت مرارات الفراق فلما رأت ذلك جعلت تململ فى مرقدها أى تتقلب حزنا وغما كانها توسدت الشوك وأبطنت الجمر فما يدعها أن تنام ثم قال

وتوسن الوجد العميد شغافها * فاستعلنت بتلهف وتوجد

توسنه أتاه عند الوسن الوجد الحزن والعميد العامد أى المضنى يقال عمده اذا أضناه والشغاف داخل القلب وشغف الرجل فهو مشغوف واستعلنت اعلنت والتلهف هو التحسر والتوجد هو التشكى يقال توجد السهر اذا شكاه وفى نسخة التنهد وأطلقه على التنفس

الصعدا وأصله نهود الثدى أى ارتفاعه ونهود الرجل الى الامر
أى نهوضه أى جاء الوجد الى المذكورة مع اليأس فجعلت
تتلهف ألم الفراق وتعلن اذاغلبها ماتجد ثم قال

ورنت بمقلة مطفل محروبة * خلف القنوص لما لها من فرقد

رنت نظرت فأدامت والمقلة شحمة العين وقيل هى السواد
والبياض وقيل هى الحدقة وهو المراد والمطفل من البقر ما لها
ولد والمحروبة المسلوبة ولدها والقنوص هو القانص والفرقد
ولد البقرة أى نظرت المذكورة بمقلة كانها مقلة البقرة
الوحشية ذات الولد الى القانص لولدها الذى ليس لها غيره
وفى تلك الحالة تظهر سعة العين مع الكآبة والحزن ثم قال

وتصوبت عبراتها وتصعدت * زفراتها تشدو بقولة منشد
لامرحبا بغدا ولا أهلا به * والدمع يكحلها مكان الاثمد

التصوب النزول من فوق الى أسفل والعبرات الدموع والتصعد
التعلى والزفرة اخراج النفس بعد مدة فعل الهموم وشدا يشدو رفع
صوته بالشعر أى جعلت دموع هذه المذكورة تنزل و زفراتها
تعلو وهى تغنى بقول المنشد وهو النابغة
لامرحبا بغد ولا أهلا به * وتمامه * ان كان تفريق الاحبة فى غد
والدمع فى ذلك يكحلها أى يملأ عينيها بدل الاثمد وهو الحجر الذى
يكتحل به ثم قال

ويطل بروضة وجنتيها والحيا * في الروض ينبت كل زهر أغيد

طلت الارض بالضم وطلها الندى فهي مطلولة والطل أضعف المطر الحيا بالقصر المطر وبالمد معروف والاغيد من النبات الناعم المتثني أي جعل الدمع يقطر على وجنتها كانه الطل وكأن الوجنة الروضة من بهائها ونضرتها والحيا أي المطر متى نزل في الروض أنبت فيه كل زهر ناعم وكذا وجنتها الآن تتلون كان فيها أزهارا أحمر وأصفر كما سنبينه بعد ويجوز أن يراد بالحياء الممدود وبالروض الوجنة المعهودة فهو تورية ثم قال

فرقت فأنبتت البهار منورا * وعذلتها فصبغته بتورد

فرقت بكسر الراء فزعت والبهار نبت قال في الصحاح هو العرار الذي يقال له عين البقر وهو بهار البر وهو نبت جعد له نفاخة صفراء ينبت أيام الربيع اه نور النبت تنويرا خرج نوره والعذل اللوم وورّدت الشجرة توريدا نوّرت ووردت المرأة حمرت خدها فنوّر الخد أي جزعت هذه المرأة وخافت من الفراق فاصفارّ خدها فكأنها أنبتت فيه البهار عندما انفتح نوره الاصفر وعذلتها على ذلك الجزع فخجلت من كلامي فاحمارّ خدها فكأن ذلك الاحمر قد صبغ أحمر أو كأن البهار صار وردا ثم قال

وتبيت تلسنني الملام لعلها * تثني عناني أو تمسك مقودي

يقال لسن زيد عمرا اذا تسلط عليه بلسانه وألسنه أيضا غلبه في الملاسنة

ولسنته العقرب لدغته وثنى عنان الدابة مر بها الى ناحية أخرى المقود ما تقاد به الدابة أى تبيت هذه المرأة تأخذنى بلسانها ملاما أو تلدغنى لدغ العقرب على ما أروم من البين والرحلة لعلها تصرفنى عن رأيي الى رأيها أو تجعل زمامى بيدها فاطيعها ثم قال

وتظن تفتل باللحاء ذوائبى * وتلين منى متن رمح عصلد

اللحاء اللوم لحاه يلحوه والذؤابة ذؤابة الشعر ومتن الرمح عوده والعصلد الشديد الصعب أى تظن هذه المرأة انها ستفتل ذؤابتى أى تستمكن منى كما يستمكن الرجل من الدابة اذا أخذ بناصيتها ومن الانسان اذا أخذ بشعر رأسه وتخدعنى كما يخدع الممسوح عليه من بعير أو دابة وفى المثل مازال يفتل منه فى الذروة والغارب حتى فعل وتظن أيضا أن تصرف رأيي وتوهن عزمى وتعطف قناتى ولم تدر انها صلبة لا تنثنى ثم قال

وتخال تمحضنى النصيحة برة * والنصح آونة مقالة مؤتد

تخال تظن ومحضته النصح أخلصته له والبرة ضد الفاجرة والآونة جمع أوان وهو الوقت من الزمان والمؤتد مفتعل من قولك أدوت له وأديت اذا ختلته أى تظن انها بعذلها تمحض النصيحة محسنة أى صادقة والنصح احيانا كلام ختال مخادع ثم قال

فتسر حسوا فى ارتغاء تارة * وتقول أخرى خامرى وتلبدى

الاسرار ضد الجهر والحسو حسو اللبن والماء مثلا وارتغى اللبن أخذ

رغوته فكان الرجل اذا أراد أن يحسو اللبن ولا يفطن له أرى الناس
انه يرتغي أي يزيل الرغوة من فوق فيضرب ذلك مثلا لمن يظهر الاحسان
أو الاعانة أو الاصلاح وهو يريد الغائلة أو الحاجة فيقال يسر
حسوا في ارتغاء ويقال خامري أم عامر وهو الضبع ومعنى خامري
استتري والتلبد الانكماش الى الارض والعرب تقول ذلك للضبع
عند اصطيادها فضرب مثلا لمن يخادع أي ان هذه المرأة في الظاهر
تخب في النصيحة وتضع وفي الحقيقة تخدع وتمكر ثم قال

كفي خبالك لا أبالك انني * عوص المرام على نبال المفند

الكف الصرف والمنع والخبال النقصان في العقل أو غيره ويقال
لا أبالك وهو لفظ خبر ومعناه الدعاء وعوص الامر بالكسر اشتد
وعوص الكلام صعب وأفنده كذبه وخطاه أي قلت لها كفي
عني ما تأمرين منا هو ناشئ عن خبال عقلك ونقصان ميزك فاني
عوص أي صعب المرمى فمن رام تخطيتي وتعجيزي وجدني صعبا
لا تصل الى نبال قوله وعذله ثم قال

لا أرأم البو النفوخ ولا أرى * وأبيك قعقعة الشنان مهيد

رئم فلان كذا بكسر الهمزة أحبه ورئمت الناقة ولدها مثلا
عطفت عليه ولزمته والبو هنا جلد الحيوان يسلخ اذا مات فيحشى بشئ
كالتبن أو الثمام فيضرب من أمه لتعطف عليه فتدر والنفوخ
المنفوخ والشنان بالكسر جمع شن وهي القربة البالية والقعقعة
حكاية صوتها والتهييد التحريك والافراغ وكان اللص من العرب

اذا أراد أن يختلس من ابل أحد أتى بشنة فعلقها الى واحد من الابل بحيث تسقط فاذا أسقطت نفرت الابل من قعقعتها فتبعها أو بعضها وذهب بها قال النابغة

كأنك من جمال أبى أقيش * يقعقع بين رجليها بشن

فيقال فلان لا يقعقع له بالشنان أى لا يخضع لحوادث الدهر ولا يروعه ما لا حقيقة له ومعنى البيت انى لا أكون بتركها تك معروفا كالناقة تخدع بالبو فتعطى لبنها ولا أرجع بتهديدك كالابل يرمى الشن بين أرجلها ولفظ مهيد اما اسم فاعل خبر عن قعقعة لانه بمعنى متحرك أو اسم مصدر أى التهديد مبالغة ثم قال

وافنى حياءك اننى أنف اللفا * ا ممّا وأرمى للجليل الاقـد
وأحث بين مهجر ومعرس * عنسى و بين مصوّب ومصعد
فان انثنت بالغنم فهى حرية * أو أخفقت يوما فلست بأوحد

يقال فنا الحياء اذا لزمه وانفت من الشئ ترفعت عنه واللفا الشئ الخسيس الحقير اليسير والامم القريب والجليل العظيم والاقـد الممتنع الحث على الشئ التحضيض عليه والتهجير المشى فى الهاجرة والتعريس النزول من آخر الليل للاستراحة والتصويب النزول والتصعيد عكسه والانثناء الرجوع والغنم الغنيمة والظفر والحرى بالشئ الحقيق به والاخفاق الرجوع بخيبة يقال غزوا فاخفقوا أى لم يغنموا الست فى هذا الامر بأوحد أى لا أختص به والمعنى انه يخاطب تلك المذكورة فيقول افنى أى الزمى حياءك واسكتى ولا تثبطينى عن مطالب المعالى فانى

لا ارضى

لا أرضى بالدون والنصيب الخسيس ولو كان ينال عن قرب بلا مشقة وأرمى بهمتى للحظ العظيم ولو كان فى غاية التمنع والاتا نة عن الانقياد ولا أزال أرتحل قلبا وقالبا حسا ومعنى مع المترحلين بالليل والنهار نازلين أو طالعين وذلك كناية عن الجد فى أى زمان وأى مكان فان رجعت عنسى ظافرة غانمة فهى حقيقة بذلك لان الجد مع الصيد مظنة الظفر وان خابت فلى اسوة بغيرى ومبلغ نفسى منجح ثم قال

ولقد تخذت وداع اخوان أخا * خاصا وليت وفاءه لم يلكد
ومقت وصلهم فأعرض جافيا * أبدا على وليته لم يابد

تخذت الشئ واتخذته بمعنى والخلص بكسر الخاء الخالص واللكد اللزوم هنا وأصله قولهم لكد عليه الوسخ بكسر الكاف أى لصق ومقت الشئ بكسر الميم أمقه مقة أحببته وأبد بكسر الباء أبدا غضب أى جعلت وداع الاخوان وفراقهم أخا خالصا وافيا لا يغدر ولا يفارق وليته فارقنى وغدرنى وأحببت وصالهم فلم يحبنى بل أعرض عنى وجفانى وغضب على واستوحش منى ولم يألفنى وهذا كله مجاز والمراد الاخبار بكثرة الترحال والانتقال وفى ذلك كثرة التوديع والفراق وقلة الوصل وعدم دوام التلاق وفى جعل الوداع لكدا اشارة الى تكرهه كالوسخ ثم قال

كم بلدة فارقتها وأحبة * ودّعت عن ودّ صفا وتودّد
وأليف صدق لم أبال فراقه * ونحيبه خلف المطا يا الوخد
ومضيت قدما والاسى وقد الجذى * ففثأت فورته بفضل تجلد

حتى كأني ما وجدت بموقفي * ألم النوى وحسامها في الاكبد
والبين يعلم والصبابة ما أرى * منه وان تسل المدامع تشهد

الودّ الحب وتودّدت الى فلان أظهرت الحب له وتودّدته اجتلبت ودّه والنحيب أشد البكاء والوخد جمع واخدة أي مسرعة تقول وخدت الناقة فهي واخدة ومضى فلان قدما بضم القاف والدال لم يعرّج وسكنت في البيت تخفيفا كعنق وعنق والاسى بفتح الهمزة الحزن والوقد المتوقد والجذى جمع جذوة من النار وفتاء بالمثناة والمثلثة كسره والفورة فعلة من فار الشئ يفور اذا هاج وفاض والتجلد تكلف الجلد أي القوة أي كم بلدة فارقتها طالبا للمعالى وارتحالا فيما يكسب المراتب العوالى والذخائر الغوالى وكم من أحباب ودّعتهم لذلك لا عن بغض ولا عن قلى بل عن ودّ صاف وتودّد كاف وكم من أليف صدق أي صحيح الالفة والمحبة لم يعلني فراقه ولا بكاؤه خلف مطاياى بل مضيت لوجهي فما ألويت عليه ولا التفت اليه والحزن عليه مع ذلك متوقد الجمرات ولكن اذا فارت على نار الحزن كسرتها بتجلد وأخمدتها بصبر حتى كأني ما وجدت في ذلك الموقف أي موقف الوداع والفراق ألم النوى ولا ذقت مرارتها التي هي كحرارة الحسام أي السيف القاطع في الاكباد وكان صورتى من قوّة الصبر صورة من خلى من الحب أو الجاحد الطبع ولست كذلك فان البين والصبابة الواقعة لاجله يعلمان ما الاقى منهما من الالم وأنت أيها الشاك لو سألت المدامع الجارية عند ذلك لشهدت لك شهادة بينة ثم قال

والصدق منى والوفاء سجية * لاخى ولست بذى الوداد المثمد

ان راغ ذو ودّ فلست برائغ * أو جذّ حبل إخائه لم أجدد
وإذا أعاقد لم تكن أنشوطة * عقدي ولا عشرا على مستوقد
وحفظت ظهر الودّ حيث نأت به * دار وأستبقي الثرى بتعهد

السجية الطبيعة والخلق الثمد الماء يثمده اتخذه ثمدا والثمد هو الماء القليل أو الذي لا بقاء له يظهر في الشتاء ويذهب في الصيف وراغ روغانا تقلب والجذ القطع والأنشوطة بضم الهمزة عقدة يسهل انحلالها كعقد التكة مثلا والعشر بضم العين وفتح الشين شجر عندهم معروف له صمغ حلو يقال له سكر العشر وله حراف يقدح فيه النار وهو أجود شيء في ذلك والمستوقد موضع الايقاد والود بكسر الواو الودود والثرى في الارض ما يستخرج من باطن التراب يبقى فيه الندى ويطلق على الودّ كما قال الاول

فلا تويسوا بيني وبينكم الثرى * فان الذي بيني وبينكم ثمر

أي لا تقطعوا المودة كالتراب تحفره فيخرج الى الشمس فييبس والتعهد التفقد والمعنى ان ماذكر من كثرة توديع الاخوان وفراقهم لم يكن عن سوء أخلاق وقلة وفاء وعدم ثبات فان الصدق في القول وفي العقد والوفاء لاخواني سجية في لا تتحول وهذا أبلغ من مجرد الثبوت وودّي لاخواني ليس ودّا ضعيفا ولا زائلا كالثمد من الماء بل قوي راسخ ان راغ ذو ودّ عني وانحرف فلست برائغ عنه أنا وان قطع حبل الاخاء لم أقطعه أنا ومتى عاقدت أحدا على محبة أو أخوة كانت عقدتي محكمة ولم تكن أنشوطة بأدنى شيء تنحل وتفسد ولا كالحراف يطرح على النار فيحترق بسرعة

ويضمحل فالمراد من العشر حوافها ومن شأني أن احفظ اخي بظهر الغيب حيث بعدت داره واستبقى المحبة بيني وبينه بالتفقد بالاحسان والمواصلة ثم قال

ولرب مذاق أبان فراؤه * طول الليالي عن ضباب لبد
فطردت سائمة الهوى عن مرتبع * من وده مستوبل مستوبد
وطويته جنحا واغضاء على * بللاته طي السقاء المنفد
ان الزجاج اذا تناوله الفتى * عنفا تصدع صدعة لم تكلد
وان ابتذى أغضيت عن عوراته * ما الكريم على البذاءة من يد

المذق شرب اللبن بالماء مثلا فاستعمل ذلك عند عدم صفاء المحبة فيقال مذق وده أي لم يخلصه وهو مذاق وفر الدابة يفرها فراء وفرارا مثلث الفاء كشف عن اسنانها لينظر ماسنها والضباب جمع ضب وهو الحقد والغيظ واللبد جمع لابد مقيم لاصق والسائمة الراعية من الماشية والارض الوبيلة الوخمة واستوبلها لم توافقه فهي مستوبلة والمستوبد السيء الحال يقال رجل وبد ومستوبد أي سيء الحال والوبد في الاصل مصدر معناه ضيق العيش وسوء الحال ويوصف به مبالغة كما تقول رجل عدل وطويت السقاء على بلته وبللته وبللاته أي طويته حين تقدماؤه على مافيه من بقية بلل وكانوا يطوونه كذلك لئلا يتكسر والصدع الكسر والتصدع الانكسار والكلد جمع الشيء بعضه الى بعض والابتذاء الافتعال من البذاءة وهي الفحش يقال بذو الرجل بالضم بذاء وبذاءة والعوراء الكلمة أو الفعلة

القبيحة

القبيصة واليد القدرة والطاعة أى رب امرئ يدعى المحبة وهو مذاق غير مخاص فأظهرت منه التجربة بعد طول أنه ذو حقاد وضغائن مستكنة فى قلبه لا تبرح ووصفها بالبود تخييل كأنها الضباب الحيوانية التى تلبد فى حجرتها فلما تبين ذلك من حاله رددت هواى ومحبتى عنه وصرفت قلبى عن محبته كما تصرف السائمة من المواشى عن المرعى الوخيم السئ لئلا يهلكها ومع ذلك لم أعامله معاملة اللئام الفجار فلم أفضحه ولا تكشفت عن سوء حاله بل قابلته بالحلم والاغضاء عن عيوبه وتركته على ما فيه وسايرته على ما ظهر منه من الوداد المذوق حذرا أن يضمحل كما يطوى السقاء على بقية البلل لئلا ينكسر وما أسرع مثل هذا المذاق الى العداوة والشنئان لو عومل بالانقياد كالزجاج متى لم يمسك برفق كان أسرع شئ الى الانصداع ولم يجبر أبدا وان وقع منه بذاء اغضيت عنه اذ لا طاقة لى بمقابلته ومكافأته فان البذاء انما يقابل بالبذاء وليس ذلك من وصف الكريم وانما هو شأن كل فاحش لئيم كما قيل

وأغفر عوراء الكريم ادخاره * وأعرض عن شتم اللئيم تكرما

واعلم ان ما وقع فى هذه الابيات وما يقع بعدها يعد من شبه الافتخار والتظاهر بمحاسن الاخلاق والافعال هو شئ مستباح فى الشعر لا يعاب فيه على أحد ومجازه مجاز النسيب أصلا وثمرته وفيه لطف ليس هذا محل بسطه ثم قال

ولقد حلبت الدهر شطريه وقد * مرت على جميع أصناف الندى

فعرفت مالم تعرفي وسمعت ما * لم تسمعي وشهدت مالم تشهدي

يقال حلب فلان الدهر اشطره أوشطريه أى نال خيره وشره وأصله في الناقة انها خلفان قادمان وخلفان آخران وكل خلفين شطر فلها شطران وربما يحلب الشطر فاذا حلبهما معا فقد استوفى ودرت الناقة تدر طاءت باللبن والثدى جمع ثدي ونسب الدر والبها لانها محل اللبن وفى نسخة مريت وأصله فى الدرع تقول مريت الناقة اذا مسحت ضرعها لتدر فأمرت هى أى درت والمعنى انى خبرت الزمان وعرفت ماشان وزان ونلت مطايبه وعرفت مصائبه فلا تعذليني ياهند فعندى من العلم ماليس عندك ثم قال

وعلمت نظم الشمل عز مناله * الا بشمل فى البلاد مبدد
والجفن لم يكحل بنوم هادئ * الا بنوم قبله لم يهتد

المبدد المفرق والهادى الساكن يقال هدأ هدوأ سكن والاهتداء الافتعال منه أى علمت ان انتظام شمل الانسان عزيز المنال مالم يتسبب لذلك بتفريق الشمل بأن يغترب فى الطلب وبهذه الغربة التى يتشتت فيها شمله يحصل له من الكمال مايكون به مستقيم الامر صالح الحال فينتظم شمله بسبب تفرقه وكذا جفنه لا يكتحل بالنوم ويحصل له الاطمئنان الابعد أن يطير نومه فى الجولان والمجاهدات ونسبة السكون الى النوم مجاز ثم قال

والبين عز للفتى ومكانة * يوم المآب وحظوة لم تعهد
فالعيد لو عم الليالى ما احتظى * والغيم لو لم يصح لم يتفقد

المآب الإياب وهو الرجوع الحظوة المنزلة والحظ من الرزق أى علمت البين عزا أى موجبا لاعتزاز الفتى وينال به يوم المآب مكانة عند الناس لم تكن له قبل ذلك اما لما اتصف به من الكمال واجتلب من الخير الذى اقتضى تبجيله وتوقيره واما لمجرد ارتياح اليه لتوحشه كما هو العادة فى ملاقاة الغائب وعلى هذا فالكلام مما خرج مخرج التمليح أى لو لم يحصل للغائب الا حظوته يوم القدوم لكان ذلك كافيا فى فضل السفر والرحلة وضرب لما ذكر من الاعتزاز بالبين والاحتظاء بالغيبة مثلين أحدهما العيد فانه لو عم الليالى بأن كانت كلها عيدا لم تكن له منزلة فلما كان لا يأتى الا مرة ومرتين حظى الثانى الغيث لو دام لم يطلب ثم قال

والنجح فى درك المعالى والمنى * فى ضمن ارقال المطايا بالخفد
من كل مسفنة اللبان شملة * وجناء ناجية أمون مجخد
ترنو بنا طرقى طريد فارد * وتزف لاغبة نجاء خفيدد
وكأن هاديها حباب ساجم * فى الروض أو مهزور غصن اخضد
وكأن كلكالها صدور بنية * مسموكة نحو السماء بقرمد
تطو بساعد مخش ذى هجمة * نائى المحالة مائح متجرد
وكأنما أخفافها فى لاحب * راح النوائح أولوائح مجلد

الارقال الاسراع والخفد جمع خافدة يقال خفد خفدا وخفدانا اذا أسرع فى مشيه والمسفنة الضامرة المجعول لها أسناف وهو حبل يشد فى الحزام ثم يقدم حتى يكون فى الصدر وهو اللبان

وانما يفعلون ذلك اذا خمص بطن البعير فاضطرب الحزام فيه فيشدونه
ليثبت الحزام فى موضعه و يقال لذلك الحبل السناف بكسر السين
واسنفت الناقة وهى مسنفة وسنفتها أيضا شددته لها و وصفها بذلك
كناية عن دؤوب السفر عليها والشملة بكسرتين مشددة اللام السريعة
والوجناء العظيمة الوجنتين والناجية السريعة والأمون والآمنة
من العثار والمخد الكثيرة الوخد والرتو ادامة النظر الى
شئ رنا يرنو والناظرة العين والطريد المطرود من الوحش مثلا والفرد
المنفرد والزميف الأسراع واللغوب الاعياء والنجاء الاسراع والسبق
تقول نجا ينجو نجاء أسرع وسبق والخفيدد الظليم والخفيدد أيضا
السريع الهادى العنق والحباب معظم الماء أونفاخاته كما مر الساجم
السائل تقول سجم الدمع سجوما اذا سال ومهزور الغصن اضافة
صفة الى موصوف أى غصن مهزور والأخضد المتثنى من الغصن مثلا
والكلكل الصدر والصدو رجمع صدر وهو مقدم الشئ والبنية
المبنية كالصومعة والغرفة ونحو ذلك المسموكة المرفوعة والقرمد
معروف ويقال قرمود بضم القاف أيضا والمطو المد والساعد
ساعد اليد وهو محل السوار والمخمس الذى أورد ابله لخمس
والهجمة من الابل الاربعون فما فوق وقيل من السبعين الى نحو
المائة والنائى البعيد محلة القوم منزلهم والماتح المستقى وهو النازع
للدلو من البئر و يتجرد من ثيابه لذلك والاخفاف للابل كالحوافر للخيل
واللاحب الطريق الواضح و لراح جمع راحة وهى الكف والنواتح
جمع ناتحة واللوائح جمع لائح وهو ما يتراأى اليك والجالد على مثال

منبر قطعة من جلد تمسكها النائحة تلدم بها وجهها ومعنى الابيات السبعة ان النجح أى الظفر بالحاجة فى ادراك المعالى وادراك جميع المنى أى ما يتمناه الانسان انما هو فى ضمن سير المطايا مرقلة مهاودة أى مسرعة والمراد ان المنى تدرك بالتحرك والاسفار والاغتراب وفى الحكمة الاولى الحركة بركة ثم بين المطايا ووصفها بأنها كل ضامر جعلى لها السناف وذلك لدؤب السير عليها وذلك دليل عتقها وجودتها موصوفة بما ذكر من الاوصاف ومنها انها تنظر بعينى مطرود وذلك نظر الفزع بحدة وهو دليل النشاط وتسرع اسراع الظليم وذلك بعد لغوبها وهذه مبالغة وكأن عنقها فى حقيقته وسلاسته الماء الجارى فى الروض وهو فيه سلس أو غصن مهزور وهو ناعم يتثنى وكأن صدرها فى عظمه وضخامته مقدم البيت المرفوع بالقرمد وفى الالفاظ كلها مبالغة أكثر مما شرحنا وهى أيضا تمطو أى تسرع فى سيرها وتمد بذراعين كأنهما فى خفتهما ساعدا رجل ينزع الدلو من البئر موصوفا بما ذكر من التجرد للعمل وكونه يسقى الكثير من الابل وكونه نائى المحلة فهو يبادر بسرعة وقوة وكأن اخفافها فى سرعة انقلابها على الارض فى الطريق أكف النساء النائحات اللادمات لوجوههن أو كأنها من المجالد التى يلدمن بها وهذه التشبيهات لائقة بأرباب الابل حاضرة فى خيالاتهم يفهمونها ثم قال

فالماء يكسى بالركود كدورة * ويروق رونقه اذا لم يركد
والبدر لولم ينتقل لم يستنر * والطفل لولم ينم لم يسترشد

والسوك لولبثت بنعمان لما * رشفت بأقصى الغرب ثغر مهند
ولو استقر الدر فى أصدافه * ما حل حاليا للازال الاجيد
والليث لو وجد الفريسة رابضا * فى الغيل لم يغتل حضيرة موصد
ولو الفتى يلفى بمأواه المبني * ماجاوز الدرب امرؤ القيس الردى
حتى استقى من آل قيصر شربة * نقعت حشاه فبات غير موسد
ولما تجشم فى البحار شدائدا * سيف ليقطع هامة المتمرد
حتى قرى الغربان غرب مهند * وأناخ فى عرصاتهم بالنهد
ولما خدت من كل فج ضمر * خوص بخير العالمين محمد
صلى عليه الله ما نم الصبا * بنهار مطلول الرياض مورد

الركود الثبوت والاقامة والكدورة ضد الصفا وراقه الشئ أعجبه والرونق الحسن والاسترشاد الاهتداء تقول رشد فلان واسترشد لامره اذا اهتدى له والسوك جمع سواك وهو العود يستاك به المهند التى نهد ثديها من الجوارى أى كعب والحلى ما يتحلا به والاجيد الطويل الجيد أى العنق والرابض مثل البارك والربوض فى الكلاب وفى البقر والغنم والبروك فى الابل والجثوم فى الطير والغيل كن الاسد والاغتيال الاقتحام والاهلاك والحظيرة ما يحتظر للغنم ونحوها والموصد المغلق يقال أوصد الباب اذا أطبقه وأغلقه والمأوى المنزل وامرؤ القيس هو ابن حجر الكندى الشاعر والردى الهلاك حسا أو معنى والنقع ازالة العطش يقال نقع الماء عطش فلان أى سكنه وشرب حتى نقع أى روى وسيف هو ابن ذى يزن الحميرى والهامة الرأس

والقرى ما يقدم للضيف وقراه يقريه والغربان جمع غراب وأريد به هنا الحبشة لسوادهم فهو استعارة والغرب الحد المهند وصف للسيف والاناخة اناخة الناقة مثلا وهى ابراكها ثم يقال أناخ أى نزل والنهد جمع ناهد وهو الناهض للحرب وطلب اللقاء والضمر جمع ضامر والخوص جمع خوصاء وهى الغائرة العينين من الضمر وكثرة السير ثم نقل الحديث واستعمل هنا فى نقل ريح الصبا رائحة البهار اذا كان فى مطلول الرياض أى الروض المطلول وهو الذى أصابه الطل والمورد الذى كان له ورد ومعنى هذه الابيات انه احتج على ماذكر من الحض على الحركة والترغيب فى النقلة بأمثال ضربها شوهد فيها أداء الحركة الى الفائدة وان الاقامة لا ينال معها الارب ولذلك احتيج الى الحركة وهى فى هذه الامثال اما الحركة العرفية وهى الانتقال من حيز الى حيز واما الحكمية وهى الخروج من القوة الى الفعل على سبيل التدريج كما فى نحو الطفل وزيادة الهلال فقال فالماء اذا ركد بأن أقام ولم يجر تعلوه الكدرة واذا جرى صفا وظهر رونقه وكذا البدر لو لم ينتقل بالزيادة اذا كان هلالا لم يصر له النور التام بصيرورته بدرا والطفل لو بقى طفلا ولم يتحرك بالزيادة لم يصر رشيدا عارفا بالمصالح مالكا أمر نفسه وكذا المساويك لو بقيت فى وادى نعمان الاراك وهو واد حول الحرم ولم تنتقل فى أيدى الآخذين لها لم تصل الى أرض المغرب ولا وصلت الى أفواه العذارى النواهد فاستكن بها وكذا الدر لو بقى فى اصدافه وهى أوعيته التى يكون فيها فى البحر ولم ينتقل فى أيدى الآخذين له لما صار فى القلائد ولا حل فى رقاب الولائد وكذا الليث أى الاسد

لو وجد ما يأكله فى غيله لم يحتج الى تجشم الخطائر المغلقة الابواب وتعسف الغيضان والروابى ولو كان المرء يجد مأربه وما يتمناه فى منزله لما تكلف الناس مشاق الفراق واعتساف الآفاق وركوب الاخطار فى جوف الاقطار ولما تجاوز امرؤ القيس الدرب ذاهبا الى قيصر والدرب كل مدخل الى بلاد الروم من بلاد العرب حتى آل أمره الى أن سم ومات وجعل السم ناقعا لقلبه أى يعطش قلبه لانه تخيله ماء على طريق الاستعارة التهكمية والتمليحية نحو فبشرهم بعذاب أليم وقوله تحية بينهم ضرب وجيع وميتته غيره وسد كناية عن موته فى الفلوات أوعن ضجعته فى لحده اذليس هنالك الوساد المعتاد ولو كانت المنى تصاب بلا رحلة أيضا لما تجشم سيف ابن ذى يزن الشدائد والاهوال فى البحار التى ركبها مقفله من كسرى طالبا أن يقطع رؤس الحبشة المتمردين فى بلاد اليمن وقطع الهام اما حقيقة أوكناية عن حسم الشوكة وفى ذكر القطع مع سيف مناسبة لطيفة حتى أطعم الاغربة حد السيف ونزل فى منازلهم بالقوم الناهدين من أبناء فارس واطعام السيف أيضا استعارة تمليحية كما قال الآخر

نقريهم لهذميات نقدّبها * ما كان خاط عليهم كل زراد

وسنذكر قصة هذين الرجلين ولو كانت أيضا المنى تلقى فى المنازل لما خدت أى أسرعت من كل ناحية وكل فج من فجاج الارض المطايا الضمر الخوص من كثرة التسيار الى زيارة خير العالمين (محمد) النبى المصطفى صلى الله تعالى عليه وسلم تسليما ماجات رياح الصبا عرف البهار فى الرياض المطلولة وهو مورد أى منوّر وذلك أطيب وأفوح

وانما كان هو رد وهو نكرة وصفا لبهار وهو مضاف لان اضافتها لا تفيد تعريفا يغنيه عن ذلك فان المضاف اليه اما الوصف نفسه ولا يتعرف باضافته واما الموصوف اعتبارا لكون الصفة في نية التأخير وأل فيه جنسية وهو في المعنى كالنكرة فيعامل معاملة المعارف نظرا الى اللفظ كثيرا ويجوز أن يعامل معاملة النكرة نظرا الى المعنى ولذا يوصف بالجملة كقوله ولقد أمر على اللئيم يسبني وجوز في قول النابغة

فبت كاني ساورتني ضئيلة * من الرقش في أنيابها السم ناقع

ان يكون ناقع صفة للسم وهذا معلوم في محله وخبر امرئ القيس انه لما قتل أبوه قام في أخذ الثار وطلب الملك فجال في بلاد العرب ثم بدا له أن يستمد من الروم فخرج الى قيصر وفي ذلك يقول

بكى صاحبي لما رأى الدرب دونه * وأيقن أنا لاحقان بقيصرا

فقلت له لا تبك عيناك انما * نحاول ملكا أو نموت فنعذرا

وقال أيضا

واني زعيم ان رجعت مملكا * بسير ترى منه الفرانق أزورا

وقصته في ذلك مشهورة فلا نطيل بها وحاصلها انه رجع من عند قيصر فأتبعه سما ويقال ثوب أو قميص مسموم فلما لبسه جعل لحمه يتقطع فمات وذلك بموضع من بلاد الروم يقال له أنقره ويقال هي عمورية التي غزاها المعتصم وسبب السم انه وشى به رجل من بني أسد يقال له الطماح الى قيصر وفي ذلك يقول امرؤ القيس

لقد طمح الطماح من بعد أرضه * ليلبسني من دائه ما تلبسا

(وأما خبر سيف) وهو سيف ابن ذى يزن الحميرى فانه كانت الحبشة
تقلبت على بلاد اليمن من ذى نواس الحميرى وذلك ان ذا نواس
لما أوقع بأهل نجران أفلت منهم رجل فالتحق بقيصر يستنصره
على ذى نواس وجنوده فكتب له قيصر الى ملك الحبشة ينصره فجهز
ملك الحبشة جيشا فى سبعين ألفا فصاروا حتى نزلوا بساحل اليمن
فخرج اليهم ذو نواس فهزموه ودخلوا اليمن وتملكوها وكان صاحب
أمرهم بها ارياط فقام ابرهة الاشرم صاحب الفيل على ارياط
فقتله فملك اليمن فلما مات فى وقعة الفيل ملك ابنه يشرم ابن ابرهة
ثم لما مات ملك أخوه مسروق ابن ابرهة فلما طال البلاء بأهل اليمن
خرج سيف ابن ذى يزن الى قيصر يستنصره عليهم فلم يساعفه فخرج
الى كسرى فقال له غلبتنا الاغربة جئتك لتنصرنى و يكون ملك
بلادى لك فقال كسرى بلادك بعيدة ولا خير فيها وأجازه بعشرة
آلاف درهم وكسوة حسنة فلما قبض سيف ذلك أخذ يفرق ذلك على
الناس هنالك فبلغ الخبر الى كسرى فاستدعاه فقال له ما حملك
على ما فعلت من اتلاف ما أعطيتك فقال سيف وأى حاجة لى به
جبال ارضى كلها ذهب وفضة وأراد بذلك ترغيبه فلما سمع كسرى
ذلك خلا بمرازبته فقال ما ترون فى أمر هذا الرجل فقالوا أيها الملك
ان فى سجونك قوما فادفعهم معه فان ظفروا كان ذلك زيادة فى ملكك
وان ملكوا فذاك ما تريد بهم ففعل ذلك وجهز معه من فى السجون
وكانوا ثمانمائة رجل واستعمل عليهم رجلا يقال له وهرز فى ثمانى
سفائن فهلكت سفينتان فى البحر و وصل الى ساحل اليمن ست

سفائن

سنفاش فاستنصر بسيف من وجد من العرب فخرج اليهم مسروق بن ابرهة فى جنوده فكان حاصل الامر فى حديث طويل أن رماه وهرز الفارسى بسهم فقتله وتفرقت الحبشة فى كل وجه ودخلت فارس صنعاء ولم يزالوا بها الى ان كان آخرهم باذان الذى أسلم حيث كتب اليه كسرى أن رجلا من قريش يزعم أنه نبي فاستتبه فان تاب والا فأتنى برأسه فأعلم باذان النبي صلى الله تعالى عليه وسلم فقال النبي صلى الله عليه وسلم ان الله تعالى أعلمنى أنه سيقتل كسرى فى يوم كذا من شهر كذا فلما بلغ ذلك باذان توقف فقال ان كان نبيا فسيكون ماقاله فقتل الله تعالى كسرى فى الوقت الذى حدده الصادق المصدوق صلى الله عليه وسلم على يد ابنه شيرويه فلما رأى باذان ذلك بعث باسلامه واسلام من معه الى رسول الله صلى الله عليه وسلم وفى قصة سيف يقول أبو الصلت الثقفى

ليطلب الوتر أمثال ابن ذى يزن * ريم من البحر للاعداء أحوالا
حتى أتى بنى الاحرار يحملهم * انك عمرى لقد أسرعت قلقالا
لله درهم من عصبة خرجوا * ماان أرى لهم فى الناس أمثالا
بيضا مرازبة غلبا أساورة * أسدا تربب فى الغيضات أشبالا
أرسلت أسدا على سود الكلاب فقد * أضحى شريدهم فى الارض فلالا
فاشرب هنيئا عليك التاج مرتفعا * فى رأس غمدان دارا منك محلالا
تلك المكارم لاقعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

ثم قال

ويشمن باللحظات كل مخيل * ويسمن بالثفنات كل مبلد
ويعمن بالملوات عيم ضبابها * ويعمن فى غمرات آل الصيهد
ويزمن من دين السرى ماقدلوى * ككل وخيم للدعات مخلد
ترقد بالجدد ارقداد نعائم * وتخال فى الوعث اختيال الخرد
حتى تراها كالقسى مجالها * أوتارها أو كالحنايا العمد
وترى بنات العيد أضحى نقضها * عيدا لوحش بالفلاة معيد

دع بمعنى اترك والمطى جمع مطية الوثم الكسر وثمت المطايا الاحجار يثمنها والضراب جمع ضرب بالكسر وهو الحجر أو المدور منه المحدد والصوى جمع صوّة بالضم وهو ماارتفع من الارض والوشم فى البدن أن تغرز الابرة فى اللحم ثم يذر عليه النيلج وهو معروف وفى الارض مجاز عن الاثار الواقعة بالوطئ اليسرات القوائم الخفاف الاجلد المكان الصلب يقال مكان جلد ومكان أجلد قال جرير

أجالت عليهن الروامس بعدنا * دقاق الحصى من كل سهل وأجلد

والاجلد أيضا الاشد والاقوى من الجلادة وهى القوّة والشدة وشام البرق يشيمه نظر أين يحدو أو أين يمطر اللحظات جمع لحظة وهى نظرة العين والمخيل من السحاب مايظن منه ماطرا والوسم وضع السمة وهى العلامة وسم يسم وثفنات البعير بكسر الفاء ركبته ومايمس الارض منه العيم شهوة اللبن والعيم أيضا العطش وهو المراد فى البيت يقال عام يعيم عيما وعيمة فهو عيمان والملوات الفلوات والعوم السبح فى الماء والغمرات جمع غمرة وهى معظم الماء والآل السراب والصيهد هو السراب الجارى والوزم قضاء الدين وزم يزم والسرى سير الليل

والى المطل يقال لوى فلان غريمه أى مطله والوخيم الثقيل والدعات جمع دعة وهى الراحة والنعمة والتخليد الاخلاد يقال أخلد الى الشئ ركن اليه وتساقط عليه والارقداد الاسراع والجدد بفتحتين الموضع الصلب وضده الوعث وهو الذى تغمس فيه الارجل والنعائم جمع نعامة وخال يخال واختال يختال فى مشيته والخرد جمع خريدة وهى الحيية القسى جمع قوس وأصله قووس ثم قلب المجال محل الجولان من الارض الوتر وترا القوس الحنايا هنا جمع حنية وهى الخشبة يسقف بها أو المعوجة مطلقا بمعنى محنية تقول حنوت الشئ أحنوه اذا عطفته فهو محنى وحنى ومن ثم قيل للقوس حنية وجمعها حنايا وهو المعروف عند العرب لانها محنية أى معطوفة غير انه هنا لما ذكر القسى فى آخر البيت لم يبق الا أن يراد شئ آخر وهو السقائف ولذا وصفها بالعمد أى العامدة وهى مجاز لانك تقول عمدته اذا أقمته بالعماد فنسبة ذلك الى العماد نفسه مجاز والعرب تشبه المطايا فى ضمورها بالسقائف كما تشبهها بالقسى قال الشاعر

و رفعت راحلة كان ضلوعها * من نص راكبها سقائف عرعر

غير أن هذا شبه الضلوع وما فى البيت تشبيه الجملة والمراد من الجميع الفحول والضمر والعيد فحل منجب معروف وتنسب اليه النوق النجائب فيقال بنات العيد وناقة عيدية والعيد فى عجز البيت هو الموسم كالاضحى والعيد عند العرب كل يوم فيه جمع وعيد القوم شهدوا العيد والنقض بالكسر المهزول من السير جملا أو ناقة ومعنى الابيات انه لما احتج على الرحلة بما مر من الامثال وأبان انها مجلبة لخصال المعالى ومعالى

الخصال استنتج من ذلك الامر بها والاقبال على طلبها فقال فدع المطايا تسير بجد ونشاط وقوة فتهشم حجارة كل رابية وتنقر في وجه كل قاع شبه الوشم في خد الجارية وتشم برق كل سحاب مطمع وتسم بثغناتها كل موضع وشيم البروق كناية عن العطش وذلك كناية عن السير في المهامه المقفرة وذلك كناية عن بعد الشقة وهو شأن الهمة الرفيعة ووسم المكان هو بما يبقى فيه من أثر الركب والافخاذ وغير ذلك بعد النهوض وتعطش بالقفار عطش ضبابها فان الضب لا يشرب وتعوم في غمرات كل سراب كالماء وأنكر بعض أهل اللغة أن يكون الصيهد هو السراب الجارى وقال ان الصيهد هو شدة الحر وعلى هذا القول البيت صحيح أيضا على حذف مضاف أى ال ذى حر شديد وحرارة شديدة أو مبالغة بلا تقدير وتقتضى من دين السرى مالواه أهل الهمم الساقطة المخذولون الى الراحات الراضون بالمأكولات والمشروبات أى ان السرى لطلب المعالى كانه حق على الناس ودين على العقلاء وهذا الدين عطله اللئام ويفى به الكرام واذا بلغت هذه المطايا الجدد من الارض أرقلت ارقال النعام واذا بلغت الوعث كالرمال والخبار جعلت تتقاع كانها تختال اختيال الخرائد ولا تزال فى داب السرى حتى تراها أيها الناظر ضامرة كانها القسى فى ضمورها وانعطافها وكان ما بين اخفافها الاوائل والاواخر من الارض هى أوتار تلك القسى ومن نظر اليها متأملا علم ذلك أو كانها السقائف فى نحولها وطولها وترى تلك النجائب العيدية قد بقى مهزولها فى الفلوات فصار عيدا للوحش يعيد عليه وفى الابيات نوع من التسجيع غريب يقع فى الصدور وهو

صنيع افراد من بلغاء الكتاب وسيأتي أيضا إن شاء الله تعالى
ثم قال

فلكم لبست الدهر من شفو الملا * كالخرق يبلي في البلاد ويرتدي
وسرادق أفق السماء اذا سجا * أرعى كواكبها بجفن مسهد
في مضجع أغشاه غير مدمث * وذراع بنت القفر فيه موسدي
وكأنما جفني المسهد طائر * حذر متى يرم الوقوع يشرد
وكأنما حسب الدجى فقعاقد * أرخت عليه مخالب المتصيد

الشفو جمع شفه وهي من الثياب معروف والشفة أيضا البعد والجهة التي يقصدها المسافر والملا بفتح الميم والقصر الصحراء ويقال أيضا الملا جمع ملاة وهي الفلاة ذات الحر والسراب والخرق بكسر الخاء السخي من الفتيان أو السخي الظريف ابلاء الثوب معروف والملا بضم الميم جمع ملاءة وهي نوع من ثيابهم ويقال لها الريطة والارتداء الالتحاف السرادق بضم السين شيء يمد في صحن الدار مثلا والبيت من الكرفس وسجا الشيء دام وسكن والمسهد بفتح الهاء من السهد وهو الارق يقال سهد وسهدته انا تسهيدا فهو مسهد أي تركته بلا نوم والمضجع موضع الاضطجاع والمدمث المسوى المسهل وبنت القفر هي الحجر والصخر والفتخاء المسترخية الجناحين وتطلق على العقاب المخالب جمع مخلب وهو للسباع وسباع الطير ومعنى الابيات انه لما نذب الى الرحلة والاغتراب ذكر مالقي في هذا الباب وما قاسى من المشاق والمتاعب وتعاطى من المهالك والمعاطب فقال كم لبست

الدهر أى فى دهرى من شقق الملا وفيه ايهام لانه اماشقة البين والقرينة ذكرالملا واماشقة اللبس والقرينة ذكر اللبس قبله وعلى الاول فالاستعارة فى اللبس بأن اعتبرت المسافات وجعل الدخول فى كل واحدة هو لبسها والخروج عنها هوابلاؤها وطرحها بلبس الاخرى ولذا شبه بالخرق يلبس الملاءة ثم يطرحها ويرتدى أخرى وعلى الثانى فالاستعارة فى لفظ الملا أى الصحراء أو الفلوات بأن شبهت بالثياب أى بجنس منها واضيفت شقق ذلك الجنس اليه تخييلا ويجوز أن يكون تشبيها بليغا أو استعارة تصريحية فى لفظ الشقق والمعنى انى كثيرا ماقطعت مسافة ودخلت أخرى من كثرة الترحال ودوام الانتقال وسرادقى أى بيتى أوظلى الذى آوى اليه انما هو أفق السماء أرعى كواكب السماء بجفن شخص مسهد وذلك فى مضجع من الارض أغشاه أى أفضي اليه اذلا فراش ولا وطاء وهو غير ممهد اذ لاقرار ولاخادم مع عدم الركون الى الدعة والالتفات الى الرفاهية وذراع الحجر هو الموسد لى أوهو مكان التوسيد فان ذلك الوقت وقت يتوسد فيه المقيم فى دعة ذراع ضجيعته وليس لى أنا ضجيع ولا وساد الا الاحجار وكأنما جفني المسهد من كثرة قلقه وقلة سكونه وهدوه طائر شديد الحذر كالغراب مثلا متى يحاول الوقوع أى النزول الى الارض يشرد الى الجو فيطير صاعدا وكأنه أيضا يحسب الدجى أى الظلم وهى جمع دجية أى بطنها حيث انسدلت عقبانا فتخاء أى مرخية الجناحين تهم بشئ تختطفه فهي قد أرخت أى أدلت مخالبها التى تتصيد بها فاذا توهم هذه الصورة لم يسكن ولم يغشه نوم ثم قال

وكم اشتكيت غريب دار ليس لى * من عود غير الدخيل المسد

الاشتكاء اظهار مابك من مكروه أو مرض ونحوه والاشتكاء أيضا من الشكوى وهو المرض نفسه تقول فيه شكا شكوى وشكاية وتشكى واشتكى ومن الاول يقال اشتكى عضوا من أعضائه والذى فى البيت يصح أن يكون منه فيكون حذف المعمول اختصارا أو اقتصارا وأن يكون من الثانى وهو ظاهر والعود جمع عائد وعائدة من عيادة المريض والدخيل الحزن والهم الداخل الى الفؤاد والمسد مفعل من اللسد وهو الرضاع أى كم مرضت وأنا غريب الدار وليس لى عائد يعودنى غير مافى الحشا من الحزن المصاص للفؤاد الداخل كل حين وبئس العائد ثم قال

ولرب ليل نابغى رضته * جلا الرحلى ما اشمأز ولا حدى
وسقت على دجاه اشتات الهوى * وسقت فؤادى كاس وجد ميدد
واستأسدت فيه الهموم على الحشا * حنقا فبت لها بليلة أنقد

الليل النابغى الطويل وهو منسوب الى النابغة الذبيانى حيث قال
فبت كأنى ساورتنى ضئيلة * من الرقش فى أنيابها السم ناقع
يسهد من ليل التمام سليمها * لحلى النساء فى يديه الفقاقع
وقيل من ذلك ليلة نابغية وصارت مثلا والاشمئزاز النفور والحدى الزجر والسوق وسقت جمعت وسقت فى المصراع الثانى من سقى يسقى الميدد مفعل من الاد يقال أدته الداهية تؤده اذا دهته واستأسد الرجل أو غيره صار كالاسد واستأسد على اجترأ الحنق أشد الغيظ أنقد هو القنفذ

وقد يقال بالالف واللام وفى المثل بليلة انقد أى لم ينم لان القنفذ لاينام أى رب ليل قطعته سيرا وفى البيت مثلان سائران أحدهما قولهم ليلة نابغية كما قررنا ذلك الثانى قولهم اتخذ الليل جملا اذا شار فيه غير أنه فى البيت زاده ترشيحا زاده بقوله رضته فهو جمل مرتاض ذلول وقوله لرحلى وهو من خواص الجمل الحقيقى كالارتياض وقوله ما اشمأز ولا حدى يريد أنه جمل ما نفر قط من حمل ولا ركوب ولا احتاج الى حاد وهذا لايوجد فى الابل وكأنه بتلك الرياضة اتصف بهذا ففى البيت من المحاسن ما يطول بنا شرحه ثم وصف الليل بانه وسقت أى جمعت ظلمته اشتات الهوى فان الهوى والحزن والهم يروح الى القلب مع الليل وذلك انه يتفرغ اذ ذاك بخلاف النهار فانه يشتغل فيه بالاشغال ويتسلى وانها سقت الفؤاد كأسا من الوجد الداهى وان الهموم استأسدت فيه أى صارت أسودا أو تجاسرت على الحشا فذهب النوم بذلك وبات بليلة انقد وهذا أيضا مثل سائر ثم قال

ولبست من ساجيه ساجا رصعت * منه فرائد لؤلؤ بزمرد
والبدر فى أفق السماء كأنه * ملك من الزهر الدرارى فى ند
وترى الثريا حوله وكأنه * جمع لامر فى العشيرة منتد

الساجى الدائم الساكن كما مر والساج الطيلسان الاسود والاخضر والمرصع المحلى وأصله قولك رصع به اذا لزق وارتصع التصق والفرائد جمع فريدة وهى الجوهرة النفيسة والزمرد بالضمات وتشديد الراء

هو الزبرجد و يقال أيضا بذال معجمة وهى اللغة المشهورة الدرارى جمع درى وهو الكوكب المضئ وهو الازهر أيضا الندى المجلس الثريا النجم المعروف انتدى القوم ينتدون اتخذوا حللا أى لبست من ظلام الليل الساجى ساجا مرصعا بالجوهر والزمرد أى الكواكب مع ما يتخللها من الازرق والبدر فى الافق كانه والكواكب المحيطة به ملك من الملوك اجتمعت عنده أرباب دولته والثريا كان نجومها المجتمعة جمع من الناس منتدون للتشاور فى أمر وقع فى عشيرتهم وأفرد منتد مراعاة للفظ جمع والجوزاء كان نجومها فرائد وما يبدو بينهما من لون السماء كانه الزبرجد ثم قال

حتى بدا ثغر الصباح كانه * وخط المشيب بفرع خود منتد
أو ثغر زنجى تبسم شائصا * بأراكة عن مثل صافى الحفرد

وخطه الشيب خالطه وقيل هو أن يستوى البياض والسواد والفرع هنا الشعر فى الرأس والخود الحسنة الخلق الشابة والمنتدى المتفرق يقال ندا الشئ يندو تفرق وهو وصف للشعر وشاص فاه بالسواك دلكه به فهو شائص والحفرد الجوهر أى لم أزل سائرا ومتخذا الليل جملا ثم ظهر الصباح كانه الثغر الابيض وكان بياضه فى سواد الليل شيب فى شعر الخود الكثير أو ثغر زنجى شاص فاه بعود اراكة فتبسم عن اسنان مثل الجوهر الصافى وقد اجتمع حينئذ بياض الاسنان مع صفرة السواك محوطا بسواد كثير وذلك صفة الفجر الواضح ثم قال

والقوم سكرى بالكرى وكانهم * ميلا على الاكوار هرعى صرخد

يتيمنون من الصباح بأغرب * بقع وسعد الغرب أغرب مسعد

السكرى جمع سكران والكرى النعاس الميل جمع أميل وهو الذى لا يثبت على المركوب والاكوار جمع كور بالضم وهو الرحل والصرعى جمع صريع وهو المصروع واصرخد الخمر والتيمن من اليمن وهو ضد الشؤم والاغرب جمع غراب والبقع جمع أبقع وهو فى الطير بمنزلة الابلق فى الدواب الغرب جمع غراب الاغرب من الغرابة وهى الندور والقلة أى والقوم وهم الرفقاء فى ذلك السرى قد أسكرهم النعاس فهم لا يثبتون على الرواحل وكأنهم قد شربوا الخمر فصرعتهم وهم يتيمنون أى يعدون الصباح مخرجا لهم من مشقة السير وطول الليل فهو سعيد وهو كأنه غراب أبقع أى مختلط البياض بالسواد فقد تيمنوا بالغراب الابقع وكون الغربان ميامين من أغرب ما يسمع فان العرب يستوحشون منها ويزعمون انها تنذر بالفراق كما قال وجرى ببينهم الغراب الابقع وانما ذلك لكونها تلم بالديار الخالية وتصيح بعد الافتراق ثم قال

والعيس من دأب السرى محروكة * تشكو ذراها كل جبس حلفد

العيس الابل البيض مع شقرة والواحد اعيس والانثى عيساء والمحروكة التى أصيب حاركها الذرى جمع ذروة الجبس الثقيل الجامد واللئيم والجبان الحلفد على مثال زبرج الثقيل السئ الخلق أى الابل من دوام السرى قد دبرت حواركها وذراها تشكو بلسان حالها ركوب كل ثقيل جاف غير راحم ثم قال

فى مهمه يشجى البوازن ضاحيا * ويروع عيصانا فؤاد الاربد
يتحير الكدرى فى جنباته * حتى يحين صدى ولم يتورد

المهمه القفر والشجى الحزن شجاه وأشجاه ويكون أيضا بمعنى الطرب على الضد والبوازن جمع بازن وهو القوى من الابل الذى بلغ تسعا والضاحى البارز للشمس والمراد هنا مالاشجر فيه والروع الخوف راعه يروعه والعيصان جمع عيص وهو الملتف من الشجر والاربد الاسد والكدرى القطا والجنبات النواحى وحان يحين هلك والصدى العطش تورد ورد الماء أى كان ذلك السرى فى مهمه هذه صفته وهو أن ما كان منه عاريا يحزن البوازن اذا توجهت لقطعه وذلك لطوله كما قاله امرؤ القيس

على لاحب لايهتدى بمناره * اذا ساقه العود النباطى جرجرا

وما كان منه غابة فهو يهول الاسود أن تسلكه ثم وصفه أيضا بكونه مجهلا مطموس المعالم فقال ان الكدرى يتحير فيه حتى يهلك عطشا ولم يصل الى الماء مع انه أهدى الطير فكيف بغيره ثم قال

فكانه بحر علوناه وما * حيتانه غير الدبى والجدجد
بسفين خوص كالحنايا ضمر * تخب بأشرعة الهوادى تهتدى
قدها جها ريح الصبابة لا الصبا * وغناء كل مطوق ومغرد
يشدو فيذكر كل عهد سالف * ويثير كل هوى محيل خامد

الدبى بفتح الدال والالف مقصورة كوزن الفتى الجراد الصغير جدا

والجدجد بضمتين كوزن هدهد دويبة كالجندب وطويرصغير كالجراد والسفين جمع سفينة والخوص جمع خوصاء وتقدم والحنايا القسي والضمر جمع ضامرة النجب جمع نجيبة وهي الجيدة الكويمة والاشرعة جمع شراع بكسر الشين وهو المنصوب فوق السفينة لتتحرك به والهوادي جمع هاد وهو العنق والمطوق ماله طوق والتغريد رفع الصوت بالغناء أي فكان ذلك المهمه المذكور بحرا ركبناه ولكنه بحر حيتانه الجراد والجنادب وانما خضناه بسفائن من الابل الضمر كالحنايا الخوص النجب ولما كانت السفينة تحتاج الى شراع والى ريح تحرك الشراع كانت شرع تلك السفن أعناقها فان البطأ والخفة يظهران فيه وريحها ريح الصبابة والشوق الى من توجهت اليه وغناء ذوات الاطواق المغردات في حافات الطريق يشدو ذلك المطوق أي يرفع صوته بالغناء فيذكر العهود السالفة ويحرك الهوى المحيل الخامد ثم قال

ولرب باكية شجتني موهنا * نغماتها فوق القضيب الامأد
باتت تطارحني البكاء كأنها * تدري الذي بجوانحي من موجد
فبكيت غير بكائها اذلم ترق * دمعا ونجري بالمدامع قدندى
بكت الهديل على تقادم عهده * أفلا أحن الى حديث المعهد

الموهن الوقت من الليل نحو النصف أو بعده الامأد من النبات الانعم الالين التطارح المطارحة في الكلام والغناء معروف الموجد مفعل من الوجد وهو الحزن ندى المكان ابتل الهديل بفتح الهاء

صوت الحمام والهديل أيضا فرخ تزعم العرب انه كان فى عهد نوح عليه السلام فصاده جارح أومات عطشا قالوا فما من حمامة الا وهى تبكى عليه وهذا موجود فى أشعارهم كثيرا فلهذا وقع فى البيت جريا على منهاجهم أى رب حمامة باكية شجتنى أحزنتنى بنغماتها وأصواتها الحسنة فوق الغصبان النواعم نضارة وربا باتت بذلك تساجلنى فى البكاء كانها قصدت ذلك وكانها تدرى أى تعلم مافى قلبى من الاحزان وفى نسخة كانما تجد الذى أجد من الاحزان فبكيت بسبب بكائها غيرانى بكيت بكاء غير بكائها اذهى لاتريق دمعا ولذا لايسمى غناء ويسمى بكاء بحسب وجدان السامع وما أحسن قول ابن عبد ربه

شجى قلب الخلى فقال غنى * وبرح بالشجى فقال ناحا

ودمعى أنا قد جرى حتى ان نحرى قد ندى أى ابتل بالمدامع وفى نسخة وحلقى بالمدامع قد كدى أى غص بها يقال كدى بالعظم اذا غص به وبكت هذه الحمامة الهديل على تقادم عهده من زمن نوح عليه السلام أفلا أحن أنا الى ولد حديث العهد قد ودعته ثم قال

وبكت وفرخاها هناك وقد عدا * فرخى عنى كل نشز قردد

مارمت عنهم رحلة الاحجوا * ألا تلاقى بعد ذاك المشهد

فعلا عويلهم وناحوا نوحة * سلكت فؤادى كالشجى فى مفأد

وسقوا تراقيهم وقالوا الاترم * أولا فلا تبعد ولا تتبعد

أبكى عليهم بعدهم أسفا وهم * يبكون بعدى كالثكالى الفقد

عدوته على الامر عدوا وعدوا ناصرفته عنه وشغلته النشز من الارض

القردد وهو ما ارتفع وغلظ جعل الامر يجوزه ظنه والعويل رفع الصوت بالبكاء والسلك الادخال كما تقول سلكت الدرة فى الخيط واللحم فى السفود ونحو ذلك والمعكاشم الماء والمفاد الآلة يشوى بها اللحم تقول فأدت اللحم فهو مفؤد اذا شويته ولا ترم لا تنتقل ولا تبرح و بعد يبعد كعلم يعلم هلك وتبعد ضد تقرب والثكالى جمع ثكلى والفقد جمع فاقد وصف كاشف أى وبكت تلك الحمامة أيضا مع أن فرخيها معها وقد بعدت فراخى أنا وصرفها عنى كل نشز من الارض وحال بينى وبينهم فما يستطيعون الوصول الى ومارمت عنهم ارتحالا وقط الا ظنوا أن لا تلاقى بعد ذلك المشهد وانى لا أرجع اليهم لبعد المشقة مع شدة المخاوف وكثرة المتالف فعلا أى ارتفع بسبب ذلك بكاؤهم وناحوا نوحة يرق لها العدو حتى يصير قلبه كانه مشوى على النار فى السفود وهذه مبالغة وسقوا بالدموع تراقيهم جمع ترقوة وهى العظم الذى بين نقرة النحر والعاتق وقالوا عند ذلك لا ترم أى لا رمت وهو تلميح الى قول ابنة جرير ابانا فلا رمت من عندنا وتمامه فانا بخير اذا لم ترم أو لم يكن ما تمنينا من الاجتماع فلا بعدت ولا تبعدت فأنا أبكى على أولئك الفراخ بعد فراقهم أسفا وحزنا عليهم وهم يبكون بعدى كذلك وكلنا كالثكالى فى احتراق الاحشاء واشتداد البكاء ثم قال

لو كان عبد الله يسمع نوحتى * ألقت عصاها رحلتى وتزودى

عبد الله هو ابن طاهر المشهور والقاء العصا كناية عن الاقامة وانقطاع السفر لان المسافر يأخذ العصا بيده فاذا أقام رمى بها وهو تلميح الى

القصة

القصة الواقعة لعبد الله بن طاهر مع عوف بن ملحم الشاعر المشهور وذلك ان عبد الله خرج في بعض غزواته ومعه عوف فبينما هما يتسايران اذ لاحت حمامة فأنشد ابن طاهر

ألا يا حمام الايك الفك حاضر * وغصنك مياد ففيم تنوح
أفق لاتنح من غير شئ فانني * بكيت زمانا والفؤاد صحيح
ولوعا فشطت غربة دار زينب * فها أنا أبكى والفؤاد جريح

ثم قال لعوف أيحضرك شئ من هذا المعنى في هذا الروى فقال عوف

أفي كل عام غربة ونزوح * أما للنوى من ونية فتريح
لقد ظلم البين القذوف ركائبي * فهل أرين البين وهو طليح
وارقني بالرى نوح حمامة * فنحت وذو الشوق الغريب ينوح
على انها ناحت ولم تذر عبرة * ونحت واسراب الدموع سفوح
وناحت وفرخاها بحيث تراهما * ومن دون افراخي مهامه فيح
عسى جود عبد الله أن يعكس النوى * فتلقى عصا التسيار وهي طريح
فان الغنى يدني الفتى من صديقه * وعدم الغنى بالمقترين نزوح

فلما سمع عبد الله هذا الشعر رق له ووصله بعطاء جزيل ورده الى أهله وقال له يصلك عطاؤك كل عام في أهلك ثم قال

حلا لقد أسمعتها أندى يدا * منه وأجود بالنفيس المتالد
واجسم افضالا وافسح جانبا * منه واكفى للعويص الامرد
وأجل مقدارا وأعلى همة * منه وارأف بالغريب الامد
وأعز منه ذرى وأوشك نصرة * لفتى بأيدى الحادثات ملهد

وأعم عارفة وأطهر ساحة * وأعف عن جاف لديه ومندد
وأبر أفعالا وأزكى شيمة * وأحق بالمجد الرفيع الأبجد
غيث الورى ملك بن ناصر الذى * نصر الاله به شريعة أحمد .

حلا كلمة تقال جوابا وردا اذا وقع من أحد كلام تعالى فيه أو يمين فجر فيها أو وعيد من غير حقيقة تقول له حلا يا فلان أى تحلل من كلامك أو من يمينك أو من وعيدك ومن ذلك قول عمرو بن معدى كرب لامير المؤمنين عمر رضى الله تعالى عنه حين ذكر عمرو خالدا فيما أتى به من الضيافة يستقلها فقال أمير المؤمنين ان فى هذا لشبعة فقال عمرو حلا يا أمير المؤمنين فيما تقول أى تحلل من كلامك فانه لاشبعة هنا لك والقصة معروفة وهو منصوب على المصدرية بالعامل المقدر فلما كان قوله أولا لو كان عبد الله يسمع نوحتى الى آخره يقتضى أن الجدوى والغنى والبر والجود والفضل قد فات بفوات عبد الله وأمثاله أو أن نوحة هؤلاء الاولاد ونوحتك لم يسمعها من يرق لهم ولك ويجزل عليك العطية و يكفيك النقلة ويكفيهم الفرقة وهذا كله غير صحيح لان هذه النوحة قد سمعت وسامعها أجود من ابن طاهر واقعد بكل مكرمة وأثبت فى كل فضيلة فأنت أسعد من ابن ملهم وأجدر بالظفر وأحق بالنجح وأولى بالربح فلذا ردّ على نفسه مثبتا لهذا الغرض ومتخلصا به من باب النسيب وما التحق به الى باب المديح الذى هو المقصود بالذات مع ما تلتحق به فقال حلا أى تحلل من

كلامك ولمخرج عنه ولاتعتقده فوالله لقد أسمعتها أى هذه النوحة أندى يدا أى أسخى منه أى من عبدالله وأجود منه بالنفس المتلد أى الموصل وأجم أى أكثر منه افضالا على الناس وأفسح أى أوسع جانبا حسا وهو كناية عن الكرم والاطعام ومعنى وهو كناية عن حسن الخلق والتبحر فى العلم مع عموم الانتفاع واكفى أى أعظم كفاية للامر العويص أى الخطب الشديد الامرد من قولك مرد الشئ مرودا اذا عتى وتجاوز الحد وأجل أى أعظم مقدارا علما وعملا عند الله وعند الناس وأعلى همة لانبعاث رغبته الى معالى الامور من معرفة الله تعالى ومعرفة أحكامه وحكمته وطلب مايبقى والزهد فيما يفنى وأرأف أى أرق وأرحم بالغريب الالمد أى الذليل المتواضع وأعز منه أى من عبدالله ذرى أى ساحة لان المعتز بالله تعالى أعز من المعتز بالفانى ولله العزة ولرسوله وللمؤمنين وأوشك أى أسرع منه نصرة لفتى ملهد أى مدفوع بأيدى الحادثات وأعم منه أى أشمل عارفة أى عطية ووصلة لانتفاع الناس به علما وعملا ظاهرا وباطنا وأطهر منه ساحة لبعده عن كل مايستقبح ويسترذل شرعا وعادة وكذلك من يعاشره فلايأمر الابخير ولا يدل الا عليه واعف منه أى اكثر عفافا عن مجازاة الجانى عن جفائه والمندد عن تنديده والتنديد هو التصريح بالعيوب واستماع القبيح وندد فلان بفلان أسمعه القبيح وعابه والكريم لايجزى السيئة بالسيئة بل يعفو ويصفح والعفاف ترك مالايحل شرعا أوطبعا وأبر منه أى أحسن افعالا لجريانها على وفق الشرع وأزكى أى أصلح

أو أظهر شيمة وهي الطبيعة لتهذيبها بمحاسن الآداب الشرعية وتخليها من الاخلاق الذميمة وتحليها بالاوصاف الحميدة وأحق منه بالمجد أي الشرف الرفيع مبالغة الابجد أي الاثبت من قولهم بجد بالمكان أقام به ثم الموصوف بهذه الاوصاف كلها هو غيث الورى لانتفاعهم به كالانتفاع بالغيث ذلك ابن ناصر وهو سيدنا وامامنا وقدوتنا ووسيلتنا الى الله تعالى الشيخ أبو عبد الله محمد بن محمد بن احمد بن ناصر بن عمرو الدرعي نصر الاله به شريعة نبينا ومولانا وشفيعنا أحمد المصطفى خير العالمين وسيد المرسلين صلى الله عليه وسلم تسليما لان الله تعالى أشهرها به وأظهرها واخمد البدع واذهب آثارها ثم قال

وأعاد وجه الدين أبيض مسفرا * بهجا مقرا عين كل موحد
وأقام سمك بنائه حتى سما * فوق السماك على الاواسي الوطد
وأزاح عنه كل حندس شبهة * وضلالة وخلاعة وتشدد

المسفر المنير والبهج الحسن وقرت عين فلان تقر بردت وانقطع بكاؤها واستعمل في لازم هذا المعنى وهو السرور ووجدان المطلوب وأقرت عينه فعل به ذلك وسمك البناء رفعه ويطلق في العرف على مقدار طوله وارتفاعه وعلى السموك والسماك النجم المعروف وهو سماكان الاعزل والرمح والاواسي جمع آسية وهي السارية والوطد الثوابت جمع واطدة تقول وطد الشئ اذا ثبت ورسى والازاحة الابعاد والحندس بكسر الحاء الظلمة والليل المظلم أي وهذا الشيخ هو الذى أعاد وجه الدين أو أعاد الله به وجه الدين أبيض مشرقا لاستقامته واستقامة

اهله

أهله وتنويره بتنوير بصائر أهله والا فهو فى ذاته لا يزال مستقيما فصار بهجا يجد فيه كل موحد ما تقر به عينه وفى لفظ موجد مع ما قبله توجيه لاحتمال أن يراد به العام والخاص ولاشك أن الشيخ رضى الله تعالى عنه قد نصبه الله قدوة للعام والخاص واماما فى الظاهر والباطن وأقام أيضا سمك بناء الدين عاليا به حتى علا على السماك وانما أقامه على القواعد الثابتة بالعلم والسنه وتحقيق الانابة والالتجاء الى الله تعالى فى كل حال والتفويض والتسليم وغير ذلك وماذكر من الوجه والبناء والاواسى كله استعارات لاتخفى وأزاح عن الدين أيضا كل ظلمة أو مظلم شبهة وضلالة وخلاعة وتشدد واعلم ان هذه الاربع المذكورة فى البيت هى مجمع الشر ومنبع الزيغ والغى نسأل الله العافية الاول اتباع الشهوات أو القاؤها فى الاصول أو الفروع وهذا أصل لكل ما بعده فى الجملة الثانية الضلالة وهى الخروج عن الحق أما مع استناد الى شبهة وهو الجهل المركب أو بلاشئ وهو الجهل البسيط ويكون ذلك اما كفرا واما معصية واما سوء أدب وهذا كله فى الباطن والظاهر تبع اما بمحرم أو مكروه من فعل أو ترك الثالثة الخلاعة وهى عدم المبالاة بالحق وان كان معروفا الرابعة التشدد وهو الزيادة والغلو فوق القدر المحتاج والجميع ضلالة وبالسلامة منها كلها تحصل الاستقامة ويضمحل الهوى ثم قال

كم سنة أحييت بعد اماتة * وضلالة أخمدت بعد توقد

أى كم سنة أحييتها بعدما أماتها ذووالجهالات وتقلبت عليها العادات

وكم من ضلالة اخمدتها واذهبتها بعدما توقدت نارها وظهرت آثارها وهذا التفات من الغيبة الى الخطاب ثم قال

وافيت والبدع الحوادث قد دجت * ظلماتها والجهل وارى الازند
والدين مطموس المعالم والهدى * بيض الانوق ولقطة لم تنشد
والسنة الغراء قفر موحش * مافيه من هاد ولا من مهتد

وافى أتى وحضر و ورى الزندي فهو وار أخرج ناره والمطموس الممحو المعالم الآثار التى يهتدى بها والانوق الرخمة و بيضها يكون فى الشواهق فلا يوصل اليه فيضرب مثلا فى الشئ العزيز المنال واللقطة المال الضائع انشادها ذكرها والتعريف بها ونشدها طلبها والسؤال عنها أى وافيت أيها الشيخ بأن ظهرت لهداية الخلق واقامة الدين وتعليم الطالبين وتربية المريدين والحالة ان البدع التى هى الحوادث فالوصف كاشف أو المحدثة التى لم يستحسنها السلف ومن تبعهم من الخلف وهى البدع المذكورة ولشرح البدع وتفصيلها محل غير هذا وقد دجت أى اشتدت ظلماتها ومازالت البدعة والجهل تشبه بالظلمة لعدم الاهتداء معها الى الخير وعدم السلامة من الضير كمن يمشى فى الظلمة والعلم والسنة يشبه بالنور لضد ذلك والجهل وارى الاند أى ظاهر قوى والدين مطموس المعالم لعدم أهله القائمين به المقتدى بهم فصار كالمجهل الذى لا طريق فيه والهدى وهو الرشاد ظاهرا وباطنا بالانتفاء عن الجهل والغرة والغفلة والبدعة وغير ذلك أعز من بيض الانوق فلا يكاد يوجد وهو أيضا كاللقطة ليس لها معرف تؤخذ منه ولا طالب تدفع

اليه

اليه والسنة التى كانت غـراء فى زمن المصالح أى مشهورة كشهرة الاغر بغرته هى اليوم قفر موحش خال مافيه هاد يدل على الحق ولا مهتديدين به أو يطلبه وكذا شأن الموضع الخـالى ثم قال

نشبت بضبعيها مخالب ضيغم * من مألف العـادات عاد محرد
ومحا المحاق بدورها فتكنفت * بمقل الورى ظلماء ليل سرمد

نشب الشئ بالشئ علق به والضبع العضد وقيل الابط ومخالب السبع معروفة والضيغم الاسد والعادى من العدوان والمحرد الكثير الحرد وهو الغضب والمحاق أن يستتر القمر فلا يطلع وذلك آخر الشهر لانه يجتمع بالشمس فتمحق نوره أى تمحوه وتذهبه وتكنفك الشئ أحاط بك والمقل جمع مقلة والسرمد الدائم والليل الطويل وهو المراد هنا أى نشبت بضبعى السنة مخالب ضيغم من مألوف العادات فتغلب عليها فاضمحلت السنة وظهرت العادات وضيغم العادات كثير العدوان شديد الغضب لموافقته هوى النفس ودعوى شيطان الانس والجن واثبات الضيغم المفترس للعادات مجاز وكذا اثبات الضبع للسنة ومحا أيضا المحاق وهو انقراض العلم وأهله بآخر الزمان بدور السنة وفيه تورية لانه اما تخييل البدور للسنة أو المراد أهلها الماضون ثم قال

وعفت أعاصير الهوى آثارهـا * فاستبهمت عن ناشد أو منشد

العـفو المحو تقول عفت الرياح الاثر اذا محته والاعاصير جمع اعصار وهى أقوى الريح والهوى الحب والعشق وارادة النفس

والمراد فى نحو هذا ميل القلب الى ما هو حظ للنفس من غير مرادات الشرع والناشد الطالب والمنشد المعرف أى رياح الهوى محت آثار السنة فلم تظهر لمن يتعلمها ثم قال

واستوثقت أيدى الغواية والهوى * بأزمة الالباب شلت من يد

الغواية بفتح الغين الضلالة يقال غوى بالفتح غيا وغوى بالكسر غواية والازمة جمع زمام وهو ما تقاد به الناقة والالباب العقول والشلل اليبس فى اليد أو ذهابها رأسا تقول شلت يده تشل بالفتح شلا وشللا وشلت بالضم وأشلت واليدى بضم الياء جمع يد كعصا وعصى وفلس وفلوس أى تمكنت أيدى الغواية والهوى بأزمة الالباب تقودها حيث شاءت واليد والزمام استعارة وشلت من يد دعاء ثم قال

والعلم ضاح ظله وصدى التقى * قد صم والغى استطال بأجند

الضاحى البارز للشمس وظله ضاح كناية عن ذهابه وعدمه لان المعدوم لا ظل له فليس الا الشمس والصدى ما يسمع من الشاهق ونحوه يحكى صوتك ويقال صم صدى فلان اذا هلك ومات لان الميت لا كلام له فلا يكون له صدى واستطال عليه تطاول أى العلم قد عدم فلم يبق له ظل والتقى كذلك والغى أى الضلال قد ثار بجنوده ثم قال

فكشفت جلباب الجهالة عن سنى * بدر لسائمة الضلال منـدد

الجلباب الذى تلبسه المرأة معروف ويستعار لما يغطى من جهل ونحوه والسنى بالقصر الضوء والسائمة الراعية وهو هنا استعارة للضلالات الفاشية فى الناس والمندد المفرق وهذا البيت مرتب على قوله وأتيت

الى آخره أى جئت والبدعة طافحة والعقول الى الغى جانحة فكشفت غطاء الجهالة فظهر منك بدر ليشتت الظلام ثم قال

بل ضوء صبح بل نهار ناسخ * آياته ليل الشكوك الزرد

الزرد الخنق وهو زارد وهم زرد أى كشفت عن ضوء الصباح بل عن النهار المحض وهذا ترتيب حسن لان ضوء البدر دون ضوء الفجر وضوء الفجر دون النهار أعنى عند طلوع الشمس والنهار ناسخ لليل والليل هنا الشكوك التى تخنق العقل وتضيق الصدر ثم قال

وطلعت فى فلك الهداية والتقى * بجلاء محل ملكوا كب أسعد

بجدى عميم غيثه بقع النهى * والعلم لابقع السها والغرقد

بمغرب ومشرق متيمن * متشائم متكوف متبغدد

الجلاء بالكسر الصقل والمحل الجدب والمطر العام فوصفه بعميم للمبالغة والتأكيد والغيث المطر وغاث الارض أصابها والبقع جمع بقعة والنهى جمع نهية وهى العقل والسها والغرقد نوعان من الشجر ويمن الرجل أتى اليمن وتشاءم أتى الشام وتكوف انتسب الى الكوفة أوتشبه بهم وتبغدد انتسب الى بغداد أوتشبه بهم وذال بغداد تعجم وتهمل كما فى البيت وفيه لغات أى طلعت أيها الشيخ فى الهداية والتقى وذلك فالك الذى يكون فيه حركتك ويظهر سعدك وأثرك بجلاء محل أى بكوكب هو جلاء للمحل أى كاشف له والنعت بالمصدر مبالغة وهذا تجريد كما تقول لقيت بفلان بحرا وأسدا وقوله بجدى بدل اشتمال من جلاء لان كون الكوكب جلاء للمحل

وأسعد انما هو بما يصحبه من المطر فهو مفهوم عند ذكره ثم وصف
هذا المطر بانه عام وانه يصيب بقع العقول فيهديها أو بقع العلوم
فيحييها وليس هو المطر الحسي الذي يصيب السحا والغرقد فان هذا
أشرف وأعلى ثم أبدل منه أيضا قوله بمغرب يريد أن هذا المطر قد عم
حتى وصل الى المغرب والمشرق ثم وصل منه الى اليمن والى الشام
والى الكوفة والى بغداد وهذا كله عبارة عن كون مددا لشيخ
ونفعه عم الناس وسار في الاقطار ولاشك انه كذلك فقد انتفع به
أهل المشرق وأهل المغرب وانتشرت اتباعه في تلك الآفاق وذلك من
فوائد ما حركه الله اليه من الحج كما سنذكره ان شاء الله تعالى
ثم قال

حتى غدت سنن النبي المصطفى * صلى عليه الله من هاد هدى
عذبا مشاربها زواهر نصرا * تزري بروض في الربى مستغرد
روض زها نسرينه وبهاره * لما غداه كل جون مجود
وجرت مزانبه فأصبح منية * للورد العذب الروي والروّد

الهادي الذي يهدي غيره الى الخير والمهدي الذي هداه الله تعالى بأن
جعل الهدى في قلبه والنبي صلى الله تعالى عليه وسلم هاد مهدي وذلك
هو الكمال والمستغرد من الرياض الناعم كانه يدعو بنعمته الطير الى
أن تغرّد فيه والنسرين والبهار نبتتان معروفان وغدته السحابة جاءت
غدوة ويقال أيضا غاداه وفي نسخة لما سقاه وهو ظاهر والجون
السحاب الاسود من كثرة الماء ويكون الجون أيضا بمعنى الابيض

والمجود

والجود بكسر الميم مفعل من جاده الغيث بجوده والمزانب سائل الماء الى الارض وجداول تجرى الى الحوض ونحوه جمع مزنب كمنبر والمنية ما يتمنى الانسان والورد جمع وارد والروى بكسر الراء أى المروى يقال ماء روى أى مروى الرود جمع رائد وهو الطالب للكلا أى طلعت بالنجم السعيد والنفع العام للقريب والبعيد حتى غدت سنة النبي صلى الله عليه وسلم من نبي هداه الله وهدى به عذبة المشارب زاهرة ناضرة تشرق وتفضل على روض الربى الناعم روض صفته ماذكر من الابتهاج والحسن وكثرة النعمة وجريان الماء حتى أصبح منية لطالب الماء العذب ولطالب الكلا الرطب فان قلت كان الاولى بالترتيب تقديم المهدى على الهادى قلت ذلك بحسب الوجود الخارجي والمراد في هذا شئ آخر وهو النظر الى كون المتصدى للهداية مهديا لا دجالا ولذا قال صلى الله تعالى عليه وسلم لجرير اللهم ثبته واجعله هاديا مهديا لان الكلام في الهادى وانه اما مهدى أو غير مهدى لا في المهدى وانه اما هاد أو غير هاد فافهم مع أن الهادى محتاج الى الاهتداء في هدايته أيضا ثم قال

ومنحت احياء الهداية موضحا * منهاجها للسالك المتعبد
وفتحت مغلق سبلها وسددت عنـ * ـها ثغر لبس ملهوى لم يسدد
وحميتها من كل سار سارق * وفككت عنها الغل عن هادى الهدى
حتى وضعت بها على محتاجها * تاج السنى وزففتها زف الهدى

أى ومنحت الناس احياء الهداية بأن أجرى الله تعالى احياءها على يديك

حالة كونك موضحا منهاجها أى طريقها الواضح لكل سالك طريق الدين أو طريق الآخرة أو طريق الخصوصية وهو المراد عند العرف متعبد لله تعالى وفتحت المغلق على الناس من سبلها وسددت عنها أى عن الهداية كل ثغر وهو فى الاصل موضع المخافة بيننا وبين العدو والمراد مداخل اللبس والوسواس والابتداع مما لم يكن مسدودا قبل وجودك وحميتها أى حفظتها ومنعتها من كل سار بالليل سارق وهو هنا شيطان الجن والانس والهدى والنفس والليل ليل الجهل والغرة والغفلة والشهوات ففى هذه الظلم يجد الشيطان والهوى والنفس مجالا الى العقل وفككت منها الغل وهو ما يجعل فى العنق من هادى الهدى أى عن عنق الاسير حتى وضعت بها أى بالهداية عن محتاجها من المريدين وأهل الدين تاج السنى أى تاجا من النور وزففتها الى أربابها زف الهدى أى العروس محلاة مزينة محفوفة بالبر والاحتفال بارعة البهاء والجمال وهذه كلها مجازات والمراد القيام بالسنة واخماد البدعة وذلك شأنه ثم قال

فهززت عطفى كل برسالك * ومددت من ضبعيه مالم يمدد
حتى أقمت بالاستقامة قامة الـتقوى مثقف ما بها آود
وجلوت عن حجب السرار هلالها * وأعدته بدرا يلوح لمقتد

العطف بكسر العين الجانب وعطفا كل شئ جانباه وعطفا الرجل جانباه من رأسه الى قدمه واهتزاز العطف مثل فى النشاط والسرور والارتياح أو نحوه قال تأبط شرا

أهزّ به من ندوة الحى عطفه * كما هزّ عطفى بالهجان الاوارك

والضبع تقدم ومدّ الضبع مثل ايضا فى الاعانة والانجاد وتثقيف العود والرمح ونحوه تسويته والأود بمدّ الهمزة المعوج يقال أود بالكسر أودا فهو آود وجلا الشئ يجلوه كشفه وصقله والسرار بكسر السين وفتحها آخر ليلة من الشهر أى فهززت عطف كل برّ أى مطيع لله تعالى سالك طريقه بما أثبت من الحق ونشرت من العلم وأقمت من الدين وأنت منجدله ومعين بما أفدت وما علمت وماربيت حتى أقمت باستقامتك واستقامة من اقتفى إثرك قامة التقوى مسوّيا لما فيها من معوج على غيرك ممن لم يوفق لمجاهدة نفسه وعلمه حاله واثبات القامة والاعوجاج استعارة تخييلية بعد الاستعارة فى التقوى بالكناية عن الشخص وكشفت عن حجب السرار هلالها فرددته بدرا كاملا لانها كانت اضمحلت وخفيت كالهلال فى آخر الشهر فجددتها وأظهرتها ثم قال

انت الذى جاريت أرباب النهى * فسبقتهم سبق الجواد المجود

انت الذى قرطست لما أخصلوا * وفلجت عنهم بالمعلى الاسود

الجواد من الخيل البارع يقال جاد الفرس جودة بالضم فهو جواد وجاد فى عدوه وأجود وجود وقرطس الرامى أصاب القرطاس وهو كل ما ينصب للرمى والاخصال قيل هى الاصابة أيضا وقيل أن يلزق فقط ولذلك تعد خصلان بقرطسة عند أهل النضال وعلى هذا جرى فى البيت وفلج الرجل يفلج ويفلج ظفر وفاز فلجا والاسم الفلج بالضم والمعلى السهم السابع من سهام الميسر وهو أعظمها نصيبا والاسود السهم المبارك يتيمن به

وكأنه اسود من كثرة مامسته الايدى أى أنت الذى جاريت أهل النهى
أى الفضائل والكمالات فسبقتهم كما يسبق الجواد المجلى فى الحلبة غيره
وأنت الذى أصبت فى الاغراض مالم يصيبوا وفزت من الحظ الاوفر بما
لم يفوزوا ثم قال

وعبرت من لجج المعارف لجة * وقفت بساحلها فحول الورد
وكرعت غير مزاحم بحياضها * فوردت منها كل عذب المورد
وقطفت منها كل نور زاهر * وهصرت منها كل غصن مؤتد
وحللت منها كل ربع مرحب * وأسمت سرحك كل روض أغيد
وركبت منها كل وجنى عرمس * وحلبت منها كل مشكر مزبد
وحليت منها بالثمين المنتقى * ولبست منها كل فضفاض يدى

أى قطعت وتجاوزت من لجج المعارف لجة وهى معظم الماء وقفت
بساحل اللجة فحول الواردين من السالكين والمتعلمين فلم يدخلوها عجزا
فضلا عن أن يعبروها وكرعت فى حياضها والكرع هو الشرب بالفم
وهو أنفع غير مزاحم لانفرادك بهذه المرتبة فوردت من حياضها
كل عذب المورد وقطفت من المعارف أيضا كل نور بفتح النون
وهو الزهر زاهر أى ناضر حسن وهصرت منها أيضا كل غصن مؤتد
أى يانع الثمر يقال أدت الثمرة تأدو أدوا على فعول اذا أينعت
ونضجت وحللت من المعارف كل ربع رحب أى واسع يقال رحب
المكان وارحب اذا اتسع وأسمت سرحك أى رعيت سارحتك
فى كل روض أغيد أى ناعم وركبت من المعارف أيضا كل ناقة وجنى

بالقصر للوزن وهي العظيمة الوجنتين كامر عرمس أي شديدة وحلبت من المعارف أيضا كل مشكر صمرد بالاضافة أي كل ضرع مشكر أي ملآن باللبن من ناقة صمرد بكسرتين أي غزيرة يقال أشكر الضرع اذا امتلأ والصمرد الغزيرة وتستعمل أيضا بمعنى القليلة اللبن على الضد واشكار الضرع في البيت يدل على المعنى الاول مع سياق المديح ولو أريد الثاني أيضا لصح على معنى انه نال الرغائب والمواهب من حيث لا تحتسب وذلك أغرب وأعجب وحليت أيضا من المعارف وهو بكسر اللام يقال حلي بكذا أو تحلى به بالثمين أي العظيم الثمن المنتقى أي المختار ولبست من المعارف كل ثوب فضفاض أي واسع يدى أي واسع فهو توكيد ومبالغة يقال ثوب أدى و يدى على مثال غنى أي واسع ثم قال

وفتحت أصداف المكارم للورى * وجمعت أصناف السلوك الاقصد
وركبت أكتاف المجادة والعلى * ومنحت اعراف العلوم الشرد
ونجعت اكناف المعالي مخصبا * ومريت أخلاف الرغاب المجد

الاصداف جمع صدف بفتحتين وهو غشاء الدر والاقصد الاعدل من القصد وهو العدل والاعراف جمع عرف بضم العين وهو شعر عنق الفرس الشرد جمع شارد وهو الهارب ونجعت بلد كذا قصدته لطلب الغيث والكلا والاكناف جمع كنف بفتحتين وهو الجهة وأخصب الرجل وقع في الخصب ومرى الضرع يمريه مسحه ليدر والاخلاف جمع خلف وهو حلمة ضرع الناقة وقيل هو للناقة بمنزلة الضرع للشاة

والرغاب جمع رغيبة وهي الامر المرغوب فيه والرغيبة أيضا العطاء الكثير والمجد جمع ماجدة وهو من قولك مجدت الابل مجودا اذا وقعت في المرعى الكثير فلما ناسب الاخلاف الى الرغاب جعلها ماجدة وبذلك تكون أعز رودا وهذه كلها مبالغات واستعارات بالكناية بجعل المكارم درا اذا فتحت أصدافه غنم والمجادة شخصا اذا ركب كتفه استولى عليه والعلوم خيلا اذا ملكت اعرافها قبضت والمعالى جهات من الارض من انتجع أكنافها وجد الخصب والرغاب نوقا تستدر أخلافها وفي الابيات السجع الذي ذكرته قبل ولو شئت أن تستخلصه لقلت فلان فتح لاصداف وجمع الاصناف وركب الاكتاف ومنع الاعراف وتجع الاكناف ومرى الاخلاف ثم قال

مازلت تمتحن الليالى خارقا * جلبابها المسدول فوق الهجد
ومسهدا منها عيونا طالما * كريت وما منيت بريب مسهد
حتى حبتك سعادة الدارين في * عز الجناب وكيمياء السودد

الامتحان الاختبار الهجد جمع هاجد وهو النائم وكرى بالكسر يكرى نعس ومنى بكذا كعني ابتلى به والريب صرف الدهر والكيمياء بكسر الكاف والمد معروف أي مازلت تمتحن الليالى بالذكر والفكر وأنواع العبادات حالة كونك خارقا جلباب الظلام بقيامك وهو مسدول فوق النائمين لانه يغطيهم وحالة كونك مسهدا عيون الليالى التي طالما نعست وما ابتليت بمسهد يسهدها وهذا مجاز كقولهم أصمت نهاري وأسهرت ليلي أي أصمت نفسي وأسهرت نفسي في النهار

وفى الليل وبهاره صائم وليله قائم حتى حبتك الليالى أى أعطتك سعادة الدنيا والآخرة بالمعرفة والاستقامة وفيها النجاة دنيا وأخرى وبذلك يحصل الود أيضا عند الله تعالى قال تعالى ان أكرمكم عند الله أتقاكم واسناد ذلك الى الليالى مجاز أيضا وفيه توهم لطيف وانه كمن يمتحن شخصا ليدفع مالا أو يخرج كنزا فنال ذلك ثم قال

فليهنك المجد الذى ما فوقه * فى الدهر من مرقى يرام ومصعد
وليهنك الكنز الذى ظفرت به * قدما فحول العارفين الزهد
كنز متى ظفرت به كف الفتى * لم يفتقر لمزادة أو مزود

يهنك مضارع هنا يقال هنانى الطعام يهنانى والهنىء كل مالا تعب معه ولا مشقة والمزادة الراوية التى يكون فيها الماء وألفها عن ياء من زاد يزيد والمزود وعاء الزاد أى لتهنأ بالمجد الذى ليس فوقه مرقى يرام ولا مصعد وهذا مبالغة أو تحقيق بارادة جنس ذلك الكمال لا القدر الحاصل منه وبالكنز الذى ظفرت به قدما أى فيما مضى فحول العارفين الزاهدين كنز متى ظفر به العبد أنفق من الكون حسا ومعنى ولم يفتقر لمزادة ولا مزود فيغترف العلوم من بحار المواهب وتأتيه الارزاق من حيث لا يحتسب ثم قال

قل للمحاول شأوه أقصد فقد * حاولت امساك الثريا باليد
وجشمت ميدان الرهان مجاريا * بجريع أتن كل نهد أجرد

حاول الشئ رامه حوالا ومحاولة والاسم الحويل والشأو السبق والغاية

وشاآه سابقه وأقصر عن الشيء تركه أو عجز عنه والثريا فعيلى من الثروة وهى الكثرة سمى به النجم لكثرة كواكبه وجشم الشيء بالكسر وتجشمه تكلفه بمشقة والميدان بفتح الميم وقد تكسر مجرى الخيل ووزنه فعلان لا فيعال والرهان جمع رهن ويكون أيضا مصدر راهنه رهانا ومراهنة والمجاراة المغالبة فى الجرى والاتن جمع أتان الانثى من الحمير والخريع الضعيفة والنهد من الخيل الحسن الجسم المشرق والاجرد القصير الشعر أى قل أيها المخاطب لمن يريد أن يسابق هذا الممدوح فى الفضائل أو من يروم أن يبلغ الغاية التى بلغت فى الفضل أقصر عن ذلك فانك لا تستطيعه وانما أنت فى تعاطى ذلك بمثابة من يمد يده الى السماء ليمسك الثريا بيده أو يركب أتانا ضعيفة مسترخية ليسابق بها جياد الخيل وناهيك بذلك سخفا وحمقا

ان سالموك فدعهم من ذلك * وارقد كفى لك بالرقاد نعيما

ثم قال

لا تغررنك اناءة فقناته * فى الله ليست تستلان لملهد

وتواضع منه فان كماله * عنقاء وهى متى ترم لم تصطد

وليانة خناله فوت المنى * ومن اقتضى ما ليس يدرك يفند

واحسده فهو على علاه شاهد * ان الكرام مظنة للحسد

الاناءة الحلم والوقار أصله أنية كقصبة فقلبت الياء ألفا والقناة الرمح واستلان الشيء عده لينا أو وجده كذلك والملهد مفعل من اللهد وهو الدفع والغمز والعنقاء تقدم ما فيه والليان الملاينة يقال لاينه ملاينة

ولياناً

وإيانا اذاه ألا أن له يقول لا يغررك ماترى من هذا الشيخ من الحلم لجليسه فتظن به ضعفا فانه شديد فى ذات الله وفى غاية من الصلابة فى دينه لا يوجد فيه مغمز كالقناة الصلبة التى لا تلين لغامز والكلام تمثيل ولا يغررك أيضا ماترى من تواضعه فتظن به نقصا فان كماله لا تدركه كما أن العنقاء لا تدرك باصطياد ولا يغررك أيضا لينه ورفقه فتظنك تدركه وتنال درجته فان ذلك يفيت تمنيك وطمعك ومن طلب مالا يدرك يخطأ فى رأيه و يستحمق فى عقله واحسده على ذلك ان شئت فانك لا تزيده الا كمالا ولا يكون ذلك الا شاهدا على عظيم فضل الله تعالى عليه وأى كريم لم يحسد كما قيل

ان يحسدونى فانى غير لائمهم * قبلى من الناس أهل الفضل قد حسدوا

وقال أبو الطيب

وإذا أتتك مذمتى من ناقص * فهى الشهادة لى بأنى كامل

ثم قال

بسناء عينك أعشيت وسنائه * والشمس باهرة لعين الارمد
والماء ينكره السقيم وقد حلا * ويمر فى فيه الطعام وقد قدى

السناء الضوء وبالمد الرفعة والعشى والعشاوة سوء البصر يقال عشى بالكسر فهو أعشى وبهره الشئ غلبه ومر الشئ يمر بالفتح مرارة وقدى الطعام بالكسر طاب طعمه وريحه يقول بأنوار هذا الممدوح وجلالة قدره غطى على بصيرتك فلم تر فضله كما أن من أصابه الرمد يغلبه ضوء الشمس فلا يقدر أن يراها وكذا

من به المرض لايدرك حلاوة الماء ولاحلاوة الطعام وان كانا طيبين ثم قال

فهو الوحيد ومن يكن فى دهره * لم يلقه فكأنه لم يوجد
فرد وليس له نظير لايرى * جمع وتثنية لهذا المفرد

يقال رجل وحيد ووحد ووحد بالفتح واحد ومتوحد منفرد يقول ان الممدوح واحد وقته المنفرد فيه بفضله فمن لم يلقه ويأخذ عنه وينتفع به من أهل زمانه فكانه لم يوجد فان من لا خير عنده ولا غنى له كالمعدوم ومن كلام العرب فى هذا مررت برجل سواء والعدم أى مستو هو والعدم لا للناس ولا لنفسه وهذا أيضا فرد لايوجد له نظير فى فضله ومثل هذا لايثنى ولايجمع لان شرط ذلك وجود النظير كما علم فى العربية واعلم ان هذا المعنى كان افتتحه جرير حين قال

اذا غضبت عليك بنو تميم * وجدت الناس كلهم غضابا

فتجاذبه الناس بعد ذلك فقال أبو نواس وأبلغ

وليس على الله بمستنكر * أن يجمع العالم فى واحد

وقال السلامى

فبشرت آمالى بملك هو الورى * ودار هى الدنيا ويوم هو الدهر

وقال الآخر

لو زرته لرأيت الناس فى رجل * والدهر فى ساعة والارض فى دار

وقال البوصيرى رحمه الله تعالى * فجوهر الحسن فيه غير منقسم *

وقد حسنه بما فيه من الاقتباس من علم النحو ثم قال

وان اشرأب الى الهداية غيره	فالمسك أذفر ليس كالمسك الكدى
والعذب يغزر بالحياض ولم يرد	كصداء ماء قط من مستورد
والخصب يكثر بالعراض ولم يرد	كالثغر والسعدان من متروّد
والنار فى الاشجار لكن مابها	كعفارها والمرخ من مستمجد
وشبا الردينيات غير زجاجها	وذوائب الهضبات غير الاوهد
وأولو الغناء لهم محاسن جمة	لكنما قصب السباق لمعبد
والشمس فى كبد السماء سمابها	بادى السناء فويق كل منكد

يقال اشرأب الى الامر اذا مدّ اليه عنقه لينظر وارتفع والاذفر من المسك القوى الرائحة والكدى الذى لا رائحة له وغزر الماء بالضم كثر والحياض جمع حوض وصدآء كغلخال و يقال صداء ككتاب عين أوركية فى بلاد العرب ما عندهم أعذب منها ومنه المثل ماء ولاصداء والعراض جمع عرض بالكسر وهو الوادى والثغر بالفتح والسعدان نبتان من أفضل مايرعى ومنه المثل مرعى ولا كالسعدان والمرخ والعفار شجرتان يقتدح منهما النار ومنه المثل فى كل شجرة نار واستمجد المرخ والعفار أى فاقا فى ذلك غيرهما وشباة الرمح طرفه الذى يطعن به والزج الطرف الآخر والردينيات نسبة الى ردينة وهى امرأة سمهر وكلاهما يصنع الرماح ويثقفها فيقال سمهرية وردينية وتجلب من الخط بلد بالساحل فيقال خطية والهضبة الكدية وذؤابتها أعلاها والاوهد جمع وهد وهو

المخفوض من الارض ومعبد المغنى مشهور وبادى السناء الارتفاع الظاهر ويقال كبد النجم تكبيدا حل كبد السماء أى وسطها فى مرأى العين يقول ان تصدى أحد من أهل وقته لان يكون قدوة ومربيا للسالكين فليس يبلغ مبلغه ولا يقاربه ثم ضرب سبعة أمثال وهى ان المسك المنقطع الرائحة وان سمى مسكا لا يقوم مقام الفائح والمياه وان غزرت وحلت لا يرد وارد منها مثل ماء صداء والخصب وان كثر لا يرود رائد منه مثل السعدان والثغر ولا يخفى ما فى صدر البيتين من الترصيع والاشجار وان صلحت لان يقتدح منها الناس فليس كالعفار والمرخ وشباة الرمح ليست عالية كزجه كما قال الصلتان

وما يستوى صدر القناة وزجها * ولا تستوى فى الكف منك الاصابع

وكذا الوهاد لا تبلغ مبلغ القنن والمغنون لا يبلغون مبلغ معبد والنجوم ولو توسطت السماء لا تبلغ مبلغ الشمس ثم قال

ورث الامام الشاذلى طريقة * والليث يسرى سره للفرهد

سنن تهادته مشايخ قادة * كطوالع الزهر الدرارى الوقد

أعظم باعلام الهدى الطلاع فى * سبل المفاز المرشدين الرشد

التائبين الحامدين لربهم * والقانتين الراكعين السجد

والسائحين الحافظين حدوده * والآمرين بها النهاة العبد

كل له ضرب بقدح فائج * فيها وجل بالحديث المسند

شرف يطرز بالنجوم ويستمى * فوق السماك على مرور المسند

يهدي به هاد رشيد بعدما * هاد ويحمل سيد عن سيد
حتى تناهى بابن ناصر الرضى * بيت القصيد وواسط المتقلد

الامام الشاذلى هو الشيخ أبو على الحسن بن عبد الجبار الشريف الزرويلى ونسب الى شاذلة لانه كان يتعبد فيها وليس منها كما توهم صاحب القاموس والفرهد ولد الأسد والسنن الطريق ومعنى تهادته يهديه بعضهم الى بعض من الهدية يقال هديته الطريق والقادة جمع قائد وهو القدوة والزهر جمع ازهر وهو المشرق المنير والدرارى جمع درى من النجوم والوقد جمع واقد وهو الشديد الاضاءة كأنما يشتعل والمفاز جمع مفازة وهى الفلاة المهلكة سميت بذلك على التفاؤل كما سمى اللديغ سايما ويجوز أن يكون بمعنى الفوز فيكون موجها لمعنيين والنهاة جمع ناه وجمع فى البيتين الاوصاف المذكورة فى قوله تعالى التائبون العابدون الحامدون السائحون الى آخره والقدح بالكسر السهم والفالج الظاهر والمسند فى الاصل المذكور سنده وهو عدد رواته الى أصله والطراز علم الثوب وطرّزه تطريزا علمه به والاستماء والسموّ العلوّ والسماك نجمان وهما الاعزل والرامح والمسند الدهر وبينه وبين الاوّل جناس تام وبيت القصيد هو المختار من القصيد يستعار للرجل يكون كذلك والواسط المتوسط من الجوهر فى القلادة وهو خياره ويقال للجوهرة منه واسطة القلادة ثم يستعار للمختار من الناس يقول ان هذا الشيخ قد ورث الامام الشاذلى طريقه المحمود وانتصب فى طريقه وسرى

اليه سره كما يسرى سر الليث فى الشهامة والجراءة الى ولده ثم بين طريقه فقال هو سنن أى طريق تهادته المشايخ أهل الطريقة بعده كلهم يهدى به و يقتدى كما يهتدى بالنجوم الزاهرة وفيه الاشارة الى تكافئهم فى الفضل كما قيل

من تلق منهم تقل لاقيت سيدهم * مثل النجوم التى يسرى بها السارى

ثم استأنف أيضا فقال أعظم بأعلام الهدى أى ما أعظمهم علما ودينا وسنة شبههم بالاعلام أى الجبال العالية الطالعة فى طرق المفاوز البعيدة الصعبة أو الطالعة فى طرق الفوز والفلاح وجعلهم مرشدين راشدين وقدم المرشد لان الحديث فى كونهم مشايخ فالواجب وصفهم بالارشاد ثم ليس كل مرشد رشيدا فوصفهم بالراشدين ولو كان الحديث فى الرشد لقدم وهذا كقوله صلى الله عليه وسلم فى جرير واجعله هاديا مهديا فقدم الهادى لان الحديث فيه فافهم ثم وصفهم بالاوصاف المذكورة لانهم القائمون بتلك المقامات على وجهها ثم قال ان كلا منهم يضرب بقدح فالج أى فى الطريق المذكورة أى كل له حظ وافر منها ذوقا وتحقيقا والجمل بالحديث المسند اما أن يكون صريحا نظرا الى ما يسمع بعضهم من بعض من وظائفها وأدائها وغير ذلك من العلوم أو تمثيلا نظرا الى ما يسرى من بعضهم الى بعض من الاسرار والانوار ثم قال شرف أى ذلك أى ما اختصوا به وقاموا به شرف يطرز بالنجوم و يعلو فوقها على مرور الزمان وفى الدنيا والآخرة ولم يزل أولئك المشايخ يهدون الخلق هاديا بعد هاد و يحمل منهم سيد يلجأ اليه فى الطريقة عن سيد مثله منشدا لسان حاله

أهيم بسعدى ما حييت وان أمت * أوكل بسعدى من يهيم بها بعدى

وقال الاعرابى

واذا فلان مات عن اكرومة * رفعوا معاوز فقده بفلان

الى أن انتهى ذلك الى الامام ابن ناصر الرضى أبى المرضى وجعله بيت القصيدة وواسطة القلادة اعتبارا بنظر المادح وقياما بما يقتضيه المديح من المبالغة ولانه المقصود بالذكر وقد أشار فى الابيات الى سند الطريقة فلنذكره باختصار فان فى اتباعه طولا فنقول

أخذ الشيخ ابن ناصر عن الشيخ عبد الله بن حسين الرقى عن الشيخ أحمد بن على الحاجى عن شيخ المشايخ أبى القاسم الغازى عن الشيخ على بن عبد الله السجماسى عن الشيخ أحمد بن يوسف الراشدى الملياني دارا عن الشيخ أحمد زروق البرنسى عن الشيخ أحمد بن عقبة اليمانى الحضرمى عن الشيخ الشريف القادرى عن الشيخ على بن وفا عن الشيخ محمد بن وفا والده عن الشيخ داود الباخلى عن الشيخ أحمد ابن عطاء الله عن الشيخ أبى العباس المرسى عن الشيخ أبى الحسن الشاذلى عن الشيخ عبد السلام بن مشيش عن الشيخ عبد الرحمن المدنى عن الشيخ أبى أحمد عن الشيخ أبى مدين عن الشيخ على بن حرزهم عن الشيخ أبى يعزى يلنور عن الامام أبى بكر بن العربى المعافرى عن الامام أبى حامد الغزالى عن الامام أبى محمد الجوينى عن الشيخ أبى طالب المكى عن الشيخ الجريرى عن الشيخ أبى القاسم الجنيد عن الشيخ سيدى السقطى عن الشيخ معروف بن فيروز الكرخى عن الشيخ داود الطائى عن الشيخ حبيب العجمى عن الامام الحسن

ابن أبي الحسن البصري عن أمير المؤمنين وباب مدينة العلم أبي الحسن
علي بن أبي طالب كرم الله وجهه فهذه سلسلة مشهورة وهي سلسلة
العلماء ولهم سلسلة أخرى تعرف بسلسلة الاقطاب معروفة في كتبنا
لاحاجة الى التطويل بها هنا وفي الابيات أيضا الاشارة الى
صفة القدوة من كونه راشدا مرشدا محرزا لتلك المقامات وشرح
ذلك يطول ثم قال

فأضاء من مصباحهم مصباحه * والفرع يزكو عند طيب المحتد
وكانما ذاك العباب قد انتهى * لاجل تنهية وأطيب مقلد
فكسا الحقيقة بالشريعة فاجتلى * حسناء ترفل في شفيف الابرد

المحتد الاصل ويقال حتد بالمكان أقام به والعباب معظم السيل
والتنهية حيث ينتهي السيل من الحوض مثلا والمقلد مجمع الماء
والشريعة مايرجع الى التكليف والامر والنهي والاباحة والحقيقة
مايرجع الى الاعتقاد وماثبت في نفس الامر وهذا كلام اجمالي
وتفصيله يطول واختصاره ان تعلم أن الله تعالى هو الذي له الاقتدار
كله والملك كله فالعبد لافعل له ولا اختيار ولا حق غير أن الله تعالى
من لطيف حكمته جعل له اكتسابا في أفعاله بان يخلق له قدرة
تقارن فعله لاتأثير لها فيه ولكن يحصل التأثير عندها وجعل له
مشيئة في العقل تابعة لمشيأته تعالى قال تعالى وما تشاؤن الا ان
يشاء الله فيحس العبد بسبب ذلك التيسير وتلك المشيئة المخلوقين
له ظاهرا من نفسه كانه يفعل و يترك باختياره وهو في التحقيق

لافعل له ولا اختيار بل ذلك كله للواحد القهار ومتى لم تخلق له تلك القدرة فلم يقع التيسير شاهد العجز كحال من سقط من علو ويسمى فعله في الحالة الاولى اختياريا نظرا الى ظاهر حاله وعليها نصب التكليف وتوجه الامر والنهى وهو الشرع المقتضى من العباد ويسمى فعله في الحالة الثانية اضطراريا وجبريا ولا تكليف عليه فضلا من الله تعالى وهذا كله نظرا الى ظاهر حاله ومتى نظر الى الباطن علم انه فى كل حال مجبور مضطر معزول عن الفعل ثم العبد مطلوب بملاحظة الجانبين الاختيار والاضطرار فمتى ورد عليه حكم من الله تعالى بأن يفعل أو يترك ووجد اختيارا للقيام به فهو مطلوب للقيام به وذلك هو الشريعة ومطلوب بنسبة التأثير فيه الى الله تعالى وحده لاشريك له وذلك هو الحقيقة فان أهمل الامر واعتل بأنه لاقدرة له فقد ضيع الشريعة وان ادعى لنفسه حولا أو قوة فقد ضيع الحقيقة وان قام بالامتثال وتبرأ من الحول والقوة فقد كمل وهو الذى كسا الحقيقة بالشريعة وهذا فرض مثال ويجرى هذا المعنى فيما ذكرنا من التكليف ويجرى أيضا فى الثواب والعقاب فان الله تفضل باثبات الثواب مثلا على الاعمال فمن لم يعتبر ذلك وأسقطه رأسا فقد ضيع الشريعة لانها جاءت به ومن أوجبه على الله تعالى علوا كبيرا فقد ضيع الحقيقة لما قررنا من ان العبد لاملك له ولاحق غير ما جعل له مولاه فضلا واختيارا ويجرى أيضا فى الاسباب مثلا فمن لم يجعل لها اعتبارا أصلا وأبطلها رأسا فقد ضيع الشريعة لان الشرع اذن فيها ومن نسب اليها أثرا فيما

يقع من المنافى عندها فقد ضيع الحقيقة لان التأثير كله لله تعالى والاسباب العادية يوجد الشئ عندها لا بها فافهم فقد كشفنا لك عن الامر فصار نهارا وبذلك تعلم انه لم يكمل فى حالة الا أهل السنة والجماعة من كل من يقول ان العبد مجبور فى قالب مختار أما أهل القدر فقد ضيعوا الحقيقة وأما أهل الجبر المحض فيلزمهم تضييع الشريعة والله تعالى هو الموفق والناس يطلقون الجمع بين الحقيقة والشريعة على الجمع بين الباطن والظاهر وهو صحيح اجمالا وتفصيله فى كل جزئية هو ما قررنا والابرد جمع بردو الشفوف من الثياب الرقاق الجيدة يقول ان هذا الشيخ لما التمس من المشايخ قبله واقتبس من أنوارهم وأسرارهم أضاء مصاحبه أى قلبه أو هو المصباح على التجريد أو الكلام تمثيل والحاصل واحد وفيه الاشارة الى ان الله تعالى أجرى عادته بالاقتداء وانتفاع البعض من البعض كما يشعل مصباح من مصباح فكما لا يشتعل مصباح من ذات نفسه اللهم الا أن يخرق الله عادته احيانا كذلك لا ينتفع الانسان بلا قدوة ولهذا قال أئمة الطريق من لم يأخذ أدبه عن المتأدبين أفسد نفسه ومن اتبعه وفيه أيضا ان الشخص الواحد يمكن أن ينتفع عنه كثير لطفا من الله تعالى كما ان المصباح تشتعل منه المصابيح الكثيرة ولا ينتقص وقال ان الفرع فى الشجرة مثلا يزكو أى يعظم ويعلو عند طيب أصله وكذلك المريد يصلح ويفلح بصلاح وفلاح قدوته وقال ان ذلك العباب وهو السر والمدد الجارى من قلب الى قلب قد انتهى الى أفضل موضع وأطيب مجمع وهو الشيخ أو قلبه وقال انه

كسا الحقيقة بالشريعة اى جمع بينهما قائما بالجانبين وانما جعل الشريعة هى اللباس لانها هى الظاهرة فاجتلى أى أظهر حسناء وهى الطريقة رافلة فى أحسن البرود وذلك أتم فى جمالها وبهائها والكلام تمثيل وأراد بالحسناء الحقيقة والبرود عليها الشريعة على الاستعارة ثم قال

وتبجست للدين من نفحاته * قلب يقول فراتها هل من صد
ماء يزيل الخلتين فيغتنى * بوجوده الغرث الضريم ومن صدى
متصديا للهدى منه بصارم * ملهند مشحوذ الغرار وما صدى
ويجمع البحرين بحر حقيقة * عمق وبحر شريعة متزبد
كمهند عضب عتاد للفتى * يوم المصارم مجرد أو مغمد
يكسوه من الشعب الانيس طرازه * ومن الصفيق بشمل ويجسد
ويقوت من خير الجنيب وفائق الـ * صرفان والارى المشوب برغبد

تبجس الماء وانبجس تفجر والقلب جمع قليب وهى البئر وقيل العادية القديمة منها والفرات من الماء العذب جدا فرت الماء بالضم عذب والصدى العطشان والخلة بالفتح الحاجة والغرث الجائع يقال غرث بالكسر فهو غرث وغرثان والضريم المحترق الاحشاء بذلك وصدى يصدى صدى عطش وتصدى للشئ انتصب له والصارم من السيوف القاطع وقوله ملهند وأسقط نون من وذلك جائز كثيرا اذا ألغيت الالف واللام كقوله

وماأنس ملاشياء لا أنس قولها * وقد قربت نضوى أمصر تريد

أي من الاشياء والمشحوذ المسنون والغرار حد السيف وصدى السيف
ونحوه طلع عليه الوسخ وأزبد البحر طلع عليه الزبد والسيف المهند
معروف والعضب القاطع والعتاد العدة والمصاع والمماصعة المضاربة
بالسيوف والشف الثوب الرقيق جمعه شفوف كما مر والصفيق القوى
النسج والمشمل ثوب يشتمل به والمجسد كمنبر ثوب يلى الجسد والجنيب
تمر جيد مختار وفي الحديث أ كل تمر جيده هكذا أي الجنيب والصرفات
تمر رزين صلب يصلح لذوى الحاجة وأهل الكد والارى العسل
والرغبد الزبد يقول ان هذا الشيخ تفجرت من نفحاته الصادرة منه
أو من النفحات التي ترد عليه وفي الخبر ان لربكم في أيام دهركم نفحات
الا فتعرضوا لنفحاته قلب واغالم يجعلها أنهارا أو عيونا ايذانا بأنها
مصونة عن أن تخوض فيها الحمير وكل من ليس من أهلها وانها انما
تنال بالخدمة والمجاهدة مع العناية السابقة ووصف هذه القلب
بأن ماءها الفرات ينادى بلسان حاله لكثرته وجودته هل من عطشان
فيروى وان ماءها يزيل الضر وريتين أي العطش والجوع فيغتنى
به الجائع والعطشان اشارة الى ما فيه من الظاهر والباطن وانه
لا حاجة مع وصوله حالة كون هذا الشيخ منتهضا للهداية بصارم منه
أي عقل كالصارم مشحوذا ودين كذلك أو حزم أو نحو ذلك أو بنفسه
وهو الصارم على التجريد وبمجمع البحرين أي قلب جامع لهما أو هو
نفسه على التجريد وفي ذكر مجمع البحرين التلويح الى الزوائد والفوائد
كما في قصة موسى والخضر عليهما السلام ووصف بحر الحقيقة بالعمق
لخفائه وبحر الشريعة بالازبا دلظهوره وجعله في ذلك كالسيف مغمدا

ومجردا وهو في الحالتين عتاد وقال انه يكسو الناس أى المريدين من الشف ومن الصفيق ويقوتهم من الجنيب والصرفان اشارة الى انه يربي الناس كلا بما يليق به من ظاهر وباطن وكلا بما يبلغه حاله من مبتد ومتوسط وقوما في الاسلام وقوما في الايمان وقوما في الاحسان واستعار المشمل للظاهر والجسد للباطن والارى للحقيقة والزبد للشريعة وهذا مشهور في الاستعمال كانه لمزيد الحلاوة في العسل وقلته بالنسبة الى الزبد والزبد لكثرته وكونه غذاء لجمهور الناس ناسب الشريعة فان الشريعة بها تقوم العامة والخاصة وهذا بملاحظة ما اشتهر من اطلاق الحقيقة على الباطن الذى لا مشرب فيه للعامة والا فالتحقيق انهما متلازمان لا ينفك أحدهما عن الآخر الا أن الغفلة تعلى على الحقيقة حتى كأنها لم تكن فافهم ثم قال

قل للمقل من الدراية والتقى * ألمم بدرعة لا أبالك ترفد
فالغيث ينجعه المسيم وان نأى * والفضل أخلق باجتداء المجتدى
والداء يستشفى له وأضره * أدواء قلب عن هواه معبد

ألم بالمكان زاره ومر به ورفده يرفده أعطاه وأعانه ونجع الغيث وانتجعه هب اليه والمسيم من يرعى ماشيته والجدوى العطية واجتدى طلب ذلك وعبد البعير ذهب شاردا يقول قل لمن قل علمه وتقواه ادخل درعة يعنك هذا الشيخ أو يعنك الله تعالى على يده بالعلم والدين ولا يبعد ان عنك فان من جاعت ماشيته يطلب الغيث وان بعد والفضل أحق وأولى أن يطلبه الطالب وان بعد مكانه وكل من به داء فليس

من الحزم أن يقعد عن الطبيب و يعرض عن أسباب الشفاء وأعظم الادواء وأقبحها داء قلب شارد فى هواه نفور عن مولاه فهو أحق أن يستشفى له بملاقاة أهل الله ثم قال .

فاذا خلصت الى ابن ناصر انثنى * حد النوائب عنك غير محدد
ونظرن بالطرف الحسير خواسئا * ورمين بالسهم الكسير المصرد
وغضضن غضة موجل أو مخجل * وعضضن عضة مازح أو ادرد
وصدرن دون كف مسالم ولطالما * أنشبن مخلب ثائر متحقد

خلص اليه بالفتح خلوصا وصل والحسير الكليل والكسير المكسور والمصرد المخطى وغض بصره يغضه بالضم والموجل من الوجل وهو الخوف والمخجل من الخجل وهو الحياء وعض على يده أو أصبعه يعض بالفتح كمس يمس والمازح الذى لا يريد الايلام فهو لا ينشب اسنانه فى المعضوض والادرد الذى سقطت أسنانه فهو لا يؤثر شيئا بالعض ولا يؤلم والثائر القائم بطلب الدم والمتحقد ذو الحقد يقول انك اذا وصلت الى هذا الشيخ نعمت وأمنت ريب الزمان وصولة الحدثان وذلك فيما يرجع الى غمرة الجهل وزيغ القلب وطغيان النفس والشيطان والشهوات والرعونات وهذا هو الخوف المرهوب المشتكى منه عند المؤمن وحينئذ ينثنى عنك حد النوائب كليلا لا يقطع فيك ونظرت اليك النوائب بالطرف الحسير الخاسئ لعلمها انك وصلت الى معقل ورمتك بالسهم الكسير المخطى فلم تصبك وغضت عنك أبصارها غض الخائف منك أو المستحيى فلم تر عك وعضت عليك عض من لا ينال منك اذاية لكونه

لا يريدها

لابر يدها أولكونه لااسنان له فلم تضرك بشئ ومدت اليك كف مسالم اذ لا يبقى لها طماعية فيك وطالما أنشبت فيك قبل أن تصل الى هذا المحل مخالبها وهذه تمثيلات حاصلها استراحتك من كيد الشيطان والنفس بمشاهدة أنوار هذا الولى والاقتداء بأقواله وأفعاله ثم قال

وحظيت بالذخر النفيس المنتقى * ورتعت فى اثر السوارى الجود
وعلقت بالعقد الذى لم ينفصم * وأخذت بالطول المتين المحصد
وأويت للكهف المنيع المؤتوى * وسندت فى الجبل العزيز المسند
ووكات سرح النفس منك لسائس * كاف ازاء للسروح حفيدد
وشكوت للحكم الذى يشكيك من * امضاض خصم من هواك يلندد

حظى بكذا ظفر به والنفيس الرفيع والمنتقى المختار والسوارى جمع سارية وهى السحابة تمطر بالليل والجود جمع جائد وجائدة يقال جادهم الغيث اذا أمطرهم وعلق بالشئ تعلق به والانفصام الانفكاك والطول كعنب الحبل يطال به للدابة فى المرعى والمتين القوى والمحصد المحكم الفتل وأوى اليه وائتوى فهو مؤتو وسند فى الجبل وأسند صعد ووكل الامر اليه أسنده والسرح الماشية السارحة والسائس القائم بها وهو الكافى وهو الحفيدد ويقال هو ازاء حال أى قائم به وشكوت فلانا الى الوالى فأشكانى منه أى أزال شكايتى وأنصفنى والمض المؤلم والخصم اليلندد الذى لا يرجع الى الحق يقول انك متى بلغت الى هذا الشيخ ظفرت بالذخائر النفيسة من العلم والعمل والحال ورتعت الخصب من كثرة ماتنال وتعلقت بالعقدة الربانية التى لا تنحل

بحال وأخذت بالسبب والعهد الصحيح حتى انك بفضل الله تعالى لو أنجزبك الهوى الى أمدما فسترجع الى الله تعالى وتنيب ببركته وأويت الى كهف العلم والدين الممتنع كل من يأوى اليه وصعدت فى جبل من جبال العلم عزيز كل من صعد اليه وجعلت نفسك فى يد من يؤدبها و يربيها ويرعاها كما يرعى الحفيدد دوابه وشكوت أمراض النفس وغلبة الهوى الى حكم فى النفوس باذن الله تعالى ينصفك ويعينك بتوفيق الله تعالى ومنته وهذه أيضا تمثيلات ثم قال

وعدت ركابك ذات عرق مصحرا * فليعل نعمان الهوى وليرعد
ونزلت فى آل المهلب شاتيا * ووردت وردا لجود غير مذوّد
ووردت من ماء الفرات زلاله * اذ كان غيرك واردا أجن المدى
وأتيت بيت العلم والعمل الرضى * من بابه مستصحبا للمقلد
ووفت لك الايام بعد مطالها * بلقاء مصباح الزمان الاوحد

عدا الشئ يعدوه جاوزه وذات عرق موضع معروف والمصحر الداخل فى الصحراء و رعد و برق تهدد والمهلب هو ابن أبى صفرة الازدى والشاتى الداخل فى الشتاء وذاده وذوّده طرده والماء الآجن المتغير الطعم والريح والمدى كغنى ماسال من الحوض من الماء فخبث والمقلد المفتاح والمطال والمماطلة ظاهر يقول انك متى لقيت هذا الشيخ خرجت عن المخاوف كلها وصرت الى المأمن ولمح الى قول الشاعر

اذا جاوزت من ذات عرق ثنية * فقل لابى قابوس ماشئت فارعد

أى انه كان يتخوف شر أبى قابوس وهو النعمان بن المنذر

فاخبر

فأخبر انه اذا جاوز ذات عرق وأوغل في بلاد العرب أمن من شره فليرعد وليبرق ماشاء فلا يناله وكذا المريد اذا لقي هذا الشيخ فقد أمن من نعمان الهوى ونزلت أيضا بمن لا تخاف في جواره ضياعا ولا فقرا لان الزمان أو اشتد ولمح الى قول الآخر

نزلت على آل المهلب شاتيا * غريبا عن الاوطان في زمن المحل
فما زال بي اكرامهم وافتقادهم * وبرهم حتى حسبتهم أهلي

و وردت أيضا ورد الجود والاحسان غير مطرود عنه وأتيت أيضا بيت العلم والعمل المرضي شرعا من بابه الذي ينال منه والمفتاح في يدك فلا مانع منه والكلام تمثيل و وفت لك الايام أيضا بلقاء الاوحد في بابه ونسبة الوفاء الى الايام مجاز مشهور مستعمل عند العرب فاقتفى أثرهم المولدون توسعا وتفصحا من غير أن يعتقد أن لشئ أثرا ولا حكما دون الله تعالى الفاعل المختار ووجه التجوز الملابسة ثم قال

واذا الليالي أرهقتك معاذة * بذوي السيادة فلتعذ بالاسود
واذا تريد ولاء قوم فانتسب * منهم لاشمخ ذروة وضمخدد

أرهقت فلانا أمرا ألزمته اياه والمعاذة التحصن يقال عاذه عوذا وعياذا ومعاذا ومعاذة وساد يسود سوددا وسيادة وهو أسود منه أشرف والولاء يكون بالعتق ويكون بالحلف وغير ذلك من المعاني وذروة الجبل معروفة والذروة من كل شئ أعلاه والشامخ العالي والضمخدد في القوم الصميم منهم يقول اذا احتجت الى الالتجاء الى السادات فالحزم أن تلتجي الى الاسود فيهم أي الاعلى سوددا

واذا احتجت الى ولاء قوم فعليك بعميمهم وأرفعهم والمراد من البيتين انك تختار الاتصال بهذا الشيخ عن كل شيخ ظهر فى وقته لانه أكمل وأدخل فى القوم ثم قال

فانعم بعيش لا يطار غرابه * وانقع به غلل الفواد وأمغد
بمعارف منه الغزار فلو غدت * ماء لكان النيل منها كالمدى
ولو انتشى منها رذاذ صيف * فى الشأز أبرض يوم ذاك وما كدى

يقال فى الموضع الخصيب انه لا يطير غرابه أى لظفره بما يريد ولا يطير غرابه أى لاتساع المكان وكثرة خيره ثم صار مثلا فى كل خير والغلل جمع غلة وهى العطش أو شدته وأمغد أكثر من الشرب ويقال أيضا مغد الفصيل أمه اذا رضعها وامغدته والنيل بالكسر نيل مصر المعروف والمدى جدول صغير يسيل به الماء المهراق من البئر أو حوض لم تنصب حوله الحجارة والرذاذ أضعف المطر والصيف النازل فى الصيف والشأز المكان الخشن وأبرضت الارض اخضرت بالنبات وكدت الارض كديا وكدوا أبطأ نباتها وقد وقع الفعل فى البيت مكسورا ولم يحضرنى الآن نصه فى اللغة فان كان فذلك والا فليقرأ بلا كد (٤) مصدرا أى بلا بطء ويجوز أن يكون من قولك كدى الرجل اذا بخل ذكره ابن القطاع يقول ان اتصلت بهذا الشيخ فأنعم بعيش خصيب واسع واشف غلة فؤادك وأكثر من الشرب أوأرو نفسك كما تروى المرضعة ولدها وذلك بمعارف وعلوم غزار أى كثيرة من كثرتها انه لو صارت ماء لكان بحر النيل اذا نسب اليها كالجدول الصغير ومن قوة الانتفاع

(٤) قوله مصدرا أى واول كسر داله اذن ككسر باء الصغرى فى قول طرفة تحفان الخ هذا ولم أقف فيما عثرت عليه من كتب اللغة على أن كدى كرضى بمعنى قول ابن القطاع فليحرر اه

بها

بها انها لو كانت مطرا فنزلت منها مطرة ضعيفة زمان الصيف فى المكان الصلب الذى ليس من شأنه أن ينبت لأنبت من يومه ولم يتراخ وهذا فى باب الحقيقة وفى المجاز وهو اعتبار القلوب يفهم مثل ذلك أيضا ثم قال

وبهمة تذر الحضيض وراءها * شمما وتسمو للاشم الاقود
جرّت على الفلك الذيول وخيمت * فوق النجوم الزهر أعلى مقعد

الهمة بالكسر فعلة من الهم بالشئ وهو قوة ارادة وتوجه بالقلب الى مطلب ما فان كان عاليا فهى همة علية والا فسافلة قال الشاعر

اذا أعطشتك أكف اللئام * كفتك القناعة شبعا وريا
فكن رجلا رجله فى الثرى * وهامة همته فى الثريا
فان اراقة ماء الحياة * دون اراقة ماء المحيا

وتذر تترك والحضيض أصله السافل فى الارض ثم يطلق فى كل سافل وشمما الارتفاع والسمو العلو والاقود الجبل الطويل وخيم بالمكان أقام فيه يقول انك تنتفع منه أيضا بهمة علية تركت كل سفساف من الامور وساقط وراءها وتعلت الى المعالى وفى الحديث ان الله يحب معالى الامور ويكره سفسافها ووصف هذه الهمة بانها جرّت ذيلها على الفلك فهو تحتها ونزلت فوق النجوم أعلى منزل وهذا كله تمثيل والمراد ارتفاع الهمة عن الدنيا والآخرة ويقال الزهاد صيد الحق من الدنيا والعارفون صيد الحق من الآخرة ثم قال

وخلائق سجح أرق من الندى * وألذ من جدة المعيل المرمد

وسعت دماثتها الانام وألبست * ثوب التفضل كل جاف حلقد
وسقت قلوب الخلق كاسات الرضا * بتجوز وتعطف وتغمد
حتى أعادت كل خب كاشح * حبا وبرا كل ألوى ألود

الخلائق السجايا جمع خليقة والسجح بضمتين والسجيح السهل اللين والاولى ان يكون ما فى البيت جمع سجيح والندى معروف والجدة والوجد بالغنى والمعيل ذو العيال والمرمد المفتقر والدماثة السهولة والحلقد الشئ الخلق كزبرج والخب بالفتح والكسر الخداع والكاشح المضمر العداوة والحب المحب والبر المحسن والمطيع والالوى الشديد الخصومة والالود الصعب لا يقبل الحق ولا ينقاد لامر يقول انك تنتفع منه أيضا بخلق حسن سهل أرق من الندى بلا جفاء ولا غلظ وألذ فى القلوب من اصابة المحتاج ذى العيال الكفاية وسعت هذه الاخلاق الناس تحملا وتفضلا حتى غطت على الجافى السئ الخلق فكيف بغيره وأرضت الناس بتجوز عن اساءتهم وجفائهم وتعطف عليهم وتغمد لهم حتى أعادت باذن الله تعالى البغيض حبيبا والفاجر مطيعا وفى التنزيل ادفع بالتى هى أحسن فاذا الذى بينك و بينه عداوة كانه ولى حميم وهذه اخلاق النبى صلى الله تعالى عليه وسلم على الصفاء والكمال و يأخذ منها الوارث من أمته كهذا الشيخ ماقسم له ثم قال.

أخلاق هش للوفود حلاحل * متوطئ الاكناف ليس بمسند
لورثته ناجتك عنه لوائح * صادفت ماتهوى فلا تتألد

عين الجواد فراره فتى رأى * عينيه معربه بهل و يمجد
أورعته فبشير بشر قائل * لا بأس فابسط من رجائك وامدد
أوجئته وافتك ضمة والد * حان رفيق بالوليد ممهد
و يظل يرعد منه هيبة منظر * وجلالة قلب المليك الاصيد

الاخلاق جمع خلق وهو الخليقة المذكورة والهشاشة الارتياح والنشاط وهش فهو هش والحلاحل يقال للسيد الشجاع والقوى المروءة والمتوطى المتسهل والمسمد المتكبر يقال سمد سمودا اذا رفع رأسه كبرا و يقال رآه وراءه مقلوبا والفعل مع التاء من الاول رأيته ومن الثانى رئته كبعته وهو الواقع فى البيت واللوائح ما يظهر من الدين والخير وحسن الخلق وتألد تحير والفرار بالضم فتح فم الفرس ليعلم ما سنه يقال فره فرارا وهو أيضا البحث عن الامر والمعرب العارف بالخيل العراب وأهل صاح وراعه الشئ أفزعه ورعت منه بضم الراء وكسرها أى راعنى ويجوز حذف الجار فتقول رعته والصيد ميل فى العنق لكبر أونحوه وصيد بالكسر فهو أصيد ويقال للملوك لان شأنهم ذلك يقول هذه الاخلاق التى وصفنا فى هذا الشيخ هى أخلاق رجل هش أى مرتاح الى الوفود وكل من يأتيه عظيم المروة سهل الجانب متواضع متى رأيته عرفته وكأن لوائح وجهه وسمته وهديه الصالح تناجيك وتقول لك صادفت ما تريد فأقبل ولا تتحير ولا تشك وهذا كما كان الجواد من الخيل عينه فراره وهذا مثل سائر أى انك متى رأيته عرفت عتقه

ولم تحتج الى تقليبه ان كنت عارفا بالخيل ولذا قال متى رآه المعرب يهل ويسجد أى يصيح من الفرح والتعجب ويسجد شكرا وتعظيما ومتى رأيته أيضا قد اخلك روع من الهيبة التى ألقى الله عليه فان بشره يؤمنك ويبشرك حتى كأنه يناديك لا بأس عليك فابسط رجاءك وامدده أى انو ما شئت ففضل الله واسع ومتى جئته لقيت منه ضمة الوالد الحانى على ولده الرفيق به الممهد له حجره وهذا مع عظيم ما عليه من الهيبة والوقار حتى انه لو لقيه الملك الاصيد لظل يرعد منه من أجل هيبة منظره وجلالته وذلك سنة الله فى أوليائه اذا أظهرهم يكسوهم ملابس من جماله فيحبهم العباد و يألفونهم وملابس من جلاله فيهابونهم ويحترمونهم والله حكيم عليم ثم قال

وعظات ذكر لو غدت ماء غدت * ماء يعارضهن صم الجامد
سحب تروّى من بحار معارف * فتجود أقطار القلوب الجهد
منها على الجفلى غمام مسبل * ردم وللنقرى حظاء معوّد
صهباء ما مزجت بماء غمامة * لكن بماء محاجر لم تجمد
ايه وما طبخت بنار غيرما * نار الاسى وحرارة لم تبرد

العظة الموعظة يقال وعظه وعظا وعظة وموعظة والجامد والجامود الاصم وجاده المطر يجوده كما مرّ والجهد جمع جاهد وهو من الجهد ويقال جهد عيشه اذا ضاق والجفلى الدعوة العامة والنقرى الخاصة قال طرفة

نحن فى المشتاة ندعو الجفلى * لا ترى الآدب منا ينتقر

والردم السائل والحظى جمع حظوة وهى المنزلة والمكانة من الرزق والتعويذ أكل العوادة بضم العين وهى طعام يعاد على الرجل من طعام يخص به بعدما يفرغ القوم والاسى الحزن يقول انك أيضا تنتفع من هذا الشيخ بمواعظ تخشع بها النفوس وتلين القلوب حتى انها لو صارت ماء ونزل على الصخور الصم لصارت ماء به وضرب مثلا لهذه المواعظ أو لما يحصل منها من الذكرى بأنها سحائب تملئ من بحار المعارف التى فى قلبه وهذا ما تزعم العرب ان الغمائم ترتوى من البحر فتجود أقطار القلوب المجدبة العطشى من هذه المعارف وهذه السحب على عامة المتوجهين النفع العام اللائق بهم وعلى الخواص زوائد وأسرار يخصون بها تكون لهم بذلك حظوة ومكانة لاتكون لغيرهم وهذا شأن التربية ثم وصف هذه المعارف أو ما يحصل من المدد بأنها صهباء أى خمر تنبسط لها أرواح أرباب القلوب مامزجت بماء الغمام وهو ما تستحسن العرب مزجها به حتى قال الاعشى وقد قيل له ما ألذ الاشياء صهباء صافيه تمزجها ساقيه من ماء غاديه ولكن مزاجها ماء البكاء ودموع محاجر لم تجمد بل هى سخية بالدموع ويستعمل جود العين فى بخلها بالدموع عند ماتراد وقد يستعمل فى عدم البكاء مطلقا كقول الاعرابى

ستبكى المخاض الجدب ان مات هيثم * وكل البواكى غيرهن جمود

وهذه الصهباء أيضا ماطبخت بنار الابنار الحزن والخوف من الله تعالى وحرارة ذلك فى القلب لاتبرد وقوله ايه بكسر الهمزة والهاء وتنوّن كما فى البيت كلمة استزادة من الحديث ثم قال

كرم الخلائق عيصها والعلم لا * كرم الحدائق وانتباذ العنجد
ودنانها الفكر الصفي هواؤها * لم يكس من صر الهوى أو يصخد
والكاس مقول فيصل في راحة * من قول صوب للصواب معود
قد صانها صون النفوس وبثها * بث النفيس لاهله لا السمد
فاذا أدار كؤسها طرب بث لها * أهل النهى طرب القضيب الاملد
وأصاخت الاسماع نصتة مجعل * للرعد والقرد العكى لمقرد
وتمنت الاذان لو كانت معا * قلبا فتسعد مثله يا لمسعد
وتمنت الاعضاء لو كانت معا * أذنا ولولا فوزها لم تحسد

الكرم بفتح الراء الشرف والعيص الاصل والكرم بسكون الراء شجر العنب والحدائق جمع حديقة وهي المحوطة والعنجد العنقود والدنان جمع دن بالفتح وهو الوعاء يجعل فيه الخمر والصر البرد والصخد الحرارة والمقول اللسان وصوب الصواب جهته والمعود بفتح الواو المشددة المؤلف تقول عودته الشئ فاعتاده والسمد جمع سامد وهو المتكبر كامر وأصاخ اليه استمع وأنصت سكت ويقال أيضا نصت والاسم النصتة بالضم والمجعل المجدب والقرد بالكسر البعير يلصق به القراد والعكى جمع عكة وهي هنا أصل الذنب وقرد البعير تقريدا أزال ماعليه من القراد يقول ان هذه الخمرة الموصوفة انما تعتصر من الاخلاق الكريمة والعلم فذلك عيصها أي أصلها لا من الكروم وانتباذ العناقيد والدنان التي تجمع فيها هي الافكار الصافية التي لم يفسد هواؤها بصر البلادة والجمود ولا بحرارة الطيش والجحود

والكاس لماتى تدار فيها هذه الخمرة على الشاربين هى القول الفيصل
أى المفصول الذى يتبينه من يخاطب به والفاصل بين الحقائق
و بين الحق والباطل الصادر من لسان عدوه صاحب الصواب
فقد صان هذه الخمرة صاحبها فلم يبتذ لها لمن ليس من أهلها كما
يصون نفسه التى هى أعز الاشياء عليه وبشهابث الشئ النفيس أى
الرفيع لاهله أى المستحقين له وهم الصادقون فى توجههم المذعنون
للحق المتأدبون بين يدى أهله لاالسمد أى المستكبرين قال تعالى
سأصرف عن آياتى الذين يتكبرون فى الاوض بغير الحق فاذا أدار
كؤسها على السامعين وقت التعليم والوعظ والتذكير طرب لها
أهل النهى أى العقول واهتزوا اهتزاز القضيب الاملد أى الناعم
وقت هبوب الرياح وأصاخت لها اسماعهم اصاخة المستبشر العطشان
كالذى أجدبت مراعيه اذا سمع صوت الرعد فلا شئ ألذ منه عنده
وفى هذا تلميح الى قول الشاعر

وحديثه كالرعد يسمعه * راعى سنين تتابعت جدبا
فأصاخ يرجو أن يكون حيا * و يقول من فرح هيا ربا

وتكون أيضا فى سكونها وهدوها كالبعير الذى تمتلئ عكاه بالقراد
لم يزيل عنه ذلك وفيه تقول العرب فى وصف القوم بالهدو والسكون
كان على رؤسهم الطير وذلك ان الغراب ينزل على البعير فيلتقط
ماعليه من القراد فيسكن لذلك ولا يتحرك منه عضو أصلا وحينئذ
أديرت تلك الصهباء تمنى الاذان لو كانت قلوبا لتكون أوعية لها
فتسعد بها وذلك ان الاذان انما هى واسطة والقلب هو الشارب

ولكن للاذن مع ذلك فضيلة التوسط ولا سيما على مذهبنا من ان الحواس مدركة فتمنى باقى الاعضاء ان لو كانت اذنا فتفوز بهذه الفضيلة ولولا فوز الاذن ماغبطتها الاعضاء وقد استوفى ما للشيخ من معرفة وهمة وخلق وحسن تلقين وتعليم وتذكير وماله من المدد والنور والفتح ثم قال

واسمع أخي هديت قولة ناصح * ان العلى لاتنبغي لمسخد
وهيوبة لصب هراء مائق * تعيى مذاهبه عليه مخضد
وجلندد زمر المروءة لامح * عطفيه ألود خائل متفيد

أخي مصغر أخ للتقريب والتحبب وهو منادى أى يا أخى والمسخد الثقيل الروح من كثرة الاكل والهيوبة الجبان واللصب كفرح البخيل العسر الاخلاق والهراء بالكسر الضعيف البليد والمائق الاحمق وأعيت على فلان مذاهبه أى طرقه فلم يهتد لحيلة ولاسبب والمخضد الاكول والجلندد الفاجر وزمر المروة القليلها واللامح عطفيه المعجب بنفسه ينظر فى عطفيه أى جانبيه والالود تقدم والخائل المختال عجبا وتيها والمتفيد المتبختر يقول ألم بدرعة ولازم الشيخ ان كانت لك همة فى المعالى واسمع يا أخى هداك الله الى الحق قولة ناصح لك وبين ذلك بقوله ان العلا أى شرف المنزلة لاتنبغى لمن اتصف بشئ من هذه الاوصاف وذلك دائر بين كون الانسان ساقط الهمة منهمكا فى شهوة بطنه كالمخضد والمخصد وكونه عسر

النفس سيء الخلق كاللصب والزمر المروة والجاندد وكونه قليل العقل ضعيف الميز كالهراء والمائق ومن تعي عليه مذاهبه وكونه معجبا بنفسه وذلك أيضا من ضعف الميز كالخائل والمتفيد واللامع عطفيه وكونه ضعيف النفس هيوبا وهي مع كونها عللا في الانسان تعوقه عن الخيرات غير أنها قابلة للعلاج بالرياضات والنفحات الربانية اما ضعف الميز الخلقي فصعب الزوال وقلة التجريب تداوى فليس المراد من الابيات ان كل من آنس من نفسه هذه الاوصاف أو شيئا منها ييأس من الخير فلا يطلبه بل المراد أنه ما دام متصفا بها فلا ينال فان كانت له همة أو خلقت له ارادة في الخير فليجاهد نفسه حتى يتخلى عنها وما ذلك على الله بعزيز وانما على العبد تعاطى الاسباب وعلى الرب فضلا منه فتح الباب ثم قال

قرن بها ابن سرى أريب حوّل * خمص الحشا حران مطلع أنجد
نهض على العلات بالبزلاء في * سود الخطوب وفارج المتجلد
لا يستريح الى الدعات ولا يرى * نحب الفتى اليومي يقضيه الغدى

القمن بالشيء الخليق به وابن السرى الذى لا يؤوده سرى الليل في مأربه فيألفه حتى كأنه ابنه كما قيل ابن السبيل والاريب العاقل والحوّل بضم الحاء وتشديد الوا والفطن القادر على التحول في الامور من وجه الى وجه والخمص الحشا الجائع والحرّان من الحرارة وهي العطش ويستعمل حقيقة ومجازا كما هنا والمطلع الكثير الطلوع والانجد جمع نجد وهو ما ارتفع من الارض يقال فلان طلاع أنجد وطلاع ثنايا

اذا كان يتعاطى الامور العظام ويدركها والنهض الكثير النهوض والعلات بالكسر الحاجات والضرورات وقال زهير

ان البخيل ملوم حيث كان ولـ * كن الجواد على علاته هرم

أى يجود على حالة الشدة والضعف ولا يمنعه ذلك من الجود والبزلاء الداهية العظيمة ويقال أيضا الرأى الجيد ويقال فلان نهاض ببزلاء أى قائم بالامور العظام وسود الخطوب الشداد منها التى لا يهتدى فيها الحيلة وتجلد الامر عظم واشتد والدعة الخفض واتساع العيش والنحب الحاجة والنذر أيضا والغد فى البيت أصله الغدى بياء النسب يقال فى النسب الى الغد غدوى وغدى كما فى البيت يقول ان العلا من اتصف بهذه الاوصاف هو الخليق بهامع العناية السابقة فقوله قمن خبر مقدم وابن سرى هو ومابعده المبتدا وهى أيضا دائرة بين ارتفاع الهمة والقوة والفطنة مع الحزم فقوله لا يرى نحب الفتى اليومى فى نسخة الامسى يقضيه الغد أى لا يسوف أمره فيرى ان الحاجة التى تطلب اليوم ستقضى فى الغد بل يبادر بها اليوم فان آفة العمل التسويف وهذا مما أجمع عليه الناس كافة أهل الدنيا وأهل الديانات وأهل الحقائق ومن ثم يقولون الفقير ابن وقته أى كل وقت حضره يجتهد فى أن يقيم فيه ماوجب فيه ولا يلتفت الى وقت ثان وهذا فى كل وقت مع وقت يليه والتعبير بالايام فى البيت توسع والنسختان بمعنى لان الامر اذا اعتبر فى الوقت الحاضر فاليوم الذى بعده غد واذا اعتبر فى الغد فاليوم الذى قبله أمس له ثم قال

والمجد ليس بقرقر بل فى ذرى * نيف يفوت مدى الصقور الصيد
والملك خلت وراء غشيان الظبي * وقنى بأعمان الكماة مقصد
وصواهل وهواجل وجحافل * ومحافل وتهدد وتوعد

المجد الشرف والعلو والقرقر المطمئن من الارض والنيف أرفع موضع فى الجبل والصقور جمع صقر من الطير معروف والظبي جمع ظبة وهى حد السيف والمقصد المكسر من القنى والصواهل الخيل والهواجل الابل والجحافل الجيوش والمحافل جموع الناس يقول ان المجد ليس مطروحا فى قرقر من أراده أخذه كلا وانما هو فوق أعالى الجبال التى لا تبلغ لها الصقور اذا حلقت مع انها تبعد فى الجو كثيرا والملك أيضا فى العادة تراه أيها العاقل انما يحصل بعد غشيان السيوف والرماح وأعمال الخيل والابل والاحتياج الى العساكر والمجامع ووقوع التهدد على الاعداء وعلى كل من عصى والتوعد بالعقوبة أو غشيان خيل الاعداء وركابهم وجحافلهم ومحافلهم ومقاساة تهددهم وتوعدهم فكذلك الملك الذى أنت فى طلبه أيها المريد لابد لك من مقاساة مثل ذلك أو أكثر فان ملكك أعز وأقوى وأنقى والله الموفق ثم قال

والحزم سيف ليس ينبو مضربا * ومطية أبدا برحلك تختدى
والفعل مصداق اللسان وانما * قول بلا عمل هذاء مزند
ولرب خالق جنبة لم يفرها * ومهدر فى عنة لم ينهد

الحزم ضبط الامر والاخذ فيه بالقوة ونبا السيف عن الضربة لم يقطع

وخدت الناقة تخدى أسرعت فى مشيها ومصداق الشئ مايصدقه والهذاء بالضم والذال المعجمة الكلام لاحاصل له يصدر من مريض أومجنون يقال هذى يهذى هذيا وهذيانا ويهذو اذا تكلم به وزند تزنيدا كذب والجنبة جلد البعير اذا أريد قطعه قدر قبل القطع على أى وجه يقطع فذلك التقدير هو الخلق ثم يفريه أى يقطعه فان قدره ثم لم يقطعه قيل خلق ولم يفر وضرب مثلا فيمن يهم بالامر ولا يمضيه قال زهير

ولأنت تفرى ما خلقت وبعـ * ـض القوم يخلق ثم لا يفرى

والعنة بالضم الحضيرة من خشب وقد يكون فيها الجمل فيهدر ولا يجد مخرجا فضرب أيضا مثلا لمن يهدد ولا يبطش فيقال كالمهدر فى العنة قال الوليد بن عقبة

قطعت الدهر كالجمل المعنى * تهدر فى دمشق ولا تريم

ونهد الى الشئ نهض اليه يقول ان الحزم هو السيف القاطع ومن لا حزم له انه يضرب بسيف كهام لا يقطع شيئا فالحزم سيف لا ينبو ومطية لا تكبو والفعل مصداق القول فمن يقول ولا يفعل انما هو كالمجنون أو الكذاب ينطق بما لا حاصل له وربما هم الانسان بالامر ولم يأته والشأن فى الفعل ويكفى فى هذا قوله تعالى لم تقولون ما لا تفعلون ثم قال

وأضر شئ للفتى جدة الغنى * وفراغ أيد فى الشباب السخود

ونسيئة السعي البعيد الى مدى * أو للفراغ أو البنان الكهود
من يعيه أن يستقيم ويهتدي * جلدا فقد عزّ عليه اذا هدى

الجدة الغنى كما مر والاضافة للبيان والشاب المجود الناعم والنسيئة التأخير والبنان الاصابع والكهود المرتعش من الكبر وهدى بالكسر والهمز ويخفف جنى من الكبر يقول أضر شئ للانسان فى دينه بل وفى دنياه أيضا اجتماع الغنى والشباب والفراغ وهو قول الآخر

علمت يامساعد بن مسعده * أن الشباب والفراغ والجده
مفسدة للمرء أى مفسده

ومن الضرر أيضا تسويف العمل الصالح والسعى النافع اما الى زمان مستقبل واما الى التفرغ واما الى الكبر فان من عجز عن السعى الصالح وهو جلد أى قوى فكيف يقدر عليه حين يضعف وينحنى كما قيل

اذا المرء أعيته السيادة ناشئا * فادراكها كهلا عليه عسير

ولذلك قيل سيروا الى الله تعالى عرجا ومكاسير ولا تنتظروا الصحة والانسان فى بلاء حين تقوى عليه النفس وحين تضعف يضعف والامر كله بيد الله من كان له راحم يفوز ثم قال

وشي الهوى مسنونة مسمومة * من تعتلق يضنى اذا لم يقصد
داء دوى ما أبل سقيمه * ان لم يساعد بالطبيب المسعد
ياويح ذى بال وبيل دعرض * لسهامه من كل سهم مقصد
تدوى الفؤاد فلاتداوى ماجنت * فيه وتصمى ذا الفؤاد فلاتدى

الشبي جمع شبة كما مر والمسنونة المحدودة والمسمومة المسقية بالسم واعتلقته وعلقته أصابته وضنى بالكسر ضني مرض مرضا ملازما كلما ظن البرء انتكس ورماه فأقصده قتله مكانه والداء الدوى مبالغة كما يقال ليلة ليلاء ويوم أيوم وأبل المريض ابلالا أفاق من مرضه والوبيل الوخيم والمعرض الممكن يقال أعرض الصيد اذا أمكن للرمى ومن ثم يستحبون السانح لانه يأتى من جهة اليسار فيمكن للرامى واقصد السهم أصاب فقتل مكانه ودوى بالكسر دوى مرض وأدواه أمرضه وداواه عالجه وأصماه رماه فقتله مكانه و وداه يديه أى أعطى ديته يقول ان شبوات الهوى المسددة الى قلوب العباد مسنونة لاتنبو ومسمومة مع ذلك لا يكاد يسلم من أصابته الا أن يعافيه الله تعالى ولذا قال من تعتلقه فان لم تقتله مكانه بوقوع الزيغ اما من الاسلام الى الكفر أو من الطاعة الى المعصية أو من الحضور الى الغفلة عياذا بالله تعالى فلابد أن تمرضه حتى يبقى مذبذبا كلما قام سقط وكلما أقبل أدبر وذلك داء دوى مانقه المريض به ان لم يساعد بالطبيب المسعد وهو الشيخ الكامل والطبيب فى الحقيقة هو الفاعل المختار فاذا أراد أن يشفى عبده شفاه اما كفافا وهو نادر واما على يد ولى من أوليائه والله على كل شئ قدير ياويح ذى بال أى خاطر وبيل أى وخيم من الهوى والشهوة معرض أى منتصب لسهامه المقصدة القاتلة تدوى أى تمرض هذه السهام فؤاد من ابتلى بها فلاتداوى ماجنت فيه من المرض وتصمى صاحبه بالزيغ والضلال فلاتعطى فيه دية ثم قال

والعقل

والعقل تكنفه الجهالة والعمى * أبدا القيط ظل غير مسرهد
وحوالك الاوهام ليس بقائد * فيها سوى قبس النهى المتوقد
والمرء يجهل ثم يجهل انه * ذو الجهل فى أسر الضلال ومافدى
واذا تضنى فى الوهاد بأنه * فوق المصاد فذاك جد مهرّد
ذاك الدوى عز الدواء له وما * كل المداوين الدوا بالعضد

اللقيط صبي يوجد بضيعة وسرهد الصبي أحسن غذاءه وظنن الشئ وتظننه ثم تقلب النون الآخرة ياء فيقال تضناه كما يقال رياه ودساه وأصله ربنه ودسنه الوهاد جمع وهد كامرّ والمصاد بالفتح أعلى الجبل وهد ترهيدا أى أتى بالحماقة العظيمة فيقال هو كريم جد كريم بالكسر وعالم جد عالم أى بالغ النهاية فى وصفه قال قطرى

لعمرك انى يوم ألطم وجهها * على نائبات الدهر جد لئيم

والدوى بالقصر الحمق وهو أيضا المرض كما مرّ والدواء ما يعالج به وعضد المريض وغيره قطعه يقول ان العقل اذا أحاطت به الجهالة والعمى أبدا ولم يكن له من يربيه بالعلم والتجاريب يكون بمثابة الطفل اللقيط لا يجد من يغذوه ويحسن غذاءه وانما قال ذلك لان غذاء العقل انما هو العلم كما أن غذاء الجسم الطعام وكما يضيع هذا أو يفسد بعدم الغذاء أو فساده كذلك الآخر والاوهام الحوالك أى السود الشديدة السواد لا يقود الانسان فيها الا قبس العقل المتوقد من قوّة الذكاء والفطنة واذا ظن الانسان وهو فى الحضيض من الجهل أو التقليد أو القصور انه فوق الجبال العقلية فهما وعلما وكمالا فذلك هو الاحمق البالغ النهاية فى الحمق واذا جهل وجهل انه جاهل فهو فى ضلال

لامخلص له منه لان صاحب الجهل البسيط قابل للتعليم طالب له لاحساسه بالحاجة وهذا لايقبل اذ لم يحس فلامخرج له منه الا أن يأتيه وهب من الله تعالى والذى يظن بنفسه مالم تبلغه هو الدوى الاحمق الذى لادواء لجرعه كما قلنا وما كل المداوين للدوى أى المرض بالعضد أى الحاسمين له من البدن فما كل داء يعالجه الطبيب ثم قال

والطبع أملك والصنائع فى الفتى * خلق وتورعنه ان لم تتلد
والحقل مأوى البقل والحب الذى * تمتارليس بفدفد معلندد
والارى ليس مجاج كل أذبة * والزبدليس خلاص كل مزبد

الصنائع جمع صنيعة وهى الاحسان من الخير والخلق ماجبل عليه الانسان والنور جمع نوار يقال امرأة نوار أى نفورعن الريبة وتلد المال يتلد تلودا اذا كان أصيلا بولادة أوارث والحقلة الارض الطيبة للنبات وفى المثل لاينبت الحقلة الا البقلة يضرب لكل الشئ لايوجد الافى محله كما قيل

لايوجد الخير الافى منابته * والشرحيث طلبت الشرموجود

وقال زهير

وهل ينبت الخطى الاوشيجة * وتغرس الافى منابتها النخل

والفدفد المكان الصلب الغليظ والمعلندد الذى لاماء فيه ولا كلا والمجاج بالضم الريق ترميه من فيك والعسل ويقال مجاج النحل والاذبة جمع ذباب وجمعه فى الكثرة ذبان كما قال

عصافير

معصافير وذبان ودود * واجراس مجلجلة الذئاب

والزبد معروف والخلاص من الشئ بالكسر مايستصفى منه وزبد السقاء مخضه ليخرج زبده ويضعف كما في البيت يقول ان طبع الانسان أملك له وأغلب عليه وهو أجرى اليه بأدنى سبب وما يحمل نفسه عليه من الاوصاف التى لم يطبع عليها شاق عليه وبأدنى شئ يزول عنه ويرجع الى طبعه كما قيل ويغلبه على النفس خيمها وصنائع الاحسان فى الانسان انما يعتدبها وتثبت له اذا كانت خلقا فيه أى مطبوعا عليها تالدة له والا فهى عنه نزر أى نوافر وهذا كما ان البقل انما ينبت فى الحقل ولا ينبت فى الجرز والحب الذى يمتار أى يجلب للقوت لا ينبت فى الفدفد وانما ينبت فى مزارعه والعسل ليس مجاج كل ذباب وانما هو مجاج النحل خاصة والزبد ليس خارجا من كل سقاء يمخض بل من سقاء اللبن فقط فهذه أمثال حاصلها ان الناس معادن كما فى الحديث الشريف وأشجار لكل شجرة ثمرة لا تكون للآخر وقال الشاعر

أرى كل عود نابتا فى أرومة * أبى منبت العيدان أن يتغيرا

وهذا هو العفو الغنى عن الكلفة وأما استحداث طبع فلابد فيه من معاناة شاقة ومع ذلك لابد من ذلك فى الاغلب لان الانسان يجبل على أخلاق حسنة ضعيفة فيفتقر الى تربية وتنمية حتى تقوى ولذا كان فى الحديث انما العلم بالتعلم وانما الحلم بالتحلم وعلى أخلاق سيئة فيفتقر الى رياضة تكسر بها فورتها فالتربية والرياضة لهما أثر فى تغيير الخلق تقوية وتضعيفا لا انشاء واعداما رأسا الا أن يشاء الله تعالى

ثم قال

فالمشرفي الهندواني ان صدى * يجلى ويشحذ متنه بمحدد
ولربما سن الكهام بموطن * ان لم يكن عن متنه من عندد
يلجى الى مخ العراقيب الطوى * ويجئ فقد العدّ للمستثمد

المشرفي السيف ينسب الى مشارف اليمن والهندواني نسبة الى الهند وصدى السيف تقدم وجلاه يجلوه صقله وشحذه حدده والكهام السيف غير الصارم ويقال مالي عندد أي بد وألجاه الى كذا وأجاه اليه اضطره والطوى الجوع والماء العد بالكسر الثابت الذي ماله مادة والثمد القليل لا مادة له واستثمده اتخذه يقول ان السيف الهندواني وهو الجيد الذي يتخذ وان عرض لمتنه صدى صقل أو كلول شحذ ولا مشقة في ذلك لان الجودة فيه أصلية والعارض سهل الزوال وكذا الرجل الكريم الطبع تأديبه سهل ولربما سن السيف الكهام وان لم يكن عنه بد فيقضي حاجة وان لم يبلغ مبلغ الصارم وهذا كما يضطر الانسان أحيانا الى انتقاء العراقيب طلبا لمخها وان كان قليل الجدوى والعرب يقولون في هذا شر أجاءه الى مخة عرقوب أي ما أجاءه الى مخ العرقوب الاشر وهو الضرورة وكذا يضطر الى ورود الثمد مع قلة غنايته لفقد العد فكذا الانسان اذا لم يكرم طبعه فليتكلف الخلق المحمود ومن لم يجد كريما فليغتن بمتكرم ثم قال

فابغ العلا بتعمل وتخلق * ان لم تفز من نيلها بمتلد
واذا تبين لك المعالم فاختدم * واذا تحار بأثر عالمها اختد

التعمل تكلف العمل والتخلق تعاطي الخلق كامر والمتلد القديم الموصل كامر ومعالم الشئ آثاره وما يعلم به وخدم واختدم وحار بحار رحيرة لم يهتد وخدى يخدى واختدى أسرع يقول ابغ العلا أى اطلبها بتكلف ومجاهدة نفس متعاصية أمارة بالسوء وخلق كريه خسيس ان لم ترزق نفسا مطمئنة وخلقا محمودا ولا تترك نفسك ضائعا ان لا تكن ابل فعزى فان لم يصبها وابل فطل واذا ظهرت لك معالم الحق فاخدم أى اجتهد فى اكتسابه عملا وعلما وحالا أو اخدم من يدلك عليه ويقودك اليه واذا حرت ولم تكن لك بصيرة فقلد أهل الحق واتبعهم مسرعا ثم قال

وذووا البصائر فى الحياة وان قفوا * والغمر مفقود وان لم يفقد

البصيرة ناظر العقل كما أن البصر ناظر العين وذووا البصائر فى الدين هم العلماء والعارفون وفى الدنيا هم الفطناء أهل التجاريب والغمر هو من لا تجربة له يقول ان أهل العلم باقون وان ماتوا ببقاء ذكرهم وكلامهم وأتباعهم ومآثرهم وأهل الجهل وان لم يزالوا فى قيد الحياة فى حكم الموتى اذ لا غناء لهم ولا ذكر ولا مأثرة ومثل هذا قول القائل

أخو العلم حى خالد بعد موته * وأوصاله تحت التراب رميم
وذو الجهل ميت وهو يمشى على الثرى * يعد من الاحياء وهو عديم

وهذا المعنى كثير والقصد به مدح العلم والاكباب عليه ثم قال

والعلم بدأ ليس أريا سيغا * لكن جناة الحنظل المتهبد

علق نفيس لا يباع ونافر * متأبد عن كل قدم أو غد
لم يصمه سهم ولم يبتزه * باز ولم يصرع برمية مقلد
لكن بأشراك الحلوم وهمة * نفاذة الاغراض فليتصيد
وجواد فكر تمطيه مؤدب * أبدا بأقطار المدارك مشيد
قيد الاوابد لا يزال على الونى * فى كل معوصة يروح ويغتدى
من بعد نزع الروح فى استعطافه * ومذاق صبر للخوايا مصعد
وتفكر وتدبر وتصبر * وتصرر وتقشف وتعهد
وتوسل وتوصل وتحول * وتغرب وتفرد وتهجد
فوراء وخز النحل شور شهاده * ووراء شوك النخل نيل العرجد
وأمام اصداف اللآلى غوصة * فى البحر والتر ياق سم الاسود
والصقر ينتظم الطريدة لا الالى * والليث يغشى السرح دون الصقرد

الارى العسل كالمر والسيغ السائغ فى الحلق والجناة والجنى ما يجنى من الثمرة والحنظل معروف وهو الهبد وقيل الهبد حبه وهبده وتهبده كسره وطبخه فهو متهبد والعلق بالكسر النفيس من كل شئ فوصفه بالنفيس توكيد أو كشف قال الحماسى

أبيت اللعن ان سكاب علق * نفيس لا يعار ولا يباع

ونارت الظبية تنور نفرت وتأبد الوحش والقدم البعيد الفهم والوغد الاحمق الضعيف يقال وغد بالضم وغادة فهو وغد وفلان أوغد من فلان وكثيرا ما يراد بأفعل معنى فاعل كما عرف وبزه وابتزه سلبه والباز جمعه بزاة وقد يقال بازغير منقص وجمعه ابواز فيبوز كسر

الزاى وضمها وصرعه صرعا ألقاه على الارض والمقلد عصا فى رأسها اعوجاج والغرض القرطاس ينصب ليرمى ونفذه السهم خرج منه والتأويب سير النهار كله والاسناد قيل هو الاسراع فى السير وقيل سير الليل جميعا وقيل الجمع بينهما وفرس قيد الاوابد وهى الوحش أى دراك للوحش فكأنه قيد لها والونى بالقصر التعب يقال ونى ينى ونيا والمعوص الامر الشديد والمشكل لايدرك والاستعطاء الطلب والمذاق الذوق والصبر تخفيف الصبر ككبد وهو المر المعروف والحوايا الامعاء والمصخد المحرق يقال صخدته الشمس اذا أحرقته والمعدد القشب بمعد وهى العرب فى طعامها ولباسها الخشن والتهجد ترك الهجود وهو النوم ووخزالنحلة الطعن بابترها وشار العسل شوارا واشتاره استخرجه والشهاد جمع شهد والعرجد العرجون والصدف ما يتكن فيه الجوهر فى البحر والترياق بالكسر دواء معروف مركب يدخل فيه لحوم الافاعى والاسود الحية العظيمة والطريدة الوحشية يطردها الصيا دون أو الجوارح وانتظمها السقر أنشب فيها مخالبه كالانتظام بالرمح والالى كالفتى الثور الوحشى أو البقرة والليث الاسد وغشى السرح هجم عليه والسرح الماشية والصفرد طائر جبان يقال له أبو المليح يقول ان العلم بدأ أى عند ابتداء طلبه ليس أمرا هينا حلوا كالعسل تأكله وانما هو بمنزلة الحنظل تطبخه وتأكله لصعوبته على الفهم ومرارة العكوف عليه على النفس ثم وصف العلم بأنه علق نفيس لا يباع أى لا يسخى به أصلا أولا يباع بشئ أى لا يوجد ما يقاومه وما يماثله وهو نفور متوحش

على الحق ومن لا فهم لهم وهو صيد لاهل العقول ولكن لا يطمع فيه بأن يرمي بسهم فيقتله أو يرسل عليه باز فيأخذه وينتف ريشه أو تلقى اليه عصا فتصرعه وانما يقتنص بالاشراك اشراك العقول أو الهمم الرفيعة وبذلك يصطاد وعبر فى البيت بالامر عن المضارع للتأكيد كقوله تعالى فليمدد له الرحمن مدا وبالجياد جياد الافكار يمتطيها طالبه وتكون تلك الافكار جوالة دائما فى المعقولات ليلا ونهارا لا تمل ولا تضعف لاشتغال القرائح وتكون من ذكائها قيدا للمسائل العويصة محيطة بالافكار الدقيقة رائحة فيها غادية ولو أصابها التعب من طول الممارسة والمباحثة ثم لا يحصل مع ذلك الا بعد نزع الروح فى طلبه أى مقاساة الشدائد التى هى فى الشدة كالموت أو مفارقة الملاذ من مأكول وملبوس ومنكوح ومركوب ورياسة وحظوة ورفاهية التى مفارقتها كالموت وبعد ذوق الصبر المحرق للامعاء جوعا وعريا ومهانة

لا تحسب المجد تمرا أنت آكله * لن تبلغ المجد حتى تلعق الصبرا

وبعد طول تفكر فى المدارك وتدبر للادلة والآيات وتصبر على كل مامرّ وتضرر به وتقشف فى المعاش وتمعدد فيه أى تشبه بمعدّ وتوسل اليه بكل ما يمكن خدمة أهله بالنفس والمال وتوصل أى تكلف الوصول اليه بذلك وتحوّل من مكان الى مكان طلبا وتغرب عن الاوطان وتفرد عن الآلاف والخلان وتهجد فى الليالى على النظر والدرس ويكنى عن ذلك بالتمثيل وهو أن العسل لا يكاد يستخلصه مشتاره الا أن يتصبر للدغ النحل كما قيل

تريدين ادراك المعالى رخيصة * ولابد دون الشهد من ابتر النحل وكذا لايحصل الرطب غالبا الامع مقاساة شوك النخل ثم المدرك للطالب انما هو القوى النفس الجرىء لا الهيوب الضعيف فالليث هو الذى يدخل الخطائر ويفترس الماشية لا أبو المليح النفار من أذى صوت ثم قال

والعلم زرع ليس يزكو فى امرئ	يجنى فيجنى من جناه ويجتدى
حتى يصادف تربة من لبه	ليست بملح أو كنود عربد
وجدى من التوفيق هتانا ومن	طبع هواء صافيا لم يفسد

يقال أجنت النخل فهى مجنية اذا حان أن تجنى وجناها ربها أخذ ماعليها من رطب والجدى المطر العام والمجتدى طالب الجدى والسائل والكنود الارض لاتنبت شيئا والعربد الخشنة يقول العلم هو فى التمثيل زرع لانه يحصل أصل منه كالبزر فتحصل به الفوائد والفروع وذلك زكاؤه أى نموه وكثرته ثم هو لا يزكو فى الانسان فيجنى أى يدرك ثمره فيجنيه صاحبه والناس منه ويطلب فوائده الا اما ذكر وهو أن يصادف تربة جيدة فيبذر فيها وهى عقل الانسان فمن كان عقله ناقصا أو فاسدا بالعوارض الدنيوية فلا يصلح للعلم ويصادف مطرا نافعا ينبت به وهو توفيق الله تعالى وتعليمه ولذلك أسباب قال الله تعالى واتقوا الله ويعلمكم الله ويصادف هواء صالحا لم يفسد بحرارة مفرطة ولا برد مفرط وذلك طبعه وفساده غلبة الاوصاف الذميمة والعوارض المستحكمة

فهذه الامور الثلاثة أسباب حصول العلم وأسباب الانتفاع به عاجلا وآجلا فمن لم يستجمعها فاما ان لا يحصل له أولا ينتفع به ثم قال

فهناك ينمو غير أن ثماره * شتى اذا أحصيتها لم تعدد
وأجل مغبوط به ومنافس * ذو الاطيب الابقى الاجل الاعود
عرفان رب العرش ثم صفاته * وفعاله فالى خفايا ها اهتد
ومدار هذا العبد فى أطواره * من يومه وغد ومن أين ابتدى
تلك المعارف لاشقاشق نافث * يهذى ولا يهدى خصيم ملدد

الشتى جمع شتيت كمريض ومرضى والشقشقة ما يخرجه الجمل من الابل من فيه اذا هدر ثم تستعار للكلام والهذيان بجمة تقدم والملدد مفعل من اللداد فى الخصومة يقول هناك أى حيث تجتمع تلك الشرائط ينمو العلم ويكثر غير أن العلم بحسب الجنس شئ واحد حاصله حصول التصورات والتصديقات ولكن يختلف بحسب المتصور وبذلك تتعدد الفنون وبحسب الغرض المطلوب وبذلك تتفاوت العلوم فى الشرف والغبطة فان الاشجار انما تشرف وتغلو أثمانها بثمارها وهى الغرض المطلوب منها وكما أن ما ثمره أطيب فى الطعم وأبقى عن الفساد وأعظم فى الغنى وأعود أى أفيد عند الناس هو أعظم الاشجار وأحقها أن يغتبط بتملكه وينافس فيه كذلك فنون العلم أجلها وأحقها بالغبطة أعظمها ثمرة وذلك العلم الذى تحصل به معرفة الله تعالى ومعرفة صفاته وأفعاله ومعرفة ما يدور عليه أمر العبد فى أطواره الثلاثة أى أمر يومه وهو حال الدنيا ومافيها من

التكاليف الشرعية والحقائق الوهبية والاحوال المتممة وأمر الغد وهو حال المعاد وما سيقع فيه من البحث والحشر والفصل والمصير الى أى دار وغير ذلك وأمر الامس وهو حال ابتدائه وما فيه من النظر فى تخصيصه وايجاده ثم امداده وانه من طين لازب وما يلتحق بذلك والعلوم النافعة الشرعية داخلة كلها فى هذه الثلاثة ولو احتجنا الى تفصيل ذلك احتجنا الى مجلدات والاشارة فى هذا المختصر تكفى ثم أخبر أن تلك أى هذه المذكورات هى المعارف التى تستحق أن تسمى معارف والاشارة للتعظيم وليست المعارف هى علوم أهل الجداول والخوض فيما لا يعنى وهم الذين يهذون أى يتكلمون بما لا حاصل له ويحسبون انهم يهدون الناس وانما هو الخصام واللدد والقصد بهذا مدح العلوم النافعة وهى الشرعية بالذات مما يتعلق بالظاهر والباطن وما تثمره بفضل الله تعالى من المعارف الوهبية وفى الحديث من عمل بما علم أورثه الله تعالى علم مالم يعلم ويلتحق بها فى الفضل وان لم يساوها كل ذلك ان عارض الشرع فهو خبيث محرم والا فمن المباحات الدنيوية ولا فضيلة له الا مجرد ما فيه من كمال الاطلاع على المجهول ثم قال

فاذا تحلت بالمناسك والتقى * وانابة لمالك المتوحد
أزرت بتاج فى جبين مملك * من عسجد فى لؤلؤ و زبرجد
وزرت على الحلل النفائس والحلى * فوق العطا بيل العذارى النهد

تحلى بالشئ وحلى به تزين به وأصله الحلية والتنسك والتقوى

اجتناب المنهيات ومتى عمم كل منهما شمل الآخر والانابة الرجوع الى الله تعالى وزرى على كذا أو أزرى عابه والثلاثى أكثر وأزرى به أدخل عليه عيبا فلما كان العيب ينتقص بذلك العيب على العائب صار العائب أشرف وأفضل فلهذا شاع استعماله فى التفضيل والتاج المجعول على الرأس معروف والعسجد الذهب والزبرجد جوهر معروف والحلل جمع حلة من اللباس والنفائس جمع نفيسة أى جيدة والحلى جمع حلية بالكسر وهو ماتتزين به من مصوغ والعطبول الحسناء الطويلة فى تمام الخلقة والناهد التى ارتفع ثديها يقول ان هذه المعارف اذا حصلت للانسان واتصف مع ذلك بالعبادة وحسن الانابة الى الله تعالى كانت تلك المعارف أو حالة هذا الشخص من العبادة أحسن من تاج على ملك مصنوع من ذهب يرصع باللؤلؤ والزبرجد ومعنى فى الاستعلاء أى على جبين ويجوز أن تبقى على بابها وفى قوله فى لؤلؤ بمعنى مع ووجه التشبيه ان الملك حسن عظيم فى نفسه فكيف اذا لبس التاج وكذا العارف اذا تنسك وهذا المعنى يحكى عن الامام الجنيد ان العبادة على العارفين أحسن من التيجان على الملوك وصارت أيضا أحسن من الحلل والحلى على الحسان النواهد ووجه التشبيه ان الحسناء المكتسية المتحلية ظاهرها حسن وباطنها أحسن وكذا العارف المتعبد ظاهره حسن وباطنه أحسن ثم قال

فمن تسنمها الجنيد وحزبه * نزلوا بها شرفا فويق الفرقد

تلك

تلك المكارم والمحامد والعلى * لاحازر تسقيه من قعب أد
تلك الرياضة لا رياضة راضة الرهبان لبس تنصر وتهود
أيعد نسرا كل ما مستنسر * ويعد ليثا كل ما استأسد
سلكوا بها في منهج أعلامه * مسموكة للسالكين معبد
قد ضل عنه كل جاف كاشح * أو غالط متحرف متشدد
وعم جهول ليس يبصر حجة * يوما ولا أهل الهدى بمقلد

القنن جمع قنة وهي أعلى الجبل وتسنمها صعودها وأصله في سنام البعير والفرقد النجم المعروف فتارة يوحد كما في البيت وتارة يثنى فيقال هما الفرقدان والحازر من اللبن الحامض والقعب القدح فقيل الضفدع وقيل الصغير وقيل ما يروى الرجل والادى من الآنية والاسقية الصغير والمتوسط والراضة جمع رائض وتنصر صار نصرانيا وتهود صار يهوديا واستنسر الطائر تشبه بالنسر ومن المثل استنسر البغاث واستأسد تشبه بالاسد والمسمود المرفوع والمعبد من الطرق المذلل بالاقدام يقول ان هذه الاحوال المذكورة من اجتماع المعرفة والعبادة هي قنن أي درجات لا يصل اليها الا الموفق وقد ترقاها الامام أبو القاسم الجنيد ابن محمد القواريري شيخ الصوفية في وقته أخذ الطريقة عن السري السقطي وكان مع ذلك فقيها يفتي على مذهب أبي ثور وخربه وهم أتباعه في وقته وهلم جرا وأشار بذلك الى أن مذهبه مذهب أهل الحق وان الولي شأنه أن لا يزال دائما في عبادة الله تعالى ولو بلغ ما عسى أن يبلغ ولا يصل الى أن يسقط عنه التكليف كما يذهب

اليه الغلاة المتزندقة أبعدهم الله تعالى أو تصير العبادة الى قلبه وتستريح الجوارح عنها كما يتوهمه أهل الجهل والعمى وقول من قال شيئا من ذلك من الصوفية متأول وأخبر أنهم أى الجنيد وحزبه نزلوا بهذه الطريقة والتمسك بها فوق النجوم شرفا وفضلا على غيرهم من الفرق وتلك هى المكارم والمحامد لا للبن تسقيه فى قدح أشار الى قول أمية

تلك المكارم لا قعبان من لبن * شيبا بماء فعادا بعد أبوالا

وأن تلك هى الرياضة المستقيمة لانبنائها على أصول الشرع المستقيم لا رياضة الرهبان فى الصوامع بالتجرد والجوع فان هذه باطلة لانبنائها على الهوى بصاحبها قد خسر الدنيا والآخرة نسأل الله تعالى العافية وضرب مثلا وهوانه ليس كل مستنسر يعد نسرا ولا كل مستأسد يعد أسدا وكذا كل من جلس فى خلوة وكل من سهر وجاع يعد وليا أو عارفا أو صاحب طريقة وأخبر أن الجنيد وحزبه سلكوا فى طريقتهم هذه فى منهج أى طريق واضح اعلامه التى تتبع فيه مرتفعة لا تخفى على سالك وهو سهل لا حرج فيه ولا عوج قال تعالى وما جعل عليكم فى الدين من حرج ملة أبيكم ابراهيم وقال صلى الله تعالى عليه وسلم بعثت بالحنيفية السمحة وهو منهج السنة وما عليه السلف الصالح ومن كلام الجنيد رضى الله تعالى عنه الطرق كلها مسدودة على الخلق الا من اقتفى أثره صلى الله عليه وسلم وأخبر انه قد ضل عن هذا المنهج كل جافى الطبع قاسى القلب لم يخشع للحق ولا تهذب بالايمان وكل كاشح أى مبغض للدين وأهله من الكفرة كلهم أو مبغض للطريقة

وأهلها من جفاة العوام وأهل الظاهر وكل غالط فى سلوكه منحرف عن القصد والحق متشدد بما لم تأت به السنة جهلا وابتداعا وكل أعمى لا يستبصر بنفسه فى الحق ولا ينقاد لتقليد من كان على بصيرة وكل من حاد عن الطريقة المذكورة فهو من هذا القبيل كافرا كان أو مسلما بدعيا او سنيا والله الموفق ثم قال

فاذا اسمت بك همة سباقة * لسلوك منهجهم فبادر ترشد
متن عناج الصدق واشدد فوقه * كرب المحبة واحتزم وتجرد
واتدن غربا من حجاك بمنة * فاذا فعلت فغير مصطرد رد
وترحلن على نجائب ضمر * من حزمك المسود ايس بعند
واضبط مزاد الصبر محكمة العرى * و بعون ربك والتقى فتزود
وتسلين عن أم دفر وابنها * واستودعنها دار نكس قعدد
واصرم حبال الوصل منها لا يقل * للأودها من بعد نضج رمد

سما الى الشئ واسمى اليه والهمة قد مر تفسيرها والسباقة العلية التى لا تلوى على خط ولا رسم والرشد والرشاد الهدى والعناج ككتاب حبل يشد فى أسفل الدلو العظيمة ثم يشد الى العراقى والكرب بفتحتين حبل يشد فى وسط العرى ليلى الماء فلا يعفن الحبل الكبير وتحزم واحتزم اتخذ الحزام وتجرد من ثيابه أزالها عنه لشغل مثلا والغرب الدلو العظيمة وادناءها الى البئر والمنة بالضم القوة والتصريد فى السقى التقليل والمصطرد أيضا الخنق المغتاظ ورد أمر من الورود والنجيبة من الابل الكريمة والمسد الفتل والمسود المفتول وعند البعير حاد عن الطريق فهو عاند والجمع عند وضبط الشئ حفظه

واصلاحه والمزادة الراوية والجمع مزاد والاحكام الاتقان والعروة معروفة وأم دفر بفتح الدال المهملة الدنيا من الدفر وهو النتن والنكس بالكسر من لاينتهض لمكرمة والقعدد الجبان والبخيل القاعد عن المكارم والصرم القطع والترميد جعل الشئ فى الرماد يقال فى المثال شوى حتى اذا أنضج رمد أى بعد أن أنضج اللحم خلطه بالرماد وذلك فيمن أصلح الشئ ثم أفسده يقول ان رزقت همة ورغبة فى سلوك منهج القوم فبادر لذلك ولاتتأخر ولا تسرف فذلك هو الرشد فى الدنيا والفلاح فى الآخرة ثم بين شيئا من أحوال السالك وشيئا مما ينبغى أن يأتمر به وأتى بذلك الى سبيل التمثيل بأن صور السالك مسافرا الى جهة من الجهات فاحتاج الى شئ يكون بمنزلة الدلو التى يستقى الماء بها فى كل منزل وهى محتاجة الى أن يشد لها عناج وكرب و بذلك يستقيم أمرها وذلك هو الصدق والمحبة و يقع الصدق هنا على غرضين أحدهما صدق التوجه و يرجع حاصله الى أن يكون مايقوله بلسانه من التوبة والانابة الى الله تعالى يقوله بقلبه تصميما و يعمل به بجوارحه فتتفق هذه الثلاثة ولا يكذب بعضها بعضا فهذا يكفى فى شرحه الثانى التصديق بالهداة الدالين على الله تعالى واعتقاد الخير فيهم فان المكذب لايفلح ولا يمكنه الاتباع والمحبة أيضا على غرضين أحدهما محبة الله تعالى فانها الجاذبة المحركة الثانى محبة أهل الله الدالين عليه وكذا كل من ينتمى اليه واحتاج الى الاحترام والمجاهدة فان الامر لايدرك بالهوينا والى التجرد عن العلائق والعوائق وان يدنى دلوه مع الدلاء والدلو العقل الذى يتبين به

المصالح

المصالح فيأتيها والمفاسد فيتقيها و يعتبر به و يتفكر فيستفيد العلوم والمعارف فاذا كان غريا أى عقلا وافرا وأدلاه بقوة أى بقريحة وقادة وتوجه تام فعندذلك يشرب من العلوم والمعارف بلا تصريد أى بلاقوة ولاتقدير و يشرب سلسا ناعما بلاغيظ ولاغم واحتاج أن يوصل من منزلة الى منزلة على نجائب ذلل منقادة ضامرة من العمل وذلك الحزم وتقدم تفسيره فانه السيف القاطع والحصن المانع ومن الحزم أن لايتساهل بالرجوع الى شئ مما خرج عنه من حظ فان النفس متى ألفت الانقلاب انحل عقدها واختل نظام الامر ولامقاربة من ألف منه ذلك أومكان ألف فيه أوسبب يجرى به وأن يراعى أوائل الامور وأن يتعهد ما تكون به حياة قلبه ورقته وأن يضبط أوقاته ولايتركها سدى الى غيرذلك مما فصل فى هذا الباب واحتاج الى ضبط المزادة بحفظها عن الوهى وخياطتها ان وهت واتقان عراها التى تعلق بها لئلا تنقطع فتسقط وتفسد وذلك هوالصبر فهوقوام الامر و يكون على وجهين صبر على الطاعة وصبر عن المخالفة ويدخل فى القسمين الصبر على البلاء لانه يرجع الى ملازمة الرضاء وهو طاعة ومجانبة التسخط وهومعصية واعلم ان الصبر فى باب البلاء ثلاث درجات الاولى حبس النفس عن التسخط وقول المكروه مع وجود التألم وهو واجب دخل فى مقام الاسلام الثانية وجد ان البرودة وانتفاء التألم و يكون ذلك بالتمرن على المصائب أولحصول الزهد فيما فات بها أوالفناء عن النفس وطبعها وهوكمال داخل فى مقام الرضاء الثالثة وجدان الاستلذاذ والسرور و يكون

لغبة حضور الاجر على النفس أو لموافقة رضى المحبوب أو لانه فعله أونحو ذلك وهو أكمل واحتاج الى استصحاب الزاد فى سفره وليس الاالتقوى والاستعانة بالله تعالى فلا وصول الى الله الا بالله تعالى ثم التقوى لاتنتظم الا من علم وعمل فلابد من العلم فى التزود كما سيجئ واحتاج الى التخلى عن الدنيا وأهلها فانها أم العوائق التى أمر بالتجرد عنها وأن يستودعها فى ديار الراغبين فيها وهم الانكاس اللئام أما التخلى عنها فالمراد به تركها جميعا حسيها كالنساء والبنين والقناطير المقنطرة من الذهب والفضة الى آخرها ومعنويها كالجاه والرياسة وصحبة الاخوان والاخدان ونحو ذلك وهذا على رأى من لايرى للمريد التزوج حتى يكمل حاله والا فالمراد ترك فضول الدنيا زهدا فيها فان ترك حرامها تقوى وترك شبهاتها ورع وترك فضولها زهد والمطلوب من المريد ترك كل ما يشغله عن حاله وقد قال السرى السقطى للذى وصاه ان أردت المحبة فعليك بالصيام والقيام وان أردت الله تعالى فعليك بترك كل شئ دونه وهذا هو الفيصل من الكلام والزهد على التحقيق هو فى القلب وهو برودتها فيه وهو يبذلها عند الوجد ولايحزن عليها ولكن لاعمل فيه للمريد بل هو منحة الله تعالى فطلب منه التخلى عنها ظاهرا رجاء ان يكون ذلك بسبب فضل الله تعالى سببا لخروجها عن القلب وكل من يمسكها فى الظاهر مغتبطا بها ثم ينتظر أن تخرج عن قلبه ليكون من الذين تكون فى أيديهم وهم زاهدون فيها فهو يضرب فى حديد بارد بل الشأن بذلها ولو تكلفا حتى ذاق مرارة فقدها وصابر نفسه على

ذلك لله تعالى رجي له أن ينبهه الله تعالى بنزعها من قلبه حتى لا يبالي بها أو بحلاوة فقدها وما ذلك على الله بعزيز وأما استيداعها في ديار الاثام فهو على ظاهره أو الديار قلوبهم ومن فوائد ذكر هذا المعنى أن لا يمد المريد عينه الى أهلها وما عندهم من زهرتها لانه هو الذى تركها هناك وان يشعر قلبه ان الدنيا وفتنتها وسائر المصائب والمعائب لابد لها من ظهور فى الوجود ولا تخلو عن محل فان لا تكن أنت محلها فغيرك فاذا زواها الله عنك أيها المريد وأنزلها بغيرك فاعترف له الله تعالى بالمنة العظيمة اذ لم يكن عليك أنزلها واشكره شكرا كثيرا واشكر أن الذى نزلت عليه قد يحمل عنك مؤنتها بحكم التصريف فارحمه وادع له باللطف ولا تحتقره ولا تتوهم لنفسك خصوصية الخير ولا لغيرك خصوصية الشر بل فضل الله عليك وعدله فى غيرك فارحم أهل البلاء وسل الله تعالى العافية وفى ذكر الكسس والقعدد اشارة الى أن الراغب فى الدنيا كله كذلك لا يتأتى له النهوض الى الكمال مادام يحب الدنيا ولذا قيل حب الدنيا راس كل خطيئة والى أن الاخلاق السيئة هى بذل الشر نسأل الله العافية وربما يفهم من الايداع أن المريد سيرجع الى وديعته فيأخذها وذلك عند الكمال حيث يقال له خذها ولا تخف وليس بعام ولا جائز أن ينويه المريد عند تركها ولا أن يرجوه واحتاج الى أن يقطع جميع العلائق والاسباب من الدنيا لئلا يسقط وينقلب كالذى يرمد بعد أن يشوى ومازال الشيوخ يحذرون من هذا المعنى ويقولون ان الرجوع الى الشهوات هو الذى قطع ظهور

المريدين فشبعوا بعدما جاعوا وناموا بعد ماسهروا واستلانوا الفرش بعد الكد وربما غلطوا فعدوا ذلك كمالا ووصولا نسأل الله تعالى الهداية والتوفيق ونعوذ به من الزيغ والتعويق ثم قال

واذا نزلت على كريم موسع رحب الذرى جم القرى متفقد
فكن الهنى وأنت بين ضيوفه * لاتسع فى زاد ولا تتفقد
فان ارتجيت أو اعتفيت لغيره * يوما تبوء منه بعار مسبد

الموسع الغنى يقال أوسع صار ذا سعة أى غنى وأوسع الله تعالى عليه أغناه فالله تعالى غنى مغن ورحب الذرى واسع الكنف يكون حسا ومعنى بالجود والجم الكثير وتفقده طلبه وسأل عنه والعافى والمعتفى طالب المعروف وسبده وأسبده حلقه يقول اذا نزلت أيها المسافر فى دار من هو غنى كريم واسع الكنف لمن يغشاه كثير الضيافة متفقد للناس لا يغفل عنهم فكن هنيئا مادمت فى مثواه من أمر كفايتك فلا يكن منك سعى فى استحصال ما تحتاج من المؤنة لانه حاصل ولا سؤال ولا طلب لذلك الكريم لانه لا يغفل فان رجوت غيره أو طلبت غيره فانك تحصل منه على عار عظيم حالق للحيتك عنده وعند كل عاقل منصف والقصد من هذا التمثيل هو أن المريد عبد الله تعالى وهو فى كفالته وضيافته فلا ينبغى له أن يهتم بالرزق ولا أن يرجو ويركن الى أحد سوى ربه عز وجل وليجتهد فيما كلف به يكفه الله ما ضمن له وهذا معنى ماروى عن الشيخ أبى مدين رضى الله عنه انه كلم على القعود عن السبب فقال ما معناه أنا فى ضيافة الله

تعالى

تعالى وقد قال صلى الله تعالى عليه وسلم الضيافة ثلاث وقال الله
تعالى وان يوما عند ربك كألف سنة مما تعدون أى فنحن نقضى
من هذا العدد ماعشنا فى الدنيا وما بقى منه نرجو منه أن يوفينا ه
فى الآخرة وقد يقتضى حال المريد أن يتسبب فيفعل ذلك ويتوكل
على الله تعالى فى سببه لاعلى سببه ومثل هذا متجرد فى المعنى
ثم قال

والزم مناخك أو محوله ولا * تختر عليه ورأيه فلتحمد

المناخ بضم الميم مبرك البعير وحمده أثنى عليه وأحمده وجده محمودا يقول اذا
كنت ضيفا فالزم مثواك الذى ينزلك فيه صاحب الدار وارض به
ولا تحول عنه الا ان كان هو حولك فتحول واحمد رأيه فى انزالك
ولاتختر أنت لنفسك غير ما اختار لك وهذا أيضا تمثيل والمراد به
ان المريد ينبغى له أن يدع التدبير والاختيار ويرضى بما أقيم فيه
من سبب أو تجرد أو اقامة أو سفر أو عمل لايذمه الشرع ولا يختار
غيره حتى يكون الانتقال من الله تعالى اما بلسان الشرع أو باذن
يعرفه من حاله أو من قلبه ثم قال

واذا دعاك ودونه الحجب التى * عزت أدانيها محال الهدهد
فأجبه واركض من جوادك مغشما * مستفتح الأبواب غير معرّد
واذا رأيت من الممالك رائقا * فلتله عنه ونحو مالكه اصمد

عزه غلبه والمحال والاحتيال الحذق وجودة النظر فى الامور والمغشم الذى

بركب رأيه ولا يثنيه شئ عن مراده وعزدعن القتال تعريدا هرب والرائق المعجب ولهي عنه بالكسر لم يشتغل به وصمد اليه صمدا قصد يقول اذا دعاك رب التنزل وهو الموصوف بما مرّ والحال ان دونه حجب عظيمة تغلب الهدهد أدانيها أن يجاوزها مع حسن تأتيه واحتياله فكيف بأقاصيها وكيف بك أنت فاجبه وتقدم اليه مسرعا راكبا على جواد عتيق من عزمك لايكل ولايهاب مستفتح الابواب بابا بابا حتى تصل اليه غير هارب عنه ولامكذب ومتى رأيت في طريقك شيئا يروق عينك كجارية أوغلام أو فرس أو بناء أوغير ذلك فأعرض عنه واقصد الى مطلوبك ولا تلتفت الى شئ دونه فيفوتك وهذا أيضا تمثيل والمراد منه أن العبد قد دعاه مولاه الى حضرته وبينه وبين الوصول حجب من نفسه عظيمة يخرقها وعقبات شاقة يقطعها فلا ينبغي له أن يقعد عن السعي في الوصول الى الله تعالى مستعينا به كما مرّ ولا يلتفت الى شئ دون الله تعالى من دنيا أو مقام أو حال أو كرامة أو فتح فان كل ما سوى الله تعالى حجاب عنه كما قال ابن العربي رحمه الله تعالى ثم قال

واذا جلست على رفيع بساطه * فسقاك صرف الخمر غير مصرد

فترع عن أدب الجليس ولا يغل * ثمل حجاك فيستخفك ذو اليد

الصرف بالكسر الخالص ومن الخمر مالم تمزج وغاله غولا أهلكه والثمل السكر يقول اذا وصلت الى حضرته فسقاك الخمر صرفا وذلك أذهب للتمييز فحافظ على الادب معه واياك أن يفسد الثمل تمييزك

فتنبسط بغير أدب فيستخفك ذواليد أى رب النعمة أى يعدك خفيفا فيمقتك و يطردك وهذا أيضا تمثيل والمراد به ظاهر وفيه قال المشايخ قف على البساط واياك والانبساط و يؤثرون القبض على البسط لان القبض لاحظ فيه للنفس ولاسلطان لهامعه فالتسلم من الانبساط والادلال وهو أيضا المناسب للعبد فى دار الدنيا لانه فى قيد التكليف ثم قال

وكن ابن وقتك خازما للاجوفين وللهواجس خازنا للمزود

يقال خزم البعير جعل فى أنفه خزامة والاجوفان البطن والفرج والهواجس الخواطر والمزود اللسان يقول كن أيها المريد السالك ابن وقتك واخزم بطنك وفرجك وخواطر قلبك واخزن لسانك فأمرك بأربعة أشياء كل منها مهم الاول أن تكون ابن وقتك ومعناه أن تقوم فى كل وقت حضرك بما اقتضاه الحق منك غير ملتفت الى وقت مضى ولا وقت يأتى اللهم الا أن يقتضى الشرع منك شيئا فى وقتك كقضاء فائتة وتزود لحج أو جهاد وهذا معنى قولهم الفقير ابن وقته وانما يتم له ذلك بقوة الحزم وقصر الامل وجعل الموت نصب العينين الثانى أن تحفظ بطنك وما يدخل فيه من قوت وتحفظ فرجك أن يزيغ بك الى الحرام أو الى فضول الحلال وذلك معنى جعل الخزامة عليهما لان البعير متى خزم كان طوع اليد الثالث أن تحفظ خواطرك وفى هذا معنيان أحدهما أن تراقب قلبك فلا يهجس فيه الا الحق وهذا كما قال بعض السلف لى كذا وكذا والابواب على قلبى فتى

تحرك مالا ينبغي معرفته وهذه حالة عزيزة الثانى ان تضبط الخواطر
فتميز فيها بين الربانى والملكى والنفسانى والشيطانى وتحقق كل
واحد بعلاماته وتعرف ماتتبع من ذلك وماتخالف الرابع أن تحفظ
لسانك وهو معنى خزنه وذلك على معنيين الاول أن تؤثر الصمت
الا حيث لابد منه وهو أحد أركان الولاية التى صار بها الابدال أبدالا
وهى اخماص البطون واسهار العيون والصمت والعزلة الثانى أن
تحفظ فى منطقك فلا تتكلم الا بما يعنى ثم قال

واذا تصاحب أو تعاشر فالتمس * غير الجلندد والردان الفهمد

قد يراد بالصحبة مايراد بالمعاشرة وقد تكون أخص بمعنى الخدمة
والاقتداء كصحبة التلميذ لشيخه أو العكس والالتماس الطلب والجلندد
الفاجر والردان الضعيف لاغناء له والفهمد اللئيم الاصل الدنى يقول
اذا أردت صحبة أحد أو معاشرته فراع فيه التقوى والكفاية
فالاول للدين والثانى للدين والدنيا ولا تصاحب من لادين له ومن
لامنفعة له وهذا اشارة الى شروط الصحبة فانها من جملة مايحتاج اليه
فى الطريق أحيانا ثم قال

واذا اعتزلت فبالمحلات اعتزل * من علم حالك والقوام الاكود

المحلات الاشياء التى يحتاج اليها الانسان اذا نزل وحده وهى القدر
والرحا والدلو والقربة والجفنة والسكين والفاس والزند مثلا والقوام
بالفتح مايعاش به والعدل وبالكسر نظام الامر وعماده وسيصان

في البيت يقول اذا أردت أن تعتزل عن الناس فلابد لك من الامور التي يقوم بها حالك كما أن من اعتزل عن الحي فلابد له من المحلات والالم يستطع العزلة فكذلك أنت أيها المريد لابد لك من محلات وذلك شيئان أحدهما يرجع الى دينك وهو علم حالك أي أن يكون عندك من علم الظاهر وعلم الباطن ماتحتاج اليه والافسد دينك واختل حالك وأنت لاتشعر ثانيهما يرجع الى كفاية طبيعتك مما لابد منه من الغذاء ويكون ذلك اما بالقوة واما بالقوت فان المراد اكتفاء الطبيعة والا اختل البدن فاختل الدين ثم قال

والنفس أعدى كل عاد يختشى * وأضر سم للفتى متقلد
قتل تريد حياته وتوده * ويريد قتلك كالهزبر الملبد
اركبت منها ظهر صعب جامح * متسنم أهوى الهوى مستعند
بل ظهر موج راجف بك سائسا * أبدا لضار لم يعلم موسد
فاقتل عدوك تسترح من كيده * فالقتل مفدع أنف كل جلندد
والقتل احياء لها وراحة * فليصف فيها عيشها وليرغد
فالخمر أعذبها وأغذاها التي * قتلت بماذي وعذب ابرد

السم المتقلد المعتق الذي يهلك سريعا والقتل بالكسر العدو والجمع اقتال وبالفتح مصدر والهزبر الاسد والملبد من اللبود الى الارض وهو وصف الاسد اذاهم بالوثب والهوى بضم الهاء جمع هوة وهي الحفرة وبالفتح معروف واستعند البعير غلب على الزمام وكذا الفرس اذا جمح وغلب على الرسن ورجف البحر والموج اضطرب والسياسة

الحفظ والضارى المولع والموسد المغرى تقول أوسد الكلب اذا أغراه بوالقدع فى الاصل أن تضرب أنف الفحل ليرجع عن الناقة والجلندد الفاجر والرغد من العيش الواسع وغذا البلد يغذو بذال معجمة طاب هواه وبعد عن الوخم وهذا أغذى من هذا أطيب منه وأوفق للطبع وقتل الخمر مزجها لتذهب ثورتها والماذى بذال معجمة وياء مشددة العسل الابيض أو الصافى يقول ان نفسك التى بين جنبيك أيها المريد هى أعدى كل عاد تخشى أن يسطو عليك وأضر كل سم يهلك وهى التى تحول بينك وبين كل خير وهى العائقة لك عن حضرة ربك ولذا قيل للذى طلب من الله تعالى الوصول والسبيل اترك نفسك وتعال ثم وصفها بأنها قتل أى عدو تريد حياته وتوده أى تحبه ولا أحب الى الانسان من نفسه ولا يحب الحياة ولا كل خير الا لها وهو يريد قتلك بمعصية مولاك وان ينبذك فى النار فصار كما قال القائل

أريد حياته ويريد قتلى * عذيرك من خليلك من مراد

أى كون النفس تريد هلاك صاحبها انما هو بحسب الصورة والنظر الى فعلها وسعيها أى سعيها سعى من يريد الهلاك والا فهى لا تريد الا الخير أبدا وانما سعت فى المضرة لانها أعطيت الشهوة الداعية ولم تعط من النظر فى العواقب والاستشراف الى الغيب ما أعطى العقل فتوهمت ان كمالها وفوزها فيما حضرها من الملاذ ولم تدر ما وراء ذلك ولذا متى انكشف شئ من العواقب السوء عن اللذة اعترفت به ووافقت العقل حينئذ فافهم وأخبر انك أركبت من نفسك الامارة

ظهر مركب صعب جامح لا ينقاد لك معط بنفسه الى المهاوى التى يهلك من وقع فيها مستعند عن الزمام ولا مهواة له أعظم من الهوى وهو الميل الى كل ما تشتهيه النفس وهو غالب على النفس لان ذلك طبعها بل اركبت منها ظهر موج فى البحر مضطرب بك ولا شئ فوق ذلك الهول وذلك الخطر وأنت فيها بمثابة من عنده كلب ضار على الصيد مغرى به وهو لم يعلم بعد بحيث ينزجر بالزجر فكيف يكون الحال معه فاذا علمت ما فى نفسك من العداوة والكيد فشأنك أن تقتلها بالرياضات من جوع وعرى وذلة وعزلة تخنس صفاتها وتستريح من شرها فان الفاجر لا ينـدع انفه عنك الا القتل ثم ان قتل النفس بما ذكر من الرياضة هو على التحقيق إحياء لها واراحة وسبب لطيب عيشها واتساعه وذلك من جهات منها فى الدنيا الراحة عن التعب والكد والعنت وتجشم مداخل السوء والسلامة من التلوث بالعار والفضائح والنجاة من المهالك والمعاطب وتيسر الخير والانتهاض للمكارم والذ[كر] والشرف الذى هو الحياة والخلود والقناعة والرضى الذى هو جنة الدنيا ونعيمها الى غير ذلك وفى الآخرة الفوز بالرضوان والخلود فى الجنان وضرب مثلا بالخمر فان ألذها وأوفقها للطبع ما قتل أى مزج بالعسل والماء العذب البارد وبذلك السلامة من سورتها وانما قال اعذب واغذى فى الخمر لانها شراب ثم قال

وتسلحن من علم ذاك بصارم * خذم الغرار وسمهرى سمهد

واعلم بأنك قد رقيت مخاطرا * فى مصعد متصعب متصعد
والغمر من ينوى وليس بسائح * أو ذا سقاء فى الملاة مومد

تسلح لبس السلاح والسيف الصارم القاطع والخذم القطع وسيف خذم كفرح قاطع وغرار السيف حده والسمهرى الرمح ينسب الى سمهر وهو زوج ردينة والهما تنسب الرماح فيقال سمهرية وردينية والسمهد اليابس الصلب وانوى تباعد فى سفره والسائح ذو السلاح والملاة الفلاة ذات السراب والمومد من الاسقية ماليس فيه ماء يقول اذا اجتهدت فى رياضة نفسك طالبا للتخلية والتحلية فلابد لك من علم ماتحتاج اليه فى ذلك بأن تتبين الصفات المذمومة المهلكة والصفات المحمودة المنجية وما تنتفى به الاولى وما تحصل به الثانية باذن الله تعالى فان ذلك بمثابة السلاح الذى تقاتل به عدوك ولاشك ان مجاهدة النفس ومقاساة الرياضة من أصعب الاشياء فأنت اذا اشتغلت بذلك بمنزلة من رقى مخاطرا بنفسه فى صعود متصعب على الراقى متصعد أى عال بعيد والغمر من الناس هو الذى يسافر الاسفار البعيدة والحال أنه غير سائح بل اعزل أو ذو سقاء لاماء فيه ثم قال

واستنجدن متبرئا ملحول حو * ل الله فى الطلبات تنج وتنجد
فالله انجح ماطلبت به المنى * وأحق مدعو وخير مؤيد
مالم يسهله فليس بساهل * ابدا ولست لنيله بمؤيد
والامر ان لم يؤته ماللفتى * للقائه فى الدهر من معلندد

الملك والملكوت قبضته وما * تنفذ مشيئته به لم يردد
فالناس بين ميسر ومعسر * أبدا عليه ومجتبي ومبعد
ومرفل بعطائه ومرفت * أبدا ومشقي في العباد ومسعد
ومرفه في هذه متشظف * فيها ومحروم هواه ومشكد
يعض جميعهم الى ماخطه * رب الورى من موقص ومهود

الاستنجاد الاستنصار والانجاد النصر والطلبة بكسر اللام مايطلب والتأييد التقوية والساهل السهل فاذا قيل سهل الشئ فهو سهل ولم يسهل فليس بسهل فان أريد التجرد في المستقبل قيل ليس هذا بساهل أي لا يسهل وهكذا في كل وصف من هذا الباب ومالى الى هذا الامر معلندد سبيل والمجتبي المختار والترفيل التعظيم والترفيت ضده وأصله الكسر يقال رفت الشئ كسره والرفاهية الاتساع في العيش والشظف الشدة فيه والضيق والشكد العطاء يقال شكده وأشكده والحرمان ضده والايعاض الاسراع في السير والتهويد المشى الرويد والابطاء في السير يقول اذا رمت السلوك والمجاهدة مع مامر كله فاستعن بالله واستنجد حوله وقوته بعد أن تتبرأ من حولك وقوتك ينجيك من شر نفسك ومن كل ماتخاف وينصرك على هواك ويقويك على ماتروم من طاعته فالله عز وجل أنجح ماطلبت به كما قال امرؤ القيس

الله أنجح ماطلبت به * والبر خير حقيبة الرحل

وهذا البيت مشير الى مجموع الحقيقة والشريعة وقد بينا ذلك في كتاب المحاضرات وهو تعالى أحق من تدعو لحاجتك اذ لا يملكها غيره

وخير مؤيد لك وأي أمر لم يعطه الله تعالى عبده فليس له الى لقائه سبيل أبدا فان جميع الملك وهو ما تشهده الابصار كاجرام السماء والأرض واعراضها الحسية والملكوت وهو ما تشهده البصائر ككون العالم مفتقرا الى صانع يوجده ويدبره كله في قبضة الله تعالى ليس للعبد منه الا ما أعطاه وماشاء الله من ذلك كان وما لم يشاء فليس بكائن فالناس على ما يرى بالبصر والبصيرة ويعرف بالتجربة أصناف منحصرة بين هذه الاحوال المذكورة وما أشبهها فهذا ميسر له في الرزق الحسي والمعنوى كليهما وهذا معسر عليه في ذلك وهذا مقرب بالنبوّة أو الايمان والطاعة وهذا مبعد بالكفر أو المعصية وهذا معظم في الدنيا أو في الدين أو فيهما وهذا مهان في ذلك أو في بعضه وهذا مشقي في المعاد فيخلد في النار وهذا مسعد فيدخل الجنة أوّلا أو بعد حين وهذا منعم في الدنيا وهذا مقضي عليه بالبؤس ولا يلزم من الايسار الرفاهية فرب ذي وفر لم ينعم به وبالعكس وهذا معطى ما يتمنى من دنيا أودين أوعلم مثلا وهذا محروم وجميعهم الى ما خطه الله تعالى أي في كتابه في اللوح المحفوظ علما قديما سواء منهم من أسرع الاوبة الى الآخرة ومن بقي أومن حرص في نيل اغراضه ومن توانى فهذا كله باب الحقيقة لابدّ أن يحكمه المريد اعتقادا أوتحققا ثم يتعاطى الاسباب الشرعية اقامة للشرع كما يأتي ثم قال

فالحق فاعرفه لاهل الحق لا * تسند لغير الله شيئا تهتد

واعمل

واعمل على حسب الخطاب اقامة * للرسم تعدل فى الامور وتقصد
والتدبر بك فى المطالب كلها * واستمدن منه الاعانة تمدد

يقول اعرف الحق لاهله وهو الله سبحانه وتعالى فان له غيب السموات والارض واليه يرجع الامر كله ولا تسند فعلا ولا حكما ولا فصلا لغير الله تعالى واعزل نفسك عن الحول والقوة فلا فعل لك ولا حركة ولا سكون ولا تدبير ولا مشيئة بل ذلك كله لله الواحد القهار ومع ذلك فلا بد لك من أن تعمل بحسب ما جعل لك من الكسب ما خوطبت به من التكاليف اقامة لرسم الشريعة معتقدا أن الفعل بالحقيقة لله تعالى وفى الصورة هو لك فاذا كنت كذلك فقد عدلت بأن جمعت بين الحقيقة والشريعة ولم تزغ الى الجبر المحض ولا الى القدر المحض وهذا هو القصد أى التوسط فى الامور وخير الامور أوسطها واذا علمت انه لا فعل لك ولا ارادة لم يبق لك الا الالتجاء بالله تعالى والتعلق به وطلب المدد منه فى كل حركة وسكون فأنت كما احتجت الى الايجاد وقد وقع فأنت محتاج الى الامداد وهو مستمر لا يزايلك ولو انقطع عنك لحظة لم تكن شيئا مذكورا ثم قال

ولترف ما وهت يداك وان وهى * أيضا فباب الرفق ليس بموصد
والغيث يصلح ما استحال ببرده * ودواء شق أن يخاص بمسرد
واركب جواد العزم مرتاضا لها * نال المدى فى المجد غير المجود
واركضه فى ميدان ذاك لها استوى * نيل المجد به ونيل المرود

الرفى الاصلاح والوهى الشق فى الشئ وأوصد الباب أغلقه واستحال

الشئ فسد والحوص الخياطة والمرسد الآلة وأجود الفرس واستجاده طلبه جيدا وأجود الرجل صار ذا جواد من الخيل وأرود فى مشيه أمهل يقول اذا أفسدت شيئا فأصلحه فيما بينك وبين الله تعالى بالتوبة والاقلاع والندم على مافات وتدارك مايمكن تداركه ومابينك وبين العباد بالتوبة أيضا مع التنصل من المظالم اما بعزم أو استحلال فيما يمكن أو بتصدق على صاحب الحق ان لم يوجد وحكم المسألة مفصل فى محله وان وقعت فى زلة أيضا بعد التوبة فلا يبطل ماتقدم من التوبة على الصحيح ولكن عد الى التوبة فان بابها مفتوح حتى تعودت نفسك المخالفة فعودها التوبة وقد قال تعالى ان الحسنات يذهبن السيئات ومثل ذلك بذكر مثلين سائرين أحدهما قول العرب الغيث يصلح ما أفسد برده يعنى ان الصر ييبس الارض والنبات فاذا جاء الغيث أصلح الارض وبرئت آفاتها وكذا التوبة تصلح ما فسد الثانى قولهم ان دواء الشق أن تحوصه أى اذا خرقت شيئا فحقك أن تخيطه فذلك دواؤه وكذلك اذا عصيت أو ظلمت أحدا فحقك أن تتوب وتتحرج منه ثم استصحب العزم التام فى سيرك فانه مركوبك ومتى كان جوادا بلغت الغرض والا فلا وعليك مع ذلك بالجد والمجاهدة واياك والتراخى والتوانى وارتعاء روض الامانى بلا نيل مجد بالهوينا ثم قال

والوجه ذو شحط على من رامه * يعيى عن العود النباطى الاجلد

ومجاهل ما للقطا بفجاجها * سبل ولا فيها دعيمص صد

ومداحض من زل فيها يعتلق * اشطان شيطان غوى مفسد

ومخاوف من شذ عن رفقائها * فيها تروى من لعاب العربد

الوجه الجهة التي يريدها المسافر والمراد هنا جهة السلوك الى حضرة ملك الملوك والشحط البعد والعود المسن من الابل والنباطي نسبة الى النبط فان ابلهم قوية ولذا قال امرؤ القيس

على لاحب لا يهتدى بمناره * اذا سامه العود النباطي جرجرا

والاجلد الاقوى والمجهل ما ليس له اعلام يهتدى بها ولذا وصفه بأن القطا لا يهتدي فيه وهو أهدى الطير ودعيميص عبد خريت وهو الذى يقال له دعيميص الرمل وما كان يدخل أرض وبار غيره وهى أرض بين اليمن ورمال يبرين سميت بوبار بن ارم فلما أهلك الله تعالى أهلها عادا سكنتها الجن فما يقدر أحد أن ينزلها فقام دعيميص هذا فى الموسم وجعل يقول

فمن يعطني تسعا وتسعين بكرة * هجانا وادما اهدها لوبار

فقام رجل معه وأعطاه وتحمل معه بأهله فلما توسطوا تلك الرمال طمست الجن عين دعيميص فحار وهلك فيها ويقال هو دعيميص هدى أى عالم به وصدئ الانسان بالكسر والهمز انتصب فنظر والمدحض المزلق والزلل السقوط والشطن الحبل جمعه اشطان والمخاوف جمع مخافة وشذ عن الناس انفرد عنهم والعقرد كزبرج الحية يقول ان هذا الوجه الذى أنت قاصده أيها المريد السالك ذو بعد على من أراده لو سلكه العود النباطي القوى لغلبه وفيه مجاهل تحار فيها القطا ولا تجد سبيلا وما قام فيها قط دعيميص ينظر أين الطريق بل هى فوق ذلك كله وذلك المنازل والمقامات والاحوال وما يعترى من الخواطر ويقع من التصرفات ويعترض من الجزئيات التى تحتاج الى شيخ ناصح

أواخ صالح وفيها مزالق من شذ فيها عن القوم وخرج عن المنهج لم يعدم حية تسقيه لعابها وترويه من سمها فتقتله أو تضنيه أو تبكر به والمراد أن يقع فى كفر أو بدعة أو حيرة أو وقفة عياذا بالله تعالى ولاسيما فى مجاهدة الفتح وطريقة الانوار فانها اما الملك أو الهلك نسأل الله من فضله ونعوذ به من الزيغ ثم قال

فلذاك كان على مريد سالك * فيها مصاحبة الدليل المرشد
شيخ بصير رائد بك وارد * شراب أنقع كل خرق صيهد
يهديك متن النصح فى ظلم الدجى * بسنى وان تشك النفاض يزود
ويقيك كيد حظية مسمومة * ترمى بها أو نفث اسود ممغد
ويزاول الادواء عنك فانه * من يرق يسعط بالدواء ويلدد

الرائد الطالب الماء والكلا والوارد الشارب والنقع ما يجتمع فيه ماء المطر ويقال فى المثل هو شراب أنقع اذا كان خبيرا بالبلد يعرف أنفعها فيقصدها والخرق القفر الواسع والصيهد الفلاة لا ينال ماءها والسنى بالقصر الضوء كما مرّ والنفاض فناء الزاد ومنه النفاض يقطر الجلب وأنفض القوم انفاضا وزوّده أعطاه زاد والحظية تصغير الحظوة بفتح الحاء وقد تضم وهى سهم صغير يرمى به الصبيان ومنه المثل احدى حظيات لقمان أى لقمان ابن عاد وهى سهامه والاسود الحية كما مر والممغد المصاصة مفعل من المغد وهو المص وزاوله عالجه ودافعه والادواء جمع داء ودوى مرض والسعوط من الدواء ما يفرغ فى الانف وسعطه به واللدود

ما يجعل من جانب الفم وقد لده وفى الحديث لا يبقى أحد فى البيت الا لد يقول فلاجل ما قلنا من صعوبة الطريق وبعدها واشتمالها على المجاهل والمداحض كان من أوكد الامور على السالك صحبة شيخ يرشده بقوله وفعله ويؤيده بهمته ثم وصفه بأنه ينزلك المنازل الصالحة من التحقيق ويكون خبيرا بالطريق يهديك الى المحجة الواضحة بعلمه ومدده وان احتجت الى علم أو وقفت همتك أمدك بما تحتاج من العلم والهمة وقد يكون فى الزاد الحسى امامن عنده أو بهمته ويقيك سهام النفس والشيطان وسموم الشهوات حفظا بهمته وعلاجا ان سبق القضاء بوقوع شئ من ذلك ويعالج عنك كل داء كان فيك أو عرض لك فان الداء يحتاج الى العلاج بالسعوط واللدود وغيرهما ثم قال

فالنفس منعمة دنايا من يرم * معها دنوا للمكارم يبعد
ومن ابتغى منها ارتقاء للعلى * يحطط ومن يلج السرادق يطرد
فتمنخ من أدوائها وتوخ ما * يرضى الاله من المساعى واقصد

المفعم المملوء يقال أفعم القربة اذا ملاها والدنايا جمع دنية وهى كل خسيس مذموم وولج ولو جادخل والسرادق ستر ينصب على صحن الدار ويستعار فى الشرف والابهة كقوله سرادق المجد عليك ممدود وتمخيت من الامر تبرأت منه وونخيت الشئ وخيا قصدته وتوخيت الامر تحريته يقول انما أكدت فى صحبة الشيخ لان النفس صعبة القياد كثيرة العناد كما مر فهى مشحونة بالرعونات والصفات المذمومات كل من يروم معها أى مع تلك الدنايا أو مع النفس المشحونة بها أن يدنو

من المكارم وهي التحلي بالكمال والتخلق بالاخلاق المحمودة فانه يبعد ولا يحظى بها اذ هي ضد ماهو عليه من صفات نفسه والضدان لا يجتمعان وكذا من طلب الارتقاء الى شرف والبلوغ الى منزلة من ولاية أو صديقية فانه يحط بها الى أسفل سافلين وهو معنى قوله تعالى لقد خلقنا الانسان في أحسن تقويم ثم رددناه أسفل سافلين ومن أراد الدخول الى سرادق الملك أى الحضرة الربانية فانه يطرد عنها اذ هو متلوث ويصح أن يكون اشارة الى خيل الحلبة فان الآخر منها كالسكيت والفسكل لا يدخل السرادق فكان حقا عليك أيها المريد أن تتبرأ من أمراض نفسك أى ان تسعى فى ذلك وتتحرى من المساعى ما فيه رضاء ربك فتقصده وانما يمكنك ذلك بعد الخلاص من النفس فاقصد الخلاص منها أول ما تتحرى ثم قال

ولقد سقطت على الخبير بدائها * من نجل ناصر الامام الارشد
فاذا غشيت ذراه فالزم غرزه * واعضض عليه بالنواجذ واشدد
واحطط رحالك فى ذراه ملقيا * أبدا عليه شراشر المستنجد
واخلع اليه بكل أمرك ولتكن * فى حجره مثل الصبي الممهد

الغرز ما يدخل الراكب فيه رجله فيقال الزم غرز فلان أى سر معه أينما سار والنواجذ بالمعجمة قيل أقصى الاضراس أو الانياب أو التى تليها وقيل الاضراس كلها والعض بها كناية عن الاستحكام من الشئ ولزومه وحط الرحل عبارة عن الوصول الى ما لا طالب وراءه والشراشر النفس والاثقال والامعاء والاوضاع كما مر يقول

انك

انك أيها المريد اذا هالتك عيوب نفسك وأردت التخلى منها فقد وقعت على من هو خبير بها وهو الامام ابن ناصر ومن ان كانت للبيان فظاهر وان كانت للابتداء فهو تجريد كما تقول لى من فلان صديق حميم أى بلغ من الصداقة حدا يمكن أن يستخلص منه آخر فيها معه فاذا بلغت حماه فالزمه ولا تفارقه وشد عليه يد الضنين ولا تسخ به واحطط عنده رحالك وألق عصاك واعلم انه لم تبق لك رحلة وألق عليه نفسك أو ألق عليك اثقالك مستنجدا له أى مستنصرا واخلع ارادتك واجعلها فى يده فما أمرك به فائتمر ولا يكن لك معه تقديم ولا تأخير ولا تأويل وكن كالصبى فى حجره ثم قال

لا تعجزن عنه فتصبح كالذى * يشكو الصدى حول الزلال المرمد
أو يشتكى ظلما وبدر طالع * وسط السماء بجنح ليل مبرد
أو كالذى قرحت بطون جفونه * مرها واثمدها لديه بمقلد

المرمد النهر وجنح الليل بالكسر ويضم أيضا طائفة منه وبرد الليل فهو مبرد كمنبر وأبرد دخل فى البرد وأبرد الماء جاء به باردا والمره فساد العين من عدم الكحل والمقلد الوعاء والمخلاة يقول اياك ان تعجز أيها المريد عن الوصول اليه أو عن صحبته فتصير عطشان والماء زلال قريب منك أو تكون كالذى يرى انه فى ظلمة الليل والبدر طالع ولم ينتفع به مع كونه فى وسط السماء وهى صاحية أو كالذى فسدت عينه من عدم الكحل والكحل موجود معه

فى وعاء لوحرك يده لاخذه بلا كلفة ثم قال

وهو الذى يغذوك من نفحاته * بجدى من الانوار غير مصرد
ويسوغك الافضال رحبا ممرعا * اكنافه ان ضاق كل مزند
بحر متى تقبل اليه لا تجد * كلف السؤال ولا هرير الاعقد
ومتى ينخ ركب عليه وينثنوا * صاروا مناخ الوافدين القصد

أمرع الوادى ومرع براعة أعشب والمزند بالفتح البخيل والهرير صوت الكلب دون النباح والاعقد الكلب يقول ان هذا الشيخ هو الذى يغذوك أيها المريد من نفحاته أى النفحات الربانية الآتية على يده بجدى وهو المطر كما مرّ غير أن هذا من الانوار الربانية وهو غير مصرد أى غير مقلل وهو أيضا يسوغك من افضاله افضالا رحبا أى واسعا خصيبا أكنافه ان ضاق كل بخيل أن تجد عنده مثل هذا الفضل وهو بحر أى واسع الخير متى أقبلت اليه لم يتعجب من اقبالك ولم تسئل لكثرة الواردين مثلك ولم تهرك الكلاب لالفها للناس وهذا من قول حسان

يغشون حتى ما تهر كلابهم * لا يسألون عن السواد المقبل

وقد قيل انه أمدح بيت قالته العرب وقال

وكلبك ارأف بالزائرين * من الام بالابنة الزائره

ومتى أناخ أحد بهذا الشيخ طلبا للنوال منه فانه يغنيه حتى يصير هو مناخا للناس ثم قال

شرفا لدرعة اذ تسمى باسمها * نسبا واذا أوفته أول مولد

ولغربنا اذ كان منه أرضها * ولسائر الدنيا بهذا المقصد
بل للسموات العلى اذ كان منه بها روحه فلتعل منه وتمجد

يقول شرفت درعة بدال مهملة وهى بلد الممدوح شرفا حيث تسمى باسمها نسبا فقيل درعى وحيث وافته أى لاقته أول مولد أى أول الولادة فكانت مسقط رأسه فالولادة هنا مصدر كما رأيت وهى فى أول القصيدة عن والدين ومولد مكان فلم يتكرر اللفظ فى القافية لاختلاف المعنى وشرف غربنا كله شرفا اذ كانت منه درعة ثم شرفت الدنيا كلها اذ كان منها المغرب أو درعة بل للسموات شرف اذ كانت منها روحه ابداعا وتنزيلا كسائر الارواح فحقها أن تعلو بذلك وتمجد أى تزداد علوا ومجدا لانها قد علت قبل بأرواح الانبياء والصديقين والعلو مما يقبل الزيادة ولو بأضعف مما كان أولا ثم قال

شمس الزمان وسعده وملاذه * وجدى المحول وغنية المسترفد
فالدهر نور ليله ونهاره * من نوره معط يد المتعبد
حتى توهم سبع أموات له * زوجن من روم بسبعة أعبد

الملاذ الملجا والمحول الارض الجدبة يقال أرض محلة ومحل ومحول ومحلت الارض فهى ماحل وماحلة ومحيل للمبالغة والرفد الاعطاء والمسترفد طالبه والمتعبد المتذلل والاموات جمع أمة يقول ان هذا الشيخ هو شمس الزمان لاشراقه به فى قلوب المؤمنين علما ومعرفة وصلاحا وهداية وهو سعده لظهور هذه الخيرات به وهو ملاذه أى ملجأ أهله فى دينهم ودنياهم وهو جدى أى غيث الارض المحل بما يظهر

مع وجوده عامر ومن البركات فى الارزاق والاعمال وغير ذلك مما لا يحصى من المنافع التى يسببها المولى تعالى ببركة وليه وهو غنية أى كفاية المسترفد فى العلم والنور والهداية والكفاية وقد يكون فى الدنيا أيضا اما من يده أو من دعائه وهمته فالدهر بوجوده كله منور ليله ونهاره وأولياء الله هم نور الدنيا والدهر مع ذلك مطيع الطاعة له حتى انه لو نظر فيه المتفكر لتوهم أن الايام والليالى عبيد له واماء فكأن سبعا من اماء الزنج زوجت بسبعة أعبد من الروم وهذا المعنى قد تعاطاه الشعراء مبالغة وتمليحا واذا كانوا يرتكبون ذلك فى الملوك أبناء الدنيا ففى أولياء الله تعالى أهل التصريف فى الوجود أولى فان الولى اذا جعل فى مرتبة التصرف أمكن أن تكون الكائنات كلها تحت طوع يده باذن الله تعالى الذى يقول للشئ كن فيكون فيتصرف فى الزمان كما يتصرف فى غيره وقد حدثونا عن سيدى عبد الله الغزوانى دفين القصور من حضرة مراكش حرسها الله انه خرج ذات مرة الى بعض القبائل لايقاع صلح فى أمر وقع فلما راح اليهم افتتح الذكر فتواجد الناس كلهم حتى اختلط الفريقان ولم يزل ذلك دأبهم جميع الليل وكان ذلك رمضان فلما علم الفجر صاح الناس وأشفقوا من بقاء الناس بلا سحور واعلموه فقام وقال وأمرى بأمر الله ارجع أوكما قال فذهبت تباشير الصبح التى ظهرت وأقبل الليل بظلامه كما كان حتى تسحر الناس واكتفوا وفرغوا فعند ذلك جاء الفجر وأصله استيقاف الشمس ليوشع ثم لنبينا عليهما الصلاة والسلام وكل ذلك فعل الله تعالى وارادته لا تأثير للمخلوق فى شئ من الاشياء وانما

الولى ظرف تجرى فيه هذه التصاريف وعلى يديه اذا أراد الله وقوع شئ جعل فى قلب الولى ارادته فيوقعه تعالى على وفق ذلك ومتى لم يرد وقوع شئ لم يجعل فى قلب الولى ارادته فليس الا الله وحده لاشريك له فافهم ثم قال

زم الرحال مشرقا فعجبت من * شمس تشرق فوق ظهر الفدفد
حتى بدا لى انها شمس الضحى * ذهبت لمطلعها الاجل الاصعد
وجدى جلا بالغرب محلافانتحى * للشرق رائح مزنه والمغتدى
وولى قوم آب نحو مليكه * مستحدثا للعهد خير موفد
فأتى بمنشور الولاية ثانيا * أوفى بها مما أتى بادى بدى

زم البعير جعل له خطاما ويكون ذلك بقصد الارتحال والسير وتشرق تشريقا توجه الى المشرق والفدفد الفلاة والاصعد الارفع ونحا وانتحى قصد ووفد عليه قدم ووفد توفيدا استقدمه والمنشور ما يكتب من عهد لمن ولى خطة وفعل كذا بادى بدى ومادى مدى أول شئ وخففا معا فى البيت يقول ارتحل هذا الشيخ الى المشرق وهو شمس الدنيا كما مر فعجبنا كيف تذهب الشمس الى جهة المشرق مع ان حركتها الظاهرة وهى القسرية انما هى الى جهة المغرب وهو مع ذلك على متن الطريق والشمس انما هى فى السماء فالعجب من الامرين ووجه تناسب التشبيه قضاء لحق المبالغة كما فى قوله

قامت تظللنى ومن عجب * شمس تظللنى من الشمس

ثم أخبر انه ظهر له ان الشمس انما تذهب لمطلعها لتطلع ثانيا وكما أن شمس السماء ترجع كل ليلة الى مطلعها ولكن من تحت الارض

فهذه كذلك ولكنه فوق الارض وانه غيث أصاب المغرب حتى اكتفى وتخلى عنه انخلى فتوجه الى المشرق مزنه الرائح والغادى أوانه ولى على قوم وهم أهل المغرب ثم ذهب وافدا على مليكه الذى ولاه ليستجد عهد الولاية وهو هنا الله ورسوله وقد اتى بمنشور الولاية اوفى مما اتى به اول مرة ولفظ الولاية هنا متوجه للمعنيين وكذا ولى قوم فافهم ثم قال .

وافى مقامات الهدى فسمت به * لمقام ابراهيم همة منهد
وغدا الى بيت المطاف بعيدما * اضحى مطافا للوفود الصمد
فغدا اليان الغرب منه عاطلا * وعلى لبان الشرق اسنى مجسد

مقامات الهدى هى مقامات اليقين من التوبة والزهد والتوكل والتفويض ونحوها ومقام ابراهيم يراد به الحجر المعروف أو المكان كله أو درجته عند الله تعالى أوفى العلم واليقين والمنهد مفعل من النهود كما مر والصمد القاصدون واللبان الصدر والعاطل الخالى من الحلى والمجسد بكسر الجيم حلى مكلل بالفصوص فى عرض شبر يكون فى موضع النجادين العنق الى أسفل الثديين يقول ان هذا الشيخ بعد أن وفى مقامات اليقين فاستولى عليها تحققا وذوقا ارتفعت به الهمة النهادة الى المعالى طلبا لمقام ابراهيم أى بيت الله الحرام أو مقامه من الله تعالى اتصافا وتحققا كما اشتهر ان من أولياء الله تعالى من يكون قلبه على قلب ابراهيم ففى الكلام توجيه وذهب الى بيت الله الحرام الذى هو مطاف أى مكان طواف بعد ما كان هو أيضا مطافا للوافدين من المريدين والمتعلمين والزائرين فصار الغرب بعده عاطلا من حليه لانه كان زينة وصار منه على الشرق أبهى

زينة حين وصل اليه ثم قال

فالغرب قد فازت به أيدي النوى * كمغيبة قد ودعت لم تهجد
وكأنه قد بان جفن بان عنه نومه أو سيفه من مزاد
ونهاره مذ بان ليس بأبيض * والليل اذ وافاه ليس بأسود

المغيبة المرأة تغيب زوجها وهجد هجودا نام والجفن جفن العين المنطبق عليها أو جفن السيف وهو الغمد والمزاد مفعل من قولك زئد فهو مزؤد أى خائف مذعور وزأده أفزعه يقول ان الغرب قد ذهب عنه الشيخ بمنزلة المرأة التي يغيب عنها زوجها فلا تنام حتى يرجع أو بمنزلة الجفن أى جفن العين يذهب عنه نومه من فزع أو جفن السيف يذهب عنه سيفه بالانسلال لفزع وقد استعمل المشترك في معنييه معا فالنهار فيه ليس بأبيض لغلبة ظلام الجهل والبدع والليل حين حضر ليس بأسود لاشراق الهدى والسنة والدين ثم قال

وافى فأشرقت البلاد وأينعت * ثمر المنى من كل فرع منتد
تهتز من طرب كظلم مهمه * يمم الضلال فلاح بدر منتد
وتقول أهلا بالامام ومرحبا * قول الربى للغيث بعد المجهد
فرح المبشر بالغلام بعيدما * يأس ومظلوم هضيم منجد

وافى أتى وينعت الثمرة وأينعت حان قطافها وأنفد الشجر أورق والمنتدى الطالع وأصله قولهم ندأ علينا فلان بالهمز اذا طلع فتقول منه انتدأ فهو منتدئ ويخفف كما في البيت وهضمه ظلمه واهتضمه فهو مهضوم وهضيم وأنجده أعانه ونصره يقول وافى

هذا الشيخ أى بلغ الينا فأشرقت البلاد بوجوده وطابت ثمار المنى
فمن كانت له منية خير أدركها ببركته ومن تمنى هذا الامر قبل ذلك
فهذا حين أدركه تهتز أى البلاد طربا كما يهتز المظلم أى الداخل
فى ظلمة مهمه توقع الضلال فى الطريق فلاح بدر طالع فذهب كربه وأمن
مما خاف وهذا المعنى مثل ما وقع للاعرابى الذى ضل عن ناقته بالليل فجعل
يطلبها حتى أعياه الطلب فاذا البدر قد طلع فبصر بناقته قريبا منه
ففرح ولم يتمالك الوصول الى البدر فقال يثنى عليه

ماذا أقول وقولى فيك ذو حصر * وقد كفيتنى التفصيل والجملا
ان قلت لازلت مرفوعا فأنت كذا * أوقلت زانك ربى فهو قد فعلا

وتقول هذه البلاد أهلا ومرحبا بالامام كما تقول الربى بلسان
حالها بعد الجهد أى المحل للغيث أهلا ومرحبا وتفرح أيضا
فرح اليائس من الاولاد لكبر أوطول فقد اذا بشر بغلام وفرح
المظلوم اذا نصر وأزيلت ظلامته ثم قال

فليهنه حبج وحبج أشرقا * فى أفق مجد قد بناه مشيد
ومآبه كالشمس تطلع بعدما * حجبت بنور ساطع متجدد
وليهننا بلقائه محفوظة * ساحاته نيل الامانى الرغد

الهنىء والمهنىء ما أتاك بلا كلفة وقد هنانى الطعام وهنأنى يهنأ
ويهنى وتقول لصاحبك ليهنئك كذا والحبج لم يعقد بعلامة التثنية
لقصد التفصيل وكانه قيل حبج أوّلا وحبج ثانيا ومثله قول الحجاج
حين نعى اليه ابنه وأخوه محمد ومحمد فى يوم أى محمد ابنى ومحمد
أخي ونظمه الفرزدق فقال

ان الرزية لا رزية مثلها * فقدان مثل محمد ومحمد

وقد يقع مثل هذا التعبير اقصد الكثرة كقول جرير

تخذى بنا نجب افنى عرائكها * خمس وخمس وتأويب وتأويب

والمآب الرجوع ويقال أرغد العيش بالكسر والضم اذا اتسع ويجوز أن يؤخذ من المكسور راغد ان سمع أو منهما معا بقصد الحدوث فيجمع على رغد كما فى البيت يقول فليهنئ الشيخ فوزه بحجتين قد أشرقتا فى أفق المجد المشيد الذى بناه من قبل بعلمه وعمله فكانتا زيادة فيه وليهنه ما آبه الى وطنه واجتماعه بسكنه منورا ظاهر الخير كالشمس تطلع بعد مغيبها وليهنئنا نحن أيضا معاشر أصحابه أو الوافدين عليه نيل الامانى الواسعة بسبب لقائه فى عافية وسرور محفوظة ساحاته أى نفسه ودينه أو من يتعلق به واعلم ان هذه التهنئة هى الامر الباعث على هذا القصيد أولا فليسم هذا القصيد بالتهانى وليسم هذا الشرح بنيل الامانى فى شرح التهانى والله تعالى الموفق ثم قال

يا حرز كل موائل وغياث كل مؤمل وسراج كل مابد

وأفتك بكر بنت فكر سادر * تجلى حياء فى رداء مجسد

بل عنس بحفا مسنتين تلفهم * هوج الرياح الى الكرام الرفد

غذيت برخص العبهرين وأمجدت * فى العيد واليعضيد كل الممجد

سبقت اليك مع الظلام بوا كرا * غربان بين مشيع ومفرد

وتجشمت أخطار أقطار متى * أسرى بها طيف الخيال يهيد

من كل ماعلم دوين النجم لا * يسمو اليه الطرف بعد المنجد

وتنوفة فضفاضة الاذيال لا * تهدى منابرها وخل حنجد

مشمولة مجنوبة مصبوة * مدبورة صدر الخليط المعمد

وحلالها علميا صفاتك والحلى * فأتت بهجة كاهل ومقلد
ترجو قبولك والامان لمشعر * بذنوبه مثل الهدى مقلد

الحرز الحصن والموائل المنجى يقال وأل اليه ووائل وئالا ومواءلة نجا اليه ورجع فهو موائل والموئل الراجي وبلد تبليدا لم يتجه لشئ فهو مبلد والسادر المتحير وتجلى تظهر كما تجلى العروس والجسد والجساد الزعفران وثوب مجسد مصبوغ به والرخص الناعم والعبهر النرجس والياسمين والعيد والعضيد من منابت البادية ومجدت الابل وأمجدت وقعت فى الكلا الكثير ومجدتها أنا وأمجدتها أشبعتها والمجد بالفتح مع ضم الميم اسم مصدر بمعنى الامجاد وبكر الغراب وغيره بكورا فهو باكر والمشيع المصحوب بغيره والمفرد ضده وهيده الشئ تهييدا أفزعه والعلم الجبل المرتفع والطرف ناظر العين والنجد الجبيل الصغير والتنوفة المفازة والفضفاض الواسع والمنابر جمع منار أو منارة وهو ما يهتدى به فى الطريق والخل الطريق يخرج بين الرمل والخنجد الجبل من الرمل الطويل فهو على حذف مضاف اى خل ذى خنجد أو يقرأ خل خنجد بالاضافة والمشمول الذى أصابته الشمال بالفتح وهو الريح تهب من ناحية الشمال بالكسر وكذا المجنوب أصابته الجنوب والمصبو أصابته الصبا والمدبور أصابته الدبور والخليط المخالط للواحد والجنس وهم هنا الرفقاء واصعد فى الارض ذهب فيها والحلال جمع حلة من اللباس معروف والحلى جمع حلية كما مر والبهيج الحسن المتزين والكاهل ما بين الكتفين وقيل ثلث الظهر الاعلى وقيل غير ذلك والمقلد موضع القلادة والهدى والهدى بالتشديد واحد واشعاره بأن يجرح وتقليده بأن

يجعل فى عنقه قلادة معروفان ولما فرغ من التهنئة وماواطاها أخذ فى الاستعطاف والاستعطاف على ماهو شأن الشعراء آخر القصائد فقال مخاطبا للممدوح يا حرز أى يا حصن كل موائل أى لاجئ اليك وغياث كل راج لمعروفك وسراج كل متحير فى أمره وافتك أى جاءتك منى بكر أى قصيدة بكر لم تستعمل ولم تعرف قبل فشبهها بالبكر من النساء التى تهدى عروسا وهذا المعنى مستعمل عند الشعراء فى المعانى المخترعة وهذه القصيدة منها ماهو كذلك ومنها ماهو مأخوذ ولكنها بجملتها كذلك وهو المراد وصف هذه البكر بأنها بنت فكر لانه هو الذى استنبطها ولكنه فكر سادر بالهموم والاشتغال فما نشأ عنه من خير فهو من فضل الله تعالى وما كان غير مرضى فليس بغريب ولذلك قال انها من الحياء كلابس الثوب المزعفر بل هى بمثابة عنس وهى الناقة الصلبة تحمل عليها عجفا جمع أعجف أى مهزول مسنتين أصابتهم السنة وهى الجوع تلفهم الرياح الهوج جمع هوجاء وهى الريح العاصف تقلع البيت الى الكرام الرافدين من أتاهم وأخبر أن هذه العنس غذيت أى أطعمت الناعم من العبهرين وأشبعت من العيد واليعضيد كل الاشباع وأراد بذلك وصف القصيدة وانها لم تخل من رقة ألفاظ الحاضرة والى ذلك أشار بالعبهر لانه أراد البستانى ولم تخل أيضا من نصاعة ألفاظ العرب أهل البادية واليه أشار بالعيد واليعضيد واجتماع النوعين فى القصيدة الواحدة لا يستنكر ولاسيما اذا روعى فى ذلك مناسبة اللفظ للمعنى فانه من المحسنات كقول زهير

وقفت بها من بعد عشرين حجة * فلأيا عرفت الدار بعد توهم
أثافى سفعا فى معرّس مرجل * ونؤيا كجذم الحوض لم يتثلم
فلما عرفت الدار قلت لربعها * الا عم صباحا أيها الربع واسلم

والادب في هذا القصيد انما كان منه في سرى الليل وسير المطايا وقطع المفاوز ونحو ذلك مما هو شأن العرب أن يحلي في منصة كلامهم بالالفاظ الجزلة وما كان منه في ذكر الازهار والانهار والحياض ونحو ذلك مما ولع به أهل الحضر أن ينتظم في سلك كلامهم رقة ولطافة وما كان منه في المديح والوصايا والحكم والاحكام ونحو ذلك مما هو قدر مشترك أن يتوسط فيه وأخبر أيضا انها أسرعت اليه فسبقت بواكر الغربان وهي تبكر تارة مع غيرها وتارة وحدها وتجشمت في سيرها الاخطار في أقطار أي جهات بعيدة مخوفة لو سرى فيها الطيف لفزع فكيف بمن يبصر بعينيه ونسبة الجزع الى الخيال من ألطف ما يكون وكذا نسبة القصور كما في قول المعري

وعذرت طيفك في الجفاء لانه * يسرى فيصبح دوننا بمراحل

وبين تلك الاقطار فقال من كل علم أي جبل قريب من النجوم لا تتطاول اليه عيون الناظرين لعلوه بعد الجبال الصغار ومن كل فلاة واسعة لا تهديك منائرها أي ليس فيها منار يهتدى به فهي مجهل وكذا قول امرئ القيس

على لاحب لا يهتدى بمناره * اذا ساقه العود النباطي جرجرا

لانه اذا لم يكن فيه منار صدق عليه انه لا يهتدى بمناره وصدق انه لم يهدك مناره ومن طرق بين الرمال صعبة على السالكين حالة كونها تراوحها الرياح الاربع وكل ذلك تقاسيه حرصا على لقائك وقد أتتك وصفاتك الكريمة الفاضلة هي حلاها وحليها أي انما تزينت بما وقع فيها من صفاتك والثناء عليك وعلى سيرتك فتزين كاهلها بالحلل ومقالدها بالحلي ترجو بذلك كله القبول لها ولصاحبها والاقبال والامان منك باذن الله تعالى أو الامان من الله على يديك

لرجل مخلط قد أكثر من الذنوب حتى اشتهر بها اشتهار الهدى بالهدى والتقليد يعني نفسه ثم قال

وجل لما اكتسبت يداه مشفق * خجل من السطر المسود مخود
غلق بأعلاق التبائع ظهره * ورهانه ان لم تداو وتفتد

الوجل بكسر الجيم الخائف والخجل المستحي واخود استحي أو سكت عن ذل والسطر المسطور أي المكتوب ويقال غلق ظهر البعير اذا دبر دبر الابير أو غلق الرهن ذهب في الدين والاغلاق جمع غلق وهو ما يغلق والتبائع جمع تباعة بالكسر وهي الظلامة ولفظ وجل بالجر وصف لما قبله أي يرجو الامان لمشعر بذنوبه وجل لما اكتسب يداه من الذنوب مشفق على نفسه من المؤاخذة خجل ساكت لا يستطيع كلاما من المكتوب المسود بالخطايا يعني صحيفته غلق ظهره ورهانه استعمالا للفظ المشترك في معنييه على انه جائز وهو الصحيح وتقدم أيضا مثله في جفن وقوله تداوى هو بحسب المعنى الاول وهو الدبر وقوله تفتدى بحسب المعنى الثاني وهو البقاء في الدين وجعل التبايع اعلاقا على الظهر ثم قال

يرجو السعادة والوصول الى العلا * لولا وجودك في الزمان الابعد
وبفكرة مغلولة وعزيمة * زديت وقلب للبطالة مخلد
ويروح صفو الورد وهو مكدر * بهواه حيث صفا لكل مفرد
ويروم سعيا وهو عان موثق * بحظوظه روم الطريح المقعد

الابقدما لا خير فيه وزدى الشئ فهو زد والجمع زدايا وهو الذي أضعفه المرض ويطلق على الضعيف مطلقا وفرد الرجل تفريدا تفقه واعتزل للعبادة وفي الحديث سبق المفردون وهم المستهزؤن بذكر الله تعالى يقول ان هذا الرجل الموصوف فيما قبله يرجو السعادة أي حصول

شأن أهل هذا الكلف نفاه في الا صول [illegible]

آثارها والوصول الى المنازل العالية فى الدين والصلاح فى زمن نحس
لا خير فيه لولا انك موجود فيه ففى الكلام تقديم وتأخير وانما يرجوه مع ذلك
بفكرة عنده مغلولة بالجود الاصلى والعوارض المكدرة وعزيمة ضعيفة
لا تنهض لخير وقلب مخلد الى البطالة ساقط ويروم الورد الصافى وهو
مكدر بهواه ويروم سعيا فى مقامات السالكين وهو عان أى أسير شهوته
موثق بحظوظه فهو فى ذلك كالطريح فى الارض المقعد يروم مشيا ثم قال

فاذا عقدت له جوارك لم يخف * من مبرق أبدا ولا من مرعد
واذا جذبت بضبعه فأقته * لم يهتبل لمصفد ومشرد
ان الكريم وأنت ذاك مؤمل * لفكاك مصفود وغنية مصفد

الجوار بالكسر الذمة يقال أجاره وعقد له ويقال أيضا أجاره اذا
أنقذه وأجاره اذا خفره وبرق ورعد وأبرق وأرعد تهدد وتوعد وأصله
فى السحاب ومن اللغويين من ينكر الرباعى فى هذا المعنى وهو مستعمل
كما فى قوله

ابرق وارعد يا يزيـ * ـد فما وعيدك لى بضائر

والضبع بضم الباء وتكسر تخفيف العضد وصفده صفدا وصفده
تصفيدا قيده وشرده تشريدا طرده وأصفده أعطاه يقول انك اذا
أعطيته ذمة فكان فى جوارك لم يبال بمن برق ولا من رعد واذا أخذت
بعضده فأقته لم يبال بمن يروم تصفيده وتشريده من أبواب الخير
وهو الشيطان والنفس والدنيا فان الكريم من الناس وليس
فى الوقت الا أنت مرجو لفكاك مصفود أى بان يجيره من القيد أو
ينقذه منه اذا وقع ومؤمل لغنية مصفد أى لان يغنى طالب الصفد
وهو العطاء أو يغنى من أعطى قبل شيئا لا يكفيه ثم قال

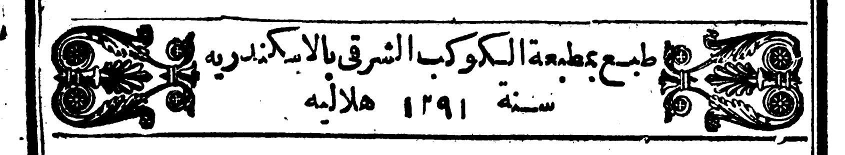
فاسلم لدهر أنت شمس نهاره * والبدر فيه بلا كسوف يعتدى

ولامة

ولامة تخذتك حصنا حيثما * فزعت وغيثا حيثما لم تعهد
أن يشتكوا خصما تكن من دونه * أو يرتجوا عظم الرغائب تسعد
سعدت بغرتك الليالى واستمت * ومن انتمى لذوى السعادة يسعد

العهد المطر بعد المطر جمعه عهاد وخطوب الدهر صروفه المهمة يقول أسلم أيها الشيخ أى سلمك الله تعالى وأبقاك لدهر أى زمان أنت نوره فأنت شمس نهاره وبدر ليله غير انك لا يتعدى عليك بفضل الله ومنته وحفظه كسوف وبهذا خرج التشبيه على الابتذال فان أريد حقيقة الكسوف فلا يكون قطعا اذ لا معنى له الا فى النيرين وان أراد ما هو بمعناه كالسلب والسقوط فلا يكون بفضل الله تعالى كما قلنا واسلم أيضا لامة أى جماعة المسلمين أو جماعة أتباعك وأشياعك تخذوك أى اتخذوك حصنا يلجؤن اليه عند الفزع والروع وغيثا يشربون به ويخصبون اذا لم يمطروا فتى اشتكوا خطبا من خطوب الدهر كنت دونه فحلت بينه وبينهم ومتى ارتجوا الرغائب أى العطايا العظمى أسعدتهم بما رغبوا وأوليتهم ما طلبوا فقد سعدت بغرة وجهك الليالى أى وأيامها وذهبت عنها النحوس فلا يلقى معها الا الخير ومن انتمى أى انتسب نوع انتساب ولو بالمقارنة كالزمان بمن كان فيه من أهل السعادة يسعد بذلك هذا اذا أريد الزمان نفسه فان أريد أهله فالانتماء ظاهر وكذا حصول السعادة اما دائمة واما فى الوقت وقد حدثنى بعض الاخوان قال قلت للشيخ رضى الله تعالى عنه يوما ياسيدى ما يمنعك أن تسأل الله أهل زمانك كافة وأى شئ فى ذلك عند الله مع أوليائه قال فقال لى أهل زمانى ثلاثة أصناف

من كان عليه الطابع فلا كلام فيه ومن أحب فهو لاحق به وغيرهما
ينتفع بدعائنا ان شاء الله تعالى فى الدنيا حقق الله تعالى له
ذلك ولنا بجاهه ولجميع الاخوان وسائر المؤمنين
آمين وصلى الله تعالى على سيدنا ومولانا محمد وعلى
آل سيدنا ومولانا محمد عدد ما ذكره الذاكرون
وعدد ما غفل عن ذكره الغافلون
وعلى سائر الانبياء والمرسلين
وآل كل والحمد لله رب
العالمين


طبع بمطبعة الكوكب الشرقى بالاسكندريه
سنة ١٢٩١ هلاليه



اعلان

اننا من صميم القلب نشكر تعطفات المراحم الخديويه * التى في ظل عدل عنايتها قد تنعم الجميع بالعز والرفاهيه * وترقوا على معارج الاعمال * وحظوا بنيل الآمال *

ثم بحمده تعالى وعدالة المراحم الخديويه * الشاملة بافضالها جميع الرعيه * ان مطبعتنا هذه لاتزال تنتظم يوما فيوما وهى الآن تحتوى على كل مايلزم من أدوات الطبع باللغة الشريفة العربيه واللغات الافرنجيه وبالجملة فقد صارت فيها مطابع جريه * بنجاح الاشغال حريه * فلذا صار يمكننا القيام بكل مطلوب * من كل جنس ونوع وفقا للمرغوب

هذا ومن رغب الحصول على هذا الكتاب أعنى شرح اليوسى فليطلبه من صاحب مطبعة الكوكب الشرقى الكائنة فى الوكالة الجديدة بالمنشيه أو من الخواجه حبيب الغرزوزى بسكندريه وفى مصر من أحمد افندى العشى وشعلان بعد عمن يكون لديهم هذا الكتاب عدا هؤلاء المذكورين وعلى الله الاعتماد * ومنه نجاح القصد والمراد *

